

# مجلة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

دورية أكاديمية متخصصة محكمة

تعنى بالدراسات الإسلامية والإنسانية

ذو الحجة 1422 / فيفري 2002

العدد 11

المكتبة الرقمية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المكتبة الرقمية  
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية



جميع الآراء الواردة بالمجلة تعبر عن وجهة نظر  
أصحابها ولا تعكس رأي المجلة

<u>الهيئة الاستشارية</u>	<u>أعضاء هيئة التحرير</u>	<u>مدير المجلة</u>
د. إبراهيم التهامي	أ.د/ عبد الله بوجلال	أ.د/ عبد الله بوخلخال
د. سعيد فكرة	أ.د/ سامي عبد الله الكناي	<u>رئيس التحرير</u>
د. الشيخ بوهران	أ.د/ أحمد صاري	د/ حميد عميراي
د. عمار طالبي	أ.د/ رابح دوب	<u>مسؤول النشر</u>
د. عبد العزيز فيلاي	د/ جمال شوالب	د/ حميد عميراي
د. عبد الكريم بن أعراب	د/ بشر بوجنانة	<u>أمين التحرير</u>
د. عبد الرزاق قسوم	د/ سلمان نصر	أ. محمود بن زغدة
د. عمر بوقرورة	د/ مولود سعادة	السيدة سميرة سقاوي
د. محمد خزار	د/ مصطفى باجو	
د. محمد لخضر مالكي	د/ عمر لعوية	

توجه جميع المراسلات والأبحاث باسم رئيس التحرير إلى العنوان الآتي:

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ص.ب 137 فستطينة - الجزائر 25000

☎ 98 92 21 31 0 / 98 22 90 31 0 / الفاكس: 98 21 21 31 0 / 41 21 92 31 0

البريد الإلكتروني: E.Mail = USIEAK 1. @ IST. CERIST. DZ

التلکس: 92954 USIEAK DZ

أشرف على كتابة وسحب هذا العدد 10 على P.C الدكتور حميد عميراي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَنْ يُرِدُ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ

المكتبة الرقمية  
حديث لاشريف  
عبد القادر للعلوم  
جامعة الأمير

# فهرس

د. أبو عبد الله غلام الله

10 ..... ترشيد رسالة المسجد

د. نصر سلمان

18 ..... مفكرة جرائم الحدود في الفقه الإسلامي

أحمد عمر اني

نسب المولود بالتلقيح الصناعي (دراسة حالة الشراكة في الإنجاب بين امرأتين بسن أقوال

40 ..... الفقهاء والحقائق العلمية)

أ. كمال الدرع

48 ..... قاعدة سد الذرائع وأثرها في ضبط تصرفات المكلفين في الفقه الإسلامي

أ. اسعيد عليوان

منهجية تدريس علم الكلام (علم العقيدة) لطلبة السنة الأولى علوم

62 ..... إسلامية

د. منصور عفيف

83 ..... الدعوة التوحيدية لقيام الدولة عند ابن تومرت

أ. طيبات لير

91 ..... القرآن والتوراة (موازنة تستقصي مدى أصالة الكتابيين السماويين)

أ. حسان موهوبي

110 ..... ملامح التأصيل القرآني لعلم أصول الحديث

«أ. عائشة رماش

133..... البنية السردية ودلالاتها في القصة القرآنية - قصة موسى أمودجا

«د. احميده عمير اوي

163..... الريف والمدينة في استراتيجية الأمير عبد القادر

«أ. خليفة حماس

184 ..... الترجمة عن اللغة التركية في الجزائر تاريخها وواقعها

«أ. سامعي إسماعيل

199 ..... تحقيب التاريخ

«د. عبد الكريم بن أعراب

209 ..... مستقبل تمويل التعليم العالي في الجزائر

«د. بعلوج بولعيد

232 ..... المخاطرة في الاقتصاد الإسلامي

«أ. بوشليحة عبد الوهاب

248..... الإيقاع الروائي في رواية سيدة المقام مراثيات اليوم الحزين لواسيني الأعرج

«د. احميده عمير اوي

259..... في رحاب الجامعة

## قواعد النشر

يشترط في الدراسات والأبحاث المراد نشرها في مجلة الجامعة ما يلي:

- 1 - أن يكون الموضوع متميزا بالجدة العلمية كأن يتناول قضايا:
  - معرفية تخدم الحضارة العربية الإسلامية؛ تراثا وآفاقا.
  - فكرية إنسانية تخدم الفكر الإنساني العالمي التربيه.
- 2 - أن يكون الموضوع مستوفى الشروط العلمية الأكاديمية من حيث سلامة اللغة والضوابط المنهجية والمادة الخبيرة (المصدرية والمرجعية).
- 3 - أن يقدم البحث في نسختين على وجه واحد من الورقة. وفي قرص مرن 3.5 مرقونا ببرنامج word.
- 4 - لا يزيد البحث على 5000 كلمة. ولا يعاد البحث إلى صاحبه.
- 5 - أن تدرج هوامش الموضوع بطريقة آلية (جديد في كل صفحة)
- 6 - أن تكون الرسومات والصور والبيانات والجداول والملاحق منفصلة عن النص التألفي في ملف مستقل عن القرص المرن.
- 7 - ألا يكون البحث قد نشر أو أرسل للنشر إلى جهة أخرى.
- 8 - تنشر المجلة الموضوعات باللغة العربية واللغة الفرنسية والإنجليزية. مع ملخص بالعربية لا يتجاوز 100 كلمة.
- 9 - تخضع الأعمال المرسلة إلى المجلة للتحكيم قبل نشرها، وتخبر إدارة المجلة أصحاب الأبحاث بنتيجة التقويم.
- 10 - يرفق البحث بسيرة ذاتية علمية وصورة شمسية.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يصدر هذا العدد الحادي عشر من "مجلة" جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية في موعده ووقته، بعون الله عزّ وجلّ، وبفضل الأساتذة والباحثين والمشرفين على المجلة الذين ألوا على أنفسهم ألاّ يدخروا جهداً في إصدار المجلة باستمرار وتطورها، وجعلها منبراً حراً للموضوعات الفكرية والعلمية والثقافية.

وقد احتضن هذا العدد الحادي عشر موضوعات قيمة فعلاً ومتنوعة، بأقلام أساتذة وباحثين من الجامعة ومن خارجها... الخ، ابتداءً من موضوع معالي وزير الشؤون الدينية والأوقاف الدكتور أبو عبد الله غلام الله. حول "ترشيح زمسالة للمسجد" مروراً بموضوع "مستقبل تمويل التعليم العالي في الجزائر" للدكتور عبد الكريم بن عراب.

وبهذا تكون المجلة قد انطلقت في مسارها العلمي بثبات إن شاء الله، ونرجو لها الاستمرار والدوام، وللمشرفين عليها التوفيق والسداد، وللمشاركين فيها بالكتابة والنقد والتوجيه الشكر والتقدير والعرفان. وللقراء عامل استزادة في طلب العلم بالمعرفة.

والله ولي التوفيق. والحمد لله رب العالمين.

قسنطينة في 27 ذي القعدة 1422هـ الموافق 10 فيفري 2002م

أ.د. عبد الله بوخلخال

مدير الجامعة



## كلمة رئيس التحرير

**نتبارك** بصدور هذا العدد الحادي عشر في وقته؛ بعون الله عزّ وجلّ. وبتشجيع إدارة الجامعة. وبسهر هيئة وأمانة التحرير. وبفضل جهود وعطاء الباحثين الأكفاء.

وإذ تقدم هيئة التحرير هذا العدد في صورة حسنة فأملها أن تصدر الأعداد القادمة بشكل مستمر. وتكون أقرب إلى عقول الناس. لتنال استحسان وقبول كثير من القراء داخل الوطن وخارجه.

لهذا تضمن هذا العدد موضوعات علمية متنوعة في علوم القرآن والحديث والعقيدة والفقه والتاريخ والاقتصاد والأدب. وهو أمر لا نعتقد إننا على خطأ في قوله من أن القراء سيجدون هذه المادة العلمية راقية لباحثين محترمين معروضةً بتقنية علمية وفقاً لضوابط منهجية أكاديمية.

ونسأل الله سبحانه وتعالى الرضا

لكل من يعمل على رفع كلمة الحق والعلم

الدكتور عميراوي حميده

## ترشيد رسالة المسجد (\*)

د. أبو عبد الله غلام الله

وزير الشؤون الدينية والأوقاف - الجزائر



بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم  
ياحسان إلى يوم الدين.

أيها السادة الحضور السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:  
فإن الجزائر اليوم في أوج طموحها إلى إقامة مجتمع عصري أصيل قائم على مبادئ  
الحرية والعدل والتضامن في ظل الأمن والاستقرار. بعد أن صمدت وتجاوزت بحمد الله  
الأزمة التي عصفت بها مدة طويلة امتحنت خلالها في صبرها وثباتها وقدرتها على النهوض  
والتقدم.

وما من شك في أن الجزائر تحتاج من أجل ذلك إلى تضامن جميع أبنائها المخلصين الذين  
يضعون مصلحتها العليا دائما فوق كل اعتبار، لأنهم واعون بحجم التضحيات التي يتطلبها  
النهوض والتقدم بخطى ثابتة تستهدف الأمن ووحدة الأمة، قال عليه الصلاة والسلام:  
«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوا  
تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (رواه مسلم). كما تحتاج الجزائر اليوم إلى تكامل

د. أبو عبد الله غلام الله ..... ترشيد رسالة المسجد

جميع مؤسساتها لتؤدي مهامها في استقلال وظيفي محكم ولكن في نسق عام موحد متكامل وهو يعكس كيانا متماسكا قويا؛ كيانا حضاريا قائما على دولة القانون وأخلاقيات العدل. وما من شك كذلك في أن المسجد هو أكثر المؤسسات قدسية وفعالية في التأثير والتوجيه؛ فهو الذي يضمن تأجج قيم واحدة في الضمائر والنفوس على اختلاف المستويات والشرائح والأعمار والميول والاتجاهات في عهد التعددية السياسية والنهج الديمقراطي السليم؛ فالمسجد هو الذي يجس نبض المجتمع خمس مرات في اليوم ليقس مدى تماسكه ووحدته وتناسقه إذ الإسلام كما هو معلوم دين توحيد ووحدة.

إن الذين أجاجوا نار الفتنة في الشباب الجزائري طائفتان: الأولى تتمثل فيمن انسلخوا عن الجزائر كلية منذ السبعينيات؛ بانتحالهم جنسيات أجنبية؛ ففقدوا بذلك أدنى حق في تقرير مصير الجزائر، لأنهم أصبحوا غرباء عنها جغرافيا ووطنيا.

الثانية هم أولئك الذين أخذوا عائلاتهم إلى أوروبا وتركوهم هناك، ثم يحرصون أبناء غيرهم في الجزائر ويدفعوهم إلى الهلاك، لتحقيق مآربهم القريبة والبعيدة.

لقد جاء عن أبي بكر نفيح بن الحارث الثقفي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار: قلت: يا رسول الله، هذا القاتل فما بال المقتول؟.. قال: إنه كان حريصا على قتل صاحبه».

إن المسجد لا يمكن إلا أن يكون مؤسسة رائدة في المجتمع الجزائري، بما أوتى من قدسية في قلوب الجزائريين، مستفيدا من الرصيد التاريخي الذي يمثل مرجعيتنا الدينية الخالدة. فهو ينمي الحياة الروحية بين أفراد المجتمع، ولا يكتفي من الدين بمظهره وصوره، وهو مركز إشعاع لقيمنا الروحية العالية، وهو الحامي من الدوبان في الثقافات الدخيلة كما حمى الجزائر في وقت قريب من الدوبان في ثقافة الاستعمار.

وهو ينمي الفضيلة، ويهذب الأخلاق، ويروض النفوس وهو المصدر والأساس لث قيمه المجتمع؛ كالأخوة والتسامح والتضامن والأمانة والصدق والعزة والكرامة، وهو الذي يخارب

د. أبو عبد الله غلام الله ..... ترشيد رسالة المسجد  
 آفة الكذب، والخيانة، والظلم، والرشوة، والفرقة، والتشتت، وأكل أموال الناس بالباطل،  
 وفي حديث أبي داود، قال رسول الله ﷺ: «ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق».  
 والمسجد هو الروضة، والمدرسة، والجامعة، منه تنطلق أنوار التثقيف والتربية والتعليم؛  
 تعليم أمور الدين والدنيا معا. والمعلمون والمربون هم الأئمة الذين يقتضون أثر النبي  
 ويستلمون سنته في تعليم الناس وتوجيههم؛ فقد جاء في سنن الترمذي أن رسول الله ﷺ  
 أمر أصحابه بتعليم اللغة العبرية والسريانية، واليوم يجب أن يوجه المسجد الناس لتعلم لغات  
 العلم، والكمبيوتر، والانترنت وألا يتفوقوا على لغة واحدة، سواء كانت اللغة الوظيفية أو  
 اللغة المستعارة المهيمنة.

إذن تعلم اللغات الأجنبية واجب ديني وحضاري يفرضه العصر، والمهم هو أن يكون  
 هذا التعلم في خدمة قيم الأمة وثقافتها، بحيث تكون اللغة العربية مثل النهر المغذي، وتكون  
 اللغات الأجنبية الحية المفيدة بمثابة الروافد التي تمدّه وتدعمه، دون أن تدعي الهيمنة عليه  
 وتعويضه.

فمن المسجد إنطلق أجدادنا - وإلى وقت قريب - لتعليم الحساب، وعلم الفلك،  
 والكيمياء، والطب، والصيدلة، ومنه انطلقت حركة ترجمة العلوم من اللغات إلى اللغة  
 العربية، فسادت الأمة، وقادت غيرها؛ لأن المسجد كان على هدي الرسول ممثلاً لقوله ﷺ:  
 ﴿إنما بعثت معلماً﴾.

والمسجد أيضاً ملتقى لفض النزاعات والخصومات، فمنه ترتفع نداءات الوحدة،  
 والتعقل، ونبذ الفرقة، وفيه تستجيب النفوس الثائرة، والقلوب الغاضبة، لدعوة الأخوة  
 والتسامح. وفيه ومنه يتولى الأخيار دفع المظالم، وضمان الديون، وتحمل الدييات، ورأب  
 الصدوع، اقتداء بسنة المصطفى عليه الصلاة والسلام، وتأسياً بأجدادنا في مداشر هذا الوطن  
 الحبيب.

د. أبو عبد الله غلام الله ..... ترشيد رسالة المسجد

والمسجد هو الأمين على عقيدة الأمة وإيمانها، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، يوجه المجتمع ليعيش دينه وعقيدته، وتكون حر كاته وسكناته لله رب العالمين؛ يقوم بواجب النصيحة لله، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم. فهو ضمير الأمة الحي، وقلبها النساب الذي بدونه يتعرض المجتمع إلى الانزلاق من مهاوي الانحلال، والتفسيخ، والإباحة، ثم الاندثار.

إن من مهام المسجد الأساسية محاربة دعاة الفتنة والشقاق، والتعصب المقوت؛ وكل ما يمس بالوحدة المقدسة الجامعة، دينيا ووطنيا. فالجزائر كيان حضاري متماسك أصيل، معتز بتعدد نسيجه الثقافي والاجتماعي، وتمسك بتنوعه، لأنه تنوع ثراء وتكامل لا تنوع تنافر وفرقة. كذلك كان دائما، وهكذا يظل إن شاء الله فهو سبحانه خير حفظا وهو أرحم الراحمين.

ومن البديهي أننا نعي بالمسجد الإمام الذي يضمن له أداء هذه الرسالة الدينية والوطنية الجليلة قال تعالى: ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ (التوبة الآية 18). فالإمام هو المستأمن على أخطر جانب من حياة المجتمع ألا وهو الجانب الروحي: وهو إذ يضطلع بهذه المهمة المقدسة، يصحح العقيدة ويصفي الوجدان ويهذب السلوك عندما ينير الأبصار والبصائر إلى المثل العليا والخلال الكريمة.

ومن البديهي أن اضطلاع المسجد بهذه الرسالة الدينية الوطنية الجليلة يتم انطلاقا من وعي مختلف الأبعاد التي تشكل واقع مجتمعا ثقافيا واجتماعيا واقتصاديا وسياسيا، وفي إطار التوضع الحضاري العام والتطور السريع الذي يشهده العالم من حولنا؛ إذ الخطوة الأولى لعلاج واقع مهزوز تتمثل في إدراك تناقضاته ومفارقاته ووعي ملابساته وخلفياته واعتبار مناخه وتضاريسه.

د. أبو عبد الله غلام الله .....توضيد رسالة المسجد  
وانطلاقاً من هذه المسلمة نقول إن المسجد في مجتمعنا الجزائري يعاني اليوم من حماتين  
معاديتين: أولاهما يمثلها الظاهريون النصيون الذين يلغون نعمة العقل التي وهبها الله سبحانه  
للإنسان ليتدبر ويجتهد للوصول إلى الفهم الصحيح السليم للدين ومقاصد شريعته وفق مسا  
تمليه سنة التطور والتغير والتجديد. هؤلاء الظاهريون الجدد يدعون إلى التقليد الأعمى لتيار  
الجمود الذي يمحصر الإسلام في مظاهر وأشكال، وتعريفات فقهية نظرية بعيدة عن فقه  
الواقع، ويحصر الشريعة في قائمة طويلة مما يجوز وما لا يجوز، ويحصر السنة في التثبيت بنمط  
العيش الذي كان عليه المسلمون الأولون بجزئياته وتفصيله دون أدنى تمييز بين ما هو حوهر  
الدين، خالد بخلوده، وما هو مجرد نمط من أنماط العيش أملت ظروف بيئية اجتماعية  
واقتصادية وحضارية يزول بزوال هذه الظروف، وهذا ما يحتم على العلماء توظيف العقل  
اتباع أصول النظر العلمي، قال تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر  
والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾ (سورة الإسراء الآية 36). هؤلاء الظاهريون  
يدعون كذلك إلى تخفيف الينايع الروحية للدين، التي غدت وحدان المجتمع الجزائري على  
مر القرون بفضل التراث الروحي الزاخر الذي تركه أبناء هذه الأرض الطيبة من العلماء  
الصالحين، وأولياء الله الملتهمين؛ الذين لا تخلو منهم قرية أو دشرة أو مدينة.

الحملة الثانية المعادية للمسجد يمثلها دعاة التغريب واللائكية، ممن تكونوا تكوينا بعيدا  
عن المناخ الحضاري الإسلامي الأصيل، وتأثروا بمنهجية التفكير الغربي القائمة على نظرية  
خاصة إلى الكون والإنسان والحياة، نظرة محكومة بنائية الزمني والروحي، العقل والوجدان،  
الوسائل والغايات، الدين والدولة وما إلى ذلك، مما أفرزه انحراف الكنيسة التي أهانت العقل،  
واحتكرت العلم، وباركت الجمود، وعارضت الفطرة، وشلت الحركة والإبداع.

الإسلام لا يعرف مثل هذه الإشكاليات؛ لأنه نظام رباني شامل كامل لتصريف شؤون  
الأفراد والجماعات والأمم وتحقيق السعادة في الدارين، قال رسول الله ﷺ ﴿خلقت الدنيا  
لكم وإنكم خلقتم للآخرة﴾. والإسلام لا يعرف مثل هذه الثنائيات، لأنه يضع المقاصد

د. أبو عبد الله غلام الله ..... ترشيد رسالة المسجد  
والغايات، ويترك لعقل الإنسان بعد ذلك التفكير والتدبير والاجتهاد، ليضع النظم والقوانين  
والنظريات التي يتوصل إليها بفعل الممارسة والتجربة والتفاعل مع الحياة المتطورة، والانفتاح  
السليم على الغير والاستفادة مما عنده؛ إذ الحكمة ضالة المؤمن يلقطها أُنَى وجدها. الإسلام  
رسالة حضارية إنسانية عالمية؛ لأنه لم يختصه الله سبحانه يقوم دون سواهم، فهو دين  
الإنسانية كلها، لم يرد فيه يا أيها العرب، أو يا أيها الروم، أو يا أيها الفرس، بل ورد فينه  
قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا  
إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (سورة الحجرات الآية 13). وهو عقيدة وشريعة، مثل ومبادئ  
وقيم، وهو كذلك أنس وظرف ولياقة وذوق وفن وجمال.

فهو دين إنساني عالمي، قال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا﴾  
(سورة سبأ الآية 28). هؤلاء التغريبيون يريدون اليوم أن يخشروا المسجد في عملية مناهضة  
النظام الدستوري، وهذا يفضح تناقض فلسفتهم في النظر إلى مؤسسة المسجد ووظيفتها في  
مجتمع عريق أصيل كالمجتمع الجزائري.

إن الإسلام يرفض التفكير الفوضوي المتخلف الذي يعادي المؤسسات القائمة بالتشريع؛  
والإسلام يقيم كل شيء على العلم والنظام، وأما الفوضى فإنما قرينة الجهل والتخلف بسبب  
والتوحش. وقدما قال الشاعر

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ... ولا سراة إذا جهاهم سادوا

وهؤلاء لا ينحصر ضرهم في الدعوة إلى اللانكية التي لا يمكن أبدا أن تروج في  
الجزائر؛ لأنها عضو دخيل على جسم صحيح متناسق، يرفضه ويلفظه؛ وإنما يمثل ضرهم  
الأكبر في دعوتهم الملحة المخومة إلى أحادية اللغة (الفرنسية) لكي يجعلوا من الجزائر رهينة  
حضارية، فهي محتجرة مسجونة في لغة واحدة مفروضة من دون سائر لغات العالم المقرونة  
اليوم بالتقدم العلمي والتكنولوجي.

د. أبو عبد الله غلام الله ..... ترشيد رسالة المسجد

إن التثبيت بأحادية اللغة جعل الجزائر سجينة في عصر التفتح والتطور، وذلك في مختلف المجالات الحيوية؛ ففي الثقافة أصبحنا ندور في محيط ضيق جدا، ونعيش على فئات ما أبدع بهذه اللغة لا غير، فنحرم من العطاء العلمي والفكري والفني والثقافي الإنساني المدون بغيرها، كما أن هذه اللغة أحدثت لنا قطيعة مع تراثنا الوطني في بعدية العربي والأمازيغي الذي صاغته لغة القرآن، التي تيناها الجزائريون لغة للعلم والحضارة منذ الفتح الإسلامي الأول.

في مجال الإدارة كذلك تتجلى آثار أحادية اللغة في التثبيت بالموروث عن الإدارة الاستعمارية من أنماط التسيير، والعزلة التامة عن التجارب المتطورة الرائدة من العالم. فأصبحت فرنسا في نظر هؤلاء أشبه بقبيلة غزية القديمة التي قال فيها أحد الشعراء المتعصبين لها تعصبا أعمى.

وما أنا من غزية إن غوت ... غويت وإن ترشد غزية أرشد

في التربية، أثرت وحدانية اللغة في الإطار الموجه وتلويح فلسفته في النظر إلى العملية التربوية من زاوية واحدة، محكومة بما تفرضه هذه اللغة من قيم، من خلال اتباع مناهجها ونظمها وطرقها؛ فمن المعروف أن الغزو الثقافي ينشط في مجالات حساسة عديدة، لكن أخطرها هي تلك التي تبدو في الظاهر مجردة من كل غرض، بعيدة عن كل مصلحة، مثل مجال التربية والتعليم، إن هذا المجال بالذات ينبغي تحصينه وتعزيزه ليظل في منأى عن كل تأثير، لأنه يمثل شخصية الأمة ويبني مستقبل أجيالها، فلا بد من ربطه دائما بمقومات شخصية هذه الأمة، وفي مقدمتها الدين واللغة، ولقد عبر عن ذلك أحسن تعبير الإمام ابن باديس عندما قال: "لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماؤهم ولن يصلح العلماء إلا إذا صلح تعليمهم، ولن يصلح هذا التعليم إلا إذا رجعنا به إلى التعليم النبوي في شكله وموضوعه" فقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنما بعثت معلما».

في مجال التشريع والقانون وفي الدبلوماسية تتجلى كذلك سلبية أحادية اللغة في حرمان الجزائر من الاطلاع على ما عند الغير، إلى جانب قُميش العربية، اللغة الوطنية



د. أبو عبد الله غلام الله ..... ترشيد رسالة المسجد  
والرسمية، المقوم الأساسي للأمة. ولعل أوضح مثال للنتائج السلبية المنجزة عن الدوران في  
فلك لغة واحدة، هو مجال الدبلوماسية، فلقد حرم هذا التكوين الأحادي لغة الجزائر حتى من  
تتمين الروابط بينها وبين الكيان العربي الإسلامي، باعتبارها جزءا منه، ومن تعزيز الجسور  
المتدا طبعيا منذ قرون بينها وبين المشرق العربي، كل ذلك لأن اللغة الأساسية في تكوين  
دبلوماسيةنا هي الفرنسية وحدها.

إن هاتين الحملتين المعاديتين للمسجد: حملة الظاهريين النصيين المتحجرين والتغريبيين  
اللائكيين، ينبغي أن يقوم النشاط المسجدي بتوعية المواطن بخطورهما؛ فلا يتأثر بهما  
تتعد أساليبهما في محاولة الاستمالة والتأثير والإقناع، كل ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة  
والجدال بالتي هي أحسن.

إن أعداء الجزائر متربصون، يستغلون كل ثغرة وضعف لمحاولة إثارة الفتنة بين صفوف  
أبنائها، لضرب وحدتها الدينية والوطنية. ولعل الأحداث الأليمة التي عاشتها بعض ولايات  
الوطن خير دليل على ذلك.

فمن الذي أوجع الفتنة بإثارة مشاعر التعصب البغيض في نفوس الشباب؟  
ومن حرض هؤلاء الشباب على العنف والتخريب ومن عرضهم للهلاك؟  
ثم فمن الراح أصلا من هذه المأساة، فالحرض جزائري والمخرب جزائري والقاتل  
جزائري والمقتول جزائري؟



## مفكرة جرائم الحدود في الفقه الإسلامي

د. نصر سلمان

جامعة الأمير عبد القادر

**تمهيد:** إن المتأمل لجرائم الحدود في الفقه الإسلامي يلحظ مدى الاهتمام بها، فلم تترك اجتهادات البشر، إذ ما من جريمة إلا ولها تأصيلها من القرآن الكريم، أو السنة النبوية الشريفة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى حرص الشريعة الإسلامية على أرواح الناس، وأعراضهم، وممتلكاتهم، وأمنهم، وسلامتهم. وسنحاول التطرق لهذه الجرائم بإيجاز على النحو الآتي:

**أولاً: تعريف الحدود:** وستناوله بشقيه اللغوي والاصطلاحي على النحو الآتي:

أ- لغة: يطلق الحد في اللغة على الحاجز الذي يحجز شيئين عن بعضهما البعض كما يقال لحقيقة الشيء حد لأنه مانع من دخول غيره فيه، ومنه سمي البواب حدًا لأنه يمنع الناس من الدخول<sup>(1)</sup>.

وسمي الحد بذلك لأنه يمنع الخاني من ارتكاب واقتراف ذلك الفعل.

ب- اصطلاحاً: "هو عقوبة مقدرة وجبت حقاً لله عز وجل"<sup>(2)</sup>.

بمعنى أنها مقدرة لا تقبل الزيادة ولا النقصان، فمثلاً: عقوبة القذف ثمانين جلدة، لا يزداد عليها ولا ينقص منها.

(1) الصحاح، 462/2، والمغرب 186/1.

(2) الإشراف 233/2 وحاشية رد المختار 3/4. والكافي 1068/2.

د. نصر سلمان ..... مفكرة جرائم الحدود في الفقه

**ثانياً: النص في الحدود (1):** لقد اهتمت الشريعة الإسلامية بجرائم الحدود، ونظمتها أيما تنظيم، ولم تتركها لتخضع لاجتهادات الفقهاء والعلماء، وإنما أحضعتها لنصوص الشريعة الإسلامية وهذا ما سنبينه على النحو الآتي:

1- **حد الزنى:** ثبت بقوله تعالى: «الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة»<sup>(2)</sup>.

وبقوله ﷺ "خذوا عني فقد جعل الله لهن سبيلاً: البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة"<sup>(3)</sup>.

2- **حد القذف:** ثبت بقوله تعالى: «والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون»<sup>(4)</sup>.

3- **حد السرقة:** ثبت بقوله تعالى: «والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله»<sup>(5)</sup>.

4- **حد العرابة:** ثبت بقوله تعالى: «إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم»<sup>(6)</sup>.

5- **حد المبغى:** ثبت بقوله تعالى: «وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحو بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله»<sup>(7)</sup>.

(1) أخذنا هذا العنوان من موجز أحكام الشريعة الإسلامية في التجرىم والعقاب. 28.

(2) النور. 2.

(3) مسلم: كتاب: الحدود باب: "حدّ الزنى" 1316/3-1317.

(4) النور: 4.

(5) المائدة: 38.

(6) المائدة: 33.

(7) الحجرات: 9.

د. نصر سلمان ... مفكرة جرائم الحدود في الفقه

6- حد الردة: ثبت بقوله ﷺ: "لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة..."<sup>(1)</sup>.

7- حد الشرب: ثبت بقوله ﷺ: "من شرب الخمر فاجلدوه ثم إن شرب فاجلدوه ثم إن شرب فاجلدوه..."<sup>(2)</sup>.

قال أحمد وهبة: "هذه هي جرائم الحدود ليس فيها جريمة إلا بتشريع يجرمها، ولا عقوبة إلا ينص يحددها لأنها عقوبات مقدرة حقا لله تعالى، عقوبات محددة النوع والمقدار لا يجوز المساس بها"<sup>(3)</sup>.

ثالثًا: خصائص الحدود<sup>(4)</sup>: للحدود خصائص عديدة تختلف بمآ عن القصاص والتعزير، نحاول إجمالها في الآتي:

- 1- الحدود حق من حقوق الله تعالى، لأنها إذا وصلت للإمام فليس للعبد حق إسقاطها خلافا للقصاص الذي يجتمع فيه حق الله تعالى وحق العبد وحق العبد هو الغالب.
- 2- الحدود ذات حد واحد فإذا ثبت الزنى جلد مائة جلدة من غير زيادة ولا نقصان.
- 3- الحدود لا يقيمها إلا الإمام أو من يقوم مقامه.
- 4- الحدود تجري فيها التداخل فمثلا لو سرق المجرم سرقات متعددة ولم يقم عليه الحد فإذا أُلقي عليه القبض أقيم عليه لذلك كله حد واحد.
- 5- الحدود تنصف بالرق: وذلك لقوله تعالى: «فإذا أحصن فإن آتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشي العنت منكم وإن تصبروا خير لكم والله غفور رحيم»<sup>(5)</sup>، فإذا زنت الأمة جلدت خمسين جلدة.

(1) مسلم كتاب: القسامة باب: "ما يباح به دم المسلم" 1302/3-1303.  
(2) أخرجه الدرامي بلفظ "إذا سكر فاجلدوه..." كتاب الأشربة باب: "العقوبة في شرب الخمر" 156/2.  
(3) موجز أحكام الشريعة الإسلامية في التجريم والعقاب. 29.  
(4) لخصنا هذه الخصائص من مدخل الفقه الجنائي الإسلامي 97-145 لهنسي.  
(5) النساء: 25.

د. نصر سلمان .....مفكرة جرائم الحدود في الفقه

- 6- الحدود لا يجري فيها الإرث: وذلك لقوله تعالى: «ولا تزر وازرة وزر أخرى»<sup>(1)</sup>.
  - 7- لا يقبل في الحدود العفو ولا الشفاعة إذا وصلت للإمام.
  - 8- الحدود لا تقام في المساجد، لما فيها من شبهة تلويث المسجد، وحدوث ضحيج المقام عليه الحد فيه.
  - 9- لا تقام الحدود في أرض العدو، إذ قد يؤدي ذلك إلى التحاق الجاني بالكفار.
  - 10- الحدود لا تقبل فيها إلا شهادة الرجال.
  - 11- الحدود تدرأ بالشبهات.
  - 12- الحدود يطلب فيها الستر على الجاني.
  - 13- ما يحدث في الحدود من تلف فهو هدر لا ضمان على منفذه شريطة أن يأتي بما على الوجه المشروع، وإلا لزمه الضمان.
- وأبوعا: إطلاقات الحدود<sup>(2)</sup>:** يطلق الحد على أربعة مسميات هي:
- 1- يطلق على عقوبات المعاصي، وذلك لأنها سبب في منع مرتكب الجريمة من العودة إليها.
  - 2- يطلق على نفس المعصية كما هو الشأن في قوله تعالى: «وتلك حدود الله فلا تعتدوها»<sup>(3)</sup>.
  - 3- يطلق على ما حده الله وقدره من أحكام، كما في قوله تعالى: «وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه»<sup>(4)</sup>.
  - 4- يطلق الحد على اللفظ الجامع، المانع لأنه يجمع معاني الشيء الواحد، ويمنع دخول غيره فيه.

(1) الإسراء: 15.

(2) أحكام الحدود في الشريعة الإسلامية 9-10. محمود فؤاد جاد الله.

(3) البقرة: 229.

(4) الطلاق: 1.

د. نصر سلمان ..... مفكرة جرائم الحدود في الفقه

**خامساً: الحكمة من تشريع الحدود<sup>(1)</sup>:** لا شك أن الشارع يرمي من وراء فرضه لهذه الحدود تقويم سلوك الإنسان، وكذا حماية المجتمع من الآفات الفتاكة التي تهدده بالقضاء على كيانه ومقوماته. فلا غرو، ولا عجب إذا رأينا الإسلام يحارب هذه الجرائم، ويقنن لها ما يجنب المجتمع شر الوقوع فيها، ولذا شرع الحدود عقاباً لهذه الجرائم وردعاً لمرتكبيها، وتقويماً لسلوكهم وعظة لغيرهم حتى لا يقعوا في مثل ما وقعوا فيه، ولذلك قال الله تعالى عقب حد جريمة الزنى: «وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين»<sup>(2)</sup>.

وبهذا صان الأعراض، فلم تنتهك بفعل أو قول، فمن انتهكها بفعل حدّ حدّ الزنى، ومن انتهكها بقول حدّ القذف.

كما كفل الحماية لأموال الناس وأرواحهم وذلك بتشريع حدّي السرقة والحراية، إضافة إلى أنه صان العقول فحرم الخمر، وأعد لشارها العقوبة الزادة.

هذا ولم ينس الإسلام المحافظة على الأمن العام فشرع حد البغي لأولئك الذين يخرجون عن الإمام، متسبين في فوضى سياسية، قد تقوض أركان الدولة بكاملها.

كما أعد عقوبة القتل لأولئك الذين يتخذون من الدين لعبة يعتنقونه متى يشاؤون ويخلعون اعتناقهم من ربقته متى يشاؤون.

**والخلاصة:** أن الشارع الحكيم قصد في تشريعه هذه العقوبات المقدرة حماية المجتمع من هذه الجرائم الفتاكة التي تهدد مقوماته الأساسية، المتمثلة في الأعراض، والأموال، والعقول، والأرواح.

**سادساً: أنواع جرائم الحدود:** إن جرائم الحدود محصورة في سبعة أنواع وهي: "حد الشرب، حد البغي، حد الردة، حد الزنى، حد القذف، حد السرقة، حد الحراية".

وستتناول هذه الجرائم بإيجاز شديد مركزين على الأحكام المهمة في كل منها.

(1) العقوبة المقدرة لمصلحة المجتمع الإسلامي. 13-15.

(2) النور. 2.

## أولاً: حد شرب الخمر

وستتناوله في النقاط الآتية:

١- مراحل تحريم الخمر<sup>(١)</sup>: مرّ تحريم الخمر بأربع مراحل نوردها على النحو الآتي:  
المرحلة الأولى: أنزل الله تعالى بمكة قوله: «ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً»<sup>(٢)</sup> فكان الناس يشربونها.

المرحلة الثانية: ثم نزل بالمدينة قوله تعالى: «يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس»<sup>(٣)</sup> فتركها قوم لقوله تعالى: «قل فيهما إثم كبير» وشربها آخرون لقوله تعالى: «ومنافع للناس».

المرحلة الثالثة: جاءت لتنتهي عن قربان الصلاة في حالة السكر، وذلك أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه صنع طعاماً ودعا إليه ناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطعمهم وسقاهم الخمر، وحضرت صلاة المغرب فقدموا أحدهم ليصلي بهم، فقرأ: "قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون" بخذف لا فتزل قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون»<sup>(٤)</sup> فحرم الله السكر في أوقات الصلاة فكان الرجل يشربها بعد صلاة العشاء فيصبح وقد زال سكره.

المرحلة الرابعة: وهي مرحلة التحريم النهائي، وذلك أن عتيان بن مالك صنع طعاماً ودعا إليه رجالاً من المسلمين فيهم (سعد بن أبي وقاص) رضي الله عنه، وكان قد شوى لهم رأس بعير، فأكلوا وشربوا الخمر حتى أخذت منهم، فافتخروا عند ذلك وتناشدوا الأشعار، فأنشد بعضهم قصيدة فيها فخر بقومه، وهجاء للأنصار، فأخذ رجل من الأنصار لحسي بعير، فضرب به رأس سعد فشجّه، فانطلق سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا إليه الأنصاري، فأنزل الله

(١) روائع البيان ١/ 272-273.

(٢) التحل. 67.

(٣) البقرة: 219.

(٤) النساء: 43.

د. نصر سلمان .....مفكرة جرائم الحدود في الفقه  
قوله: «إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه... فهل  
أنتم منتهون»<sup>(1)</sup>، فقال عمر انتهينا ربنا انتهينا.

وفي تحريم الخمر بهذه الطريقة حكمة جلية، وذلك لأن القوم ألفوا شربها واحتساءها فلو  
حرمت دفعة واحدة لشق ذلك على نفوسهم، ولربما لم يستجيبوا لذلك<sup>(2)</sup>.

2- أنواع الخمر<sup>(3)</sup>: توجد الخمر في الأسواق بأسماء مختلفة وتقسم بحسب ما تحويه  
من النسب المثوية للكحول.

فهناك مثلا: البراندي، والوسكي، والروم، واللكير وغيرها وتبلغ نسبة الكحول فيها من  
40% إلى 60%. كما تبلغ النسبة في الجن، والهولندي، والجنيفا من 33 إلى 40%. وتحتوي  
بعض الأصناف الأخرى مثل: البورت، والشري، والماديرا على 15 إلى 25% كما تحتوي  
الخمر الخفيفة مثل: الكلارت، والهوك، والشمبانيا والبرجاندي على 10 إلى 15%. أما أنواع  
البيرة الخفيفة فتحتوي على 2 إلى 9% مثل الأيل، والبورتر، والإستوت، والميونغ وغيرها.  
وهناك أصناف أخرى تحتوي على نفس النسب الأخيرة مثل: البوظة، والقصب المتخمّر  
وغيرهما.

3- أركان جريمة شرب الخمر<sup>(4)</sup>: حتى تكون جريمة الشرب ثابتة ينبغي أن يتوفر  
الركن المادي المتمثل في المادة المسكرة، والركن الثاني المتمثل في الجنائي الذي يجب لإقامة  
الحد عليه أن يكون عاقلا، بالغاً، مسلماً، مختاراً، والركن الثالث القصد الجنائي وذلك بأن  
يكون الشارب للخمر قاصدا السكر، فإن كان لا يعلم أن المشروب مسكراً، فشربه فسكراً  
فلا حد عليه، وذلك لانتفاء القصد الجنائي.

(1) المائدة: 90-91.

(2) روائح البيان 273/1. للصابوني.

(3) فقه السنة 2/382-383. لسيد سابق.

(4) الجرائم في الفقه الإسلامي 182-191 لبهنسي.



د. نصر سلمان ..... مفكرة جرائم الحدود في الفقه

4- طرق إقباته جريمة شرب الخمر: لا شك أن جريمة الخمر شأنها شأن الجرائم الأخرى حاشا جريمة الزنا فإنها تثبت بشهادة رجلين عدلين، ولا مدخل لشهادة النساء فيها، أو بإقرار الجاني بأنه شرب الخمر.

#### 5- حد الخمر: فيه روايتان<sup>(1)</sup>:

الرواية الأولى: أنه ثمانون وبهذا قال مالك، والثوري، وأبو حنيفة، ومن تبعهم وذلك لإجماع الصحابة إذ روي أن عمر استشار الناس في حد الخمر، فقال عبد الرحمن بن عوف: اجعله كأخف الحدود ثمانين، فضرب عمر ثمانين، وكتب به إلى خالد، وأبي عبيدة بالشام. وروي أن عليا قال في المشورة: إنه إذا سكر هذى، وإذا هذى افتري، فحدوه حد المفتري.

الرواية الثانية: أنه أربعون، وهذا اختيار أبي بكر الخليلي، ومذهب الشافعي، وذلك لأن عليا جلد الوليد بن عتبة أربعين، ثم قال: جلد النبي أربعين، وأبو بكر أربعين، وعمر ثمانين، وكل سنة، وهذا أحب إلي.

خلق ابن قدامة على الروايتين بقوله: "ولا ينعقد الإجماع على ما يخالف فعل النبي، وأبي بكر وعلي (رضي الله عنهما) فتحمل الزيادة من عمر على أنها تعزير يجوز فعلها إذا رآه الإمام"<sup>(2)</sup>.

#### 6- مسقطات الحد: يسقط الحد عن شارب الخمر في الحالات الآتية<sup>(3)</sup>:

- أ- إذا شربها جاهلا أو ظانا أنها ليست خمرا.
- ب- أن يشربها غير عالم بجرمها كحديث عهد بالإسلام.
- ج- أن لا يكون عالما أن الكثير منها مسكر.

1 | المعنى 329/10.

2 | المصدر نفسه 330/10.

3 | العقوبة المقدرة لمصلحة المجتمع الإسلامي. 354.

د. نصر سلمان ..... مفكرة جرائم الحدود في الفقه

د- أن لا يكون قد شرها مكرها فإن شرها مكرها فلا حد عليه.

هـ- إذا شرها مضطرا لدفع غصة فلا حد عليه وذلك لأن الضرورات تبيح المحظورات.

## ثانيا: حد الردة

وستناوله بإيجاز في النقاط الآتية:

### 1- تعريفها:

أ- لغة: تطلق الردة في اللغة على الرجوع عن الشيء<sup>(1)</sup>.

ب- اصطلاحا: هي الرجوع عن الإسلام إلى الكفر<sup>(2)</sup>.

2- التأصيل الشرعي لحد الردة: وردت آيات وأحاديث كثيرة مؤصلة لحد الردة

منها:

أ- قوله تعالى: "ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون"<sup>(3)</sup>.

ب- وقوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا من يرتدد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه"<sup>(4)</sup>.

ج- وقوله تعالى: "من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم"<sup>(5)</sup>.

د- وقوله: "من بدل دينه فاقتلوه"<sup>(6)</sup> وكذا قوله "لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان، وزنا بعد إحصان، وقتل نفس بغير نفس..."<sup>(7)</sup>.

(1) لسان العرب مادة: "ردد" 1622/3.

(2) العقوبة المقدرة لمصنحة المجتمع الإسلامي 367.

(3) البقرة: 217.

(4) المائدة: 54.

(5) النحل: 106.

(6) البيهقي: السنن، كتاب المرتد، باب: "قتل من ارتد عن الإسلام" 195/8.

(7) سبق تخريجه.

د. نصر سلمان ..... مفكرة جرائم الحدود في الفقه

3- **أركان جريمة الردة وطرق إثباتها<sup>(1)</sup>**: حتى تكون جريمة الردة تامة موجبة للعقوبة يجب أن يتوفر فيها القصد الجنائي المتمثل في الإتيان بالفعل وهو يقصد بذلك الكفر والفعل المادي المتمثل في الخروج عن الدين الإسلامي إلى دين آخر، وقد يكون ذلك بللقول فينطق بألفاظ مفادها خروجه من الدين الإسلامي ودخوله في دين آخر، كما يكون بالفعل كأن يأتي بأفعال تفيد رده كإلقاء المصحف في الأقدار، أو سب الله تعالى أو سب الرسول ﷺ والفاعل لجريمة الارتداد يشترط فيه أن يكون مسلماً، بالغاً، عاقلاً، مختاراً.

أما طرق إثباتها فشأنها شأن باقي الجرائم إذ تثبت بشهادة عدلين، أو إقرار الجاني.

4- **حد الموتد**: ذهب أكثر أهل العلم إلى أن المرتد يستتاب ثلاثاً وهو قول عمر وعلي وعطاء والنخعي ومالك والثوري والأوزاعي وابن راهويه وأصحاب الرأي وهو أحد قولي الشافعي.

وروي عن أحمد أنه لا تجب استتابته وإنما تكون على سبيل الاستحباب وهو القول الثاني للشافعي، وكذا قول عبيد بن عمير وطاووس والحسن لقوله ﷺ: "من بدل دينه فاقتلوه" ولم يذكر استتابته.

فإن لم يتب وجب قتله وذلك لقوله ﷺ: "لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة"<sup>(2)</sup>.

5- **الأثار المترتبة عن الردة**: هناك آثار عدة نجمها في الآتي (3): أ- العقوبة: وتتمثل في القتل بعد رفضه التوبة ثلاثاً. ب- فسخ الزواج. ج- مصادرة أملاكه.

(1) انظر المسؤولية الجنائية في الفقه الإسلامي 116-122 و 137-138. لبهنسي.

(2) المغني 76/10 وكذا 74/10.

(3) المسؤولية الجنائية في الفقه الإسلامي 123-137.

## ثالثاً: حد البغي

وستتناوله بإيجاز في النقاط الآتية:

### 1- تعريفه البغي:

أ- لغة: البغي يطلق في اللغة على الطلب يقال بغى فلان ذلك الشيء أي طلبه ثم غلب على الاستعمال في طلب ما لا يحل من الجور والظلم والاعتداء وتجاوز الحد<sup>(1)</sup>.  
ب- اصطلاحاً: "البغي هو الخروج عن طاعة إمام الحق بغير حق"<sup>(2)</sup>.

2- التأصيل الشرعي لجريمة البغي: وردت آيات وأحاديث كثيرة تؤصل لعقوبة هذه الجريمة منها:

أ- قوله تعالى: "وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين"<sup>(3)</sup>.  
ب- وقوله تعالى: "إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون"<sup>(4)</sup>.

ج- وما يرويه ابن عمر عن الرسول ﷺ أنه قال: "من أعطى إماماً صفقة يده، وثمره فؤاده فليطعه ما استطاع، فإن جاء آخر ينازعه، فاضربوا عنقه الآخر"<sup>(5)</sup>.

3- أركان جريمة البغي: تقوم جريمة البغي على ثلاثة أركان أساسية هي<sup>(6)</sup>:

(1) المعجم الوسيط مادة: "بغى" 1/64.

(2) شرح فتح القدير. 48/4.

(3) الحجرات: 9.

(4) الحجرات: 10.

(5) رواه الإمام مسلم في الجامع الصحيح.

(6) التشريع الجنائي الإسلامي 2/674-697. لعودة.

د. نصر سليمان ..... مفكرة جرائم الحدود في الفقه  
أ- الخروج عن الإمام وذلك بالامتناع عما وجب عليهم من حقوق، أو بمخالفة الإسلام،  
والعمل على خلعه.

ب- أن يكون الخروج مغالبة: ومعنى ذلك أن يكون استعمال القوة هو الوسيلة المتبعة  
للخروج أما إذا كان الخروج غير مقرون باستعمال القوة، فلا يعدّ بغيا.  
ج- القصد الجنائي المتمثل في قصد البغي أي قصد الخروج عن الإمام مغالبة، فإذا لم  
يقصد الخارج من فعله الخروج عن الإمام، أو لم يقصد المغالبة، فهو ليس باغيا.

#### 4- بعض أحكام البغاة<sup>(1)</sup>: هناك أحكام كثيرة منها:

- أ- أن البغاة لم يخرجوا ببغيتهم عن دائرة الإيمان فإن الله تعالى سماهم مسلمين.
- ب- أن الله أوجب قتالهم وصدّهم عن صنيعهم.
- ج- أن الله تعالى أسقط قتالهم إذا تابوا وفاعوا إلى أمر الله تعالى.
- د- أنهم تسقط عنهم التبعة فيما أتلفوه أثناء خروجهم وقتالهم.

#### رابعا: حد السرقة

وستتناوله على النحو الآتي:

#### 1- تعريفه السرقة:

- أ- لغة: مأخوذة من استرق الشيء أي أخذه من الغير على سبيل الخفية<sup>(2)</sup>.
  - ب- اصطلاحا: هي أخذ مال الغير مستترا من غير أن يؤمن عليه<sup>(3)</sup>.
- 2- أركان جريمة السرقة: حتى تكون جريمة السرقة ثابتة في حق الجاني ينبغي أن تتوفر فيها أركان الجريمة المتمثلة في:
- أ- كون الجاني سرق المتاع خفية من حرز سواء أكان الحرز مكانا أو حافظا.

(1) المغني 48/10.

(2) المصباح المنير 419/1.

(3) بداية المجتهد 372/2.

د- نصر سلمان ..... مفكرة جرائم الحدود في الفقه

ب- أن يكون المسروق شيئاً منقولاً، ينقل من حيازة المخني عليه إلى حيازة الخاني،  
وعليه، فلا قطع ولا سرقة فيما لا ينقل كالعقارات مثلاً.

ج- أن يكون المسروق مملوكاً للغير<sup>(1)</sup>.

د- أن يبلغ المسروق نصاباً وقد وقع الاختلاف في مقدار نصاب القطع إلى أقوال عديدة  
نحملها في الآتي:

**القول الأول:** القطع في دينار ذهبي: وبه قال الحنفية<sup>(2)</sup>.

**القول الثاني:** القطع في عشرة دراهم فضية وبه قال أبو حنيفة<sup>(3)</sup>، وأبو يوسف ومحمد بن  
الحسن الشيباني وزفر<sup>(4)</sup>.

**القول الثالث:** القطع في ربع دينار ذهبي، وبه قال المالكية<sup>(5)</sup>، والشافعية<sup>(6)</sup>، والحنابلة<sup>(7)</sup>.

**القول الرابع:** القطع في ثلاثة دراهم فضية: وبه قال مالك<sup>(8)</sup>، وأحمد<sup>(9)</sup>.

**القول الخامس:** القطع في القليل والكثير من الفضة وبه قال ابن حزم<sup>(10)</sup> وداود  
الظاهر<sup>(11)</sup>.

**القول السادس:** القطع في قليل السرقة وكثيرها مطلقاً دون اشتراط للنصاب وبه قال  
الحسن البصري<sup>(12)</sup>، وأبو عبد الرحمن بن بنت الشافعي<sup>(13)</sup>.

(1) الجرائم في الفقه الإسلامي 32-50.

(2) الهداية 408/2 والنهاية 534/5.

(3) الباري: شرح العناية 358/5، والخصاص: أحكام القرآن 416/2.

(4) أحكام القرآن 416/2، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم 568/2.

(5) أسهل المدارك 177/3، ومواهب الجليل 306/6، وشرح الزرقاني عن مختصر خليل 94/8 والشمس السان 599.

(6) زاد المحتاج 219/4، والنهاية 219/4، ومعني المحتاج 158/4.

(7) المحرر 157/2، والمعني 139/10.

(8) المنتقى 157/7، وأوجز المسالك 281/13.

(9) دليل الطالب 258.

(10) المحلى 346/12-347.

(11) أوجز المسالك 281/13.

(12) فتح الباري 106/12 وأوجز المسالك 281/13، والمجموع 82/20.

(13) زاد المحتاج 219/4 ومعني المحتاج 158/4 وروضة الطالبين 327/7.

د. نصر سلمان .....فكرة جرائم الحدود في الفقه

القول السابع: القطع في درهين وبه قال زياد بن أبي زياد<sup>(1)</sup>، وعثمان بن<sup>(2)</sup>، والحسين البصري في قول آخر<sup>(3)</sup>.

القول الثامن: القطع في خمسة دنانير أو خمسين درهما وبه قال سعيد بن جبير<sup>(4)</sup>.

القول التاسع: القطع في أربعة دنانير أو أربعين درهما وبه قال النخعي<sup>(5)</sup>.

القول العاشر: القطع في درهم فما فوقه وبه قال الحسن البصري<sup>(6)</sup> في قول آخر وابس الزبير<sup>(7)</sup>، وعثمان بن<sup>(8)</sup>، وربيعة الرأي<sup>(9)</sup>.

القول الحادي عشر: القطع في ثلث دينار وبه قال الباقر<sup>(10)</sup>.

القول الثاني عشر: القطع في نصف درهم وبه قال ابن الزبير في قول آخر<sup>(11)</sup>.

القول الثالث عشر: القطع في أربعة دراهم وبه قال أبو هريرة وأبو سعيد الخدري<sup>(12)</sup>.

القول الرابع عشر: القطع في ثلاثين درهما وبه قال مالك في أحد أقواله<sup>(13)</sup>.

القول الخامس عشر: القطع في خمسة دراهم وبه قال أبو بكر الصديق<sup>(14)</sup>، وعم

الفاروق<sup>(15)</sup>، وأنس<sup>(16)</sup>، وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري في قول آخر<sup>(17)</sup>.

(1) عمدة القاري 278/24 والمجموع 82/20 ونيل الأوطار 299/7.

(2) بداية المجتهد 481/2.

(3) فتح الباري 106/2 وعمدة القاري 278/24 والمجموع 82/20 ونيل الأوطار 299/7.

(4) تفسير ابن كثير 569/2.

(5) المجموع 82/20 وفتح الباري 106/12.

(6) أحكام القرآن 416/2.

(7) الجامع لأحكام القرآن 161/6.

(8) أوجز المسالك 281/13 ونيل الأوطار 299/7.

(9) عمدة القاري 278/24 والمجموع 82/20.

(10) فتح الباري 107/12 ونيل الأوطار 299/7.

(11) عمدة القاري 278/24.

(12) أحكام القرآن للنحاص 416/2 وتخفة الأحوذى 5/5.

(13) بدائع الصنائع 77/7.

(14) عارضة الأحوذى 225/6 وأوجز المسالك 281/13.

(15) المجموع 82/20 وفتح الباري 107/12.

(16) أحكام القرآن للنحاص 416/2 والجامع لأحكام القرآن. 160/6.

(17) شرح السنة 483/5 وتخفة الأحوذى 5/5.

د. نصر سلمان .....مفكرة جرائم الخرد في الفقه  
بعد عرض هذه الأقوال المتعددة نذكر هنا بأن لكل قول أدلته وحججه، ولم نرد إثباتاً  
هنا نحاشيا لحال الطول، كما نذكر هنا بأنه رغم كثرة الأقوال في نصاب السرقة إلا أن ما  
عليه الجماهير والكثرة الكاثرة من العلماء أن نصاب القطع في السرقة هو ربع دينار ذهبي أو  
ثلاثة دراهم فضية، وهو أيضا الذي تسنده الأدلة القوية، والتي أغفلنا ذكرها تجنبا للطول.

**طرق إثبات جريمة السرقة<sup>(1)</sup>:** تثبت جريمة السرقة بالإقرار أو بشهادة عدلين.  
وهناك رأي في مذهب الإمام الشافعي يرى أن السرقة تثبت باليمين المردودة، فلو نسب  
المخني عليه السرقة للمتهم فنكل السارق عن اليمين فحلفها المدعي قطع السارق لأثم يرون  
أن اليمين المردودة كالإقرار والبيّنة، وهذا الأخير رأي مرجوح في المذهب، وأن الراجح في  
المذهب الشافعي لا يثبت بها القطع وإنما يثبت بها المال المسروق فقط وهو قول مالك وأبي  
حنيفة وأحمد فإنهم هم الآخرون يرون اليمين المردودة دليلا مثبتا للمال فقط دون غيره، وأن  
السارق لا يقطع بها.

**حد السرقة:** إذا ثبتت جريمة السرقة قطعت اليد اليمنى للسارق من الرسغ، فإن عاد  
السرقة قطعت رجله اليسرى من مفضل الكعب، فإن عاد فلا قطع عليه عند أحمد وأبي  
حنيفة لأحما بريان أن ذلك يفوت عليه مصلحة الأكل والمشى، ولأن عليا بن أبي بسارق  
قطعت يده ورجله، فلم يقطعه وقال: "إني لأستحيي من الله ألا أدع له يدا يبيضس بها ولا  
رجلا يمشي عليها".

بينما ذهب مالك والشافعي وفي قول لأحمد بأنه إن عاد الثالثة قطعت يده اليسرى، فإن  
عاد الرابعة قطعت رجله اليمنى، فإن عاد حبس حتى يموت أو تظهر توبته<sup>(2)</sup>، هذا بالإضافة  
إلى ضمان المسروق.

(1) التشريع الجنائي الإسلامي 611/2-617.

(2) المرجع نفسه 622/2-623.



## خامسا: حد الحرابة

وستناولها بإيجاز على النحو الآتي:

### 1- تعريفه الحرابة:

أ- لغة: الحرابة في اللغة تطلق على المعصية عموماً<sup>(1)</sup>، ثم أصبحت علماً يطلق على من قطع الطريق وشهر السلاح.

ب- اصطلاحاً: "الحرابة هي إشهار السلاح وقطع السبيل خارج السكن أو داخله، وهو ما ذهب إليه مالك<sup>(2)</sup> بينما رأى أبو حنيفة أن الحرابة لا تكون داخل السكن أبداً<sup>(3)</sup>."

2- التأويل لعقوبة الحرابة: أصلت الشريعة الإسلامية لعقوبة الحرابة في سورة المائدة وذلك في قوله تعالى: «إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدُرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ»<sup>(4)</sup>.

وسبب نزول هذه الآية يتمثل في أن ناساً من عرينة قدموا المدينة فاجتووها<sup>(5)</sup> فبعثهم رسول الله ﷺ إلى إبل الصدقة، وأمرهم أن يشربوا من ألبانها وأبوالها، ففعلوا، فصحوا وارتدوا عن الإسلام، وقتلوا الراعي، واستاقوا الإبل، فأرسل رسول الله ﷺ في آثارهم، فحجى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، وسمر أعينهم وألقاهم بالحرّة حتى ماتوا، فنزلت هذه الآية: «إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...»<sup>(6)</sup>.

(1) لسان العرب مادة "حرب" 816/2.

(2) المدونة 75/16.

(3) نصب الراية 240/3.

(4) المائدة 33-34.

(5) استوحوها.

(6) البخاري كتاب الحدود باب: "سمر النبي - صلى الله عليه وسلم - أعين المخاريين" 112/12.

د. نصر سلمان .....مفكرة جرائم الحدود في الفقه

**شروط تحقق حصول جريمة الحراية:** لكي يتحقق حصول جريمة لا بد من توافر شروط في المتهم، وأخرى في المجني عليه، وثالثة بالفعل، وسنفضل فيها القول على النحو الآتي<sup>(1)</sup>:

1- الشروط التي ترجع للمتهم: فإنه يشترط فيه أن يكون بالغاً عاقلاً.

2- الشروط التي ترجع للمجني عليه: فإنه يشترط فيه أن يكون مسلماً أو ذمياً لأن عقد الذمة أفاده عصمة ماله خلافاً للحربي فإن ماله غير معصوم وبالتالي فلا حد على قتلها الطريق فيه على رأي البعض، وأن لا تكون بينه وبين المتهم صلة رحم في رأي البعض أسوة بجريمة السرقة.

3- الشروط التي ترجع للفعل: فإنه يشترط فيه توفر أركان جريمة السرقة السالفة الذكر باستثناء شرط الخفية لأن المحارب يأخذ المال على سبيل الجاهزة، وأن ترتكب الجريمة خارج المدن العامرة خلافاً للإمام مالك الذي يرى الحراية خارج السكن وداخله، إضافة إلى أن ترتكب الجريمة تامة، فلا يعاقب على مجرد الشروع فيها.

**طرق الإثبات في الحراية:** الحراية شأنها شأن الجرائم السابقة الذكر فهي تثبت بشهادة عدلين أو إقرار الجاني.

**لعقوبة المعارب:** تنصور في عقوبة المحارب الآتي<sup>(2)</sup>:

1- إذا قتل وأخذ المال فإنه يقتل ويصلب مقدار ما يشتهر أمره ويعلمه الناس حتى يكون رادعاً لهم.

2- إذا قتل ولم يأخذ المال فإنه يقتل دون صلب.

3- إذا أخذ المال ولم يقتل فإنه تقطع يده اليمنى ورجله اليسرى.

4- إذا أخاف السبيل ولم يقتل ولم يأخذ مالا فإنه ينفى.

(1) الجرائم في الفقه الإسلامي 85-90.

(2) المرجع نفسه. 93-94.

**توبة المحارب:** لا تخلو توبته من أمرين<sup>(1)</sup>:

**الأول:** أن يتوب قاطع الطريق بعد القدرة عليه فهنا لا تسقط عنه عقوبات الخرابسة بحسب التفصيل السابق.

**الثاني:** أن يتوب قطع الطريق قبل القدرة عليه فهنا تسقط عليه عقوبة الخرابسة وذلك لقوله تعالى: «إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم» وسقوط هذه العقوبة بالنسبة لحز السلطنة العامة، أما حقوق الأفراد فلا تسقط فيبقى عليهم القصاص في النفس، وغرامة المال المسروق، والدية إذا عفا أهل المقتول... الخ.

### سادسا: حد الزنى

وستناوله خلال النقاط الآتية:

#### 1- تعريفه:

أ- لغة: يطلق في اللغة على التهمة ومن ذلك قول حسان في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: حسان رزان ما تزّن برية<sup>(2)</sup>، ثم أصبح علما على التهمة بالزنى.

ب- اصطلاحا: هو انتهاك الفرج المحرم بالوطء المحرم في غير الملك ولا شبهته<sup>(3)</sup>.

**مراحل تحريم الزنا:** مر تحريم الزنا بعدة مراحل نوجزها في الآتي:

قوله تعالى: «واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما»<sup>(4)</sup> فكانت العقوبة بالإيداء عن طريق التوبيخ والتعنيف.

ثم تدرج الحكم ليصبح الحبس في البيوت كما هو الشأن في قوله تعالى: «واللائي يسأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سيلا»<sup>(1)</sup>.

(1) الجرائم في الفقه الإسلامي. 94-95.

(2) نسان العرب، مادة: "زنى" 3/1875.

(3) الذخيرة 8/114.

(4) النساء: 16.

د. نصر سلمان .....مفكرة جرائم الحدود في الفقه

ثم جعل الله لمن سببلا، فجعل عقوبة الزاني البكر جلد مائة، ورجم الثيب حتى الموت.

**أركان جريمة الزنى:** تتمثل أركان جريمة الزنا في الفعل المادي المتمثل في السوطء وكذا الفاعلين للزنا وهما الرجل والمرأة ويشترط فيهما العقل، والبلوغ، والإسلام، والأهليق والاختيار، وكذا القصد الجنائي الذي يتمثل في كون مرتكب الزنا يعلم بأنه يجامع شخصا محرما عليه وطؤه<sup>(2)</sup>.

**طرق الإثبات في جريمة الزنا:** تثبت جريمة الزنا بشهادة أربعة شهود عادل يشهدون على أهم رأوا فرجه في فرجها كالمروء في المكحلة وأن تكون شهادتهم صريحة على الفعل نفسه غير مختلفة في زمان ولا مكان.

وكذا بالإقرار إذ رأى أبو حنيفة أنه لا بد لثبوت جريمة الزنا من أربعة إقرارات خلافا للجمهور الذي اكتفى بإقرار واحد<sup>(3)</sup>.

**حد الزنى:** فرقت الشريعة الإسلامية في عقوبة الزنى بين البكر والثيب على النحو الآتي<sup>(4)</sup>:

(1) **حد الزنى للبكر:** إذا زنى البكر عوقب بالجلد مائة جلدة لقوله تعالى: الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة وتغريب عام لقوله **في** فيما رواه مسلم: "خذوا عني فقد جعل الله لمن سببلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام" هنا مع ملاحظة أن التغريب خاص بالذكر دون الأنثى، مع العلم أن الإمام مالك يرى أن التغريب يكون مقرونا بحبس المغرب خلافا للشافعية والحنابلة الذين رأوا تغريبه دون حبسه.

(2) **حد الزنى للثيب:** هو الرجم بالحجارة حتى الموت واختلفوا في الاكتفاء بالرجم أو يجمع عليه الجلد والرجم فرأى مالك أنه يُكتفى بالرجم لكونه عقوبة كبرى تنطوي تحتها

(1) النساء: 15.

(2) الجرائم في الفقه الإسلامي 102-123.

(3) مدخل الفقه الجنائي الإسلامي 56-57. و 63. لبهنسي.

(4) التشريع الجنائي الإسلامي. 379/2-385.

د. نصر سلمان .....مفكرة جرائم الحدود في الفقه العقوبة الصغرى خلافا للظاهرية والشيعة الزيدية ورواية في مذهب أحمد الذين ذهبوا إلى الجمع بين الجلد والرحم.

### سابعا: حد القذف

وستتناوله بإيجاز على النحو الآتي:

#### تعريفه :

أ) لغة: القذف في اللغة هو الرمي بالحجارة. ومن ذلك قوله تعالى لأم موسى: «أن اقذفيه في التابوت فاقدفيه في اليم»<sup>(1)</sup>،<sup>(2)</sup>.

ب) اصطلاحا: هو الرمي بالزنا أو نفي النسب.

#### التشديد في القذف: لقد شددت الشريعة الإسلامية في جريمة القذف، فحرمت

اقترافها، وأعدت لها عقوبة الرادعة في الدنيا والآخرة وهذا ما يوضحه:

قوله تعالى: «والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم»<sup>(3)</sup>، وقوله: «إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة وهم عذاب عظيم. يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يؤمنذ يوفيههم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين»<sup>(4)</sup>. وقوله أيضا: «إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة»<sup>(5)</sup>.

(1) طه: 39.

(2) لسان النسان مادة "قذف" 364/2.

(3) النور: 4-5.

(4) النور: 23-24-25.

(5) النور: 19.

د. نصر سلمان .....مفكرة جرائم الحدود في الفقه  
وقوله ﷺ: "اجتنبوا السبع الموبقات قالوا: وما هن يا رسول الله؟ قال الشرك بالله،  
والسحر، وقتل النفس التي حرم الله، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف،  
وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات"<sup>(1)</sup>.

**أركان جريمة القذف:** حتى تكون جريمة القذف متكاملة الأركان يجب أن يتوفر  
فيها الرمي بالزنا أو نفي النسب، وأن يكون المقذوف محصنا عفيفا وهذا مع توفر القصد  
الجنائي المتمثل في كون القاذف يقذف المقذوف وهو متيقن أن ما رماه به غير صحيح<sup>(2)</sup>.

**حد القذف:** قال الله تعالى: «والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة فأجلدهم  
ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون إلا الذين تابوا من بعد ذلك  
وأصلحوا فإن الله غفور رحيم».

من خلال هاتين الآيتين يتضح لنا أن هناك عقوبتين للقاذف هما:  
الأولى: الجلد ثمانين جلدة.

والثانية: سقوط شهادته لقوله تعالى: «ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا».

هذا في حالة عدم توبته، ولكن في حالة التوبة وقع الاختلاف إذ ذهب أبو حنيفة إلى  
عدم قبول شهادته وإن تاب ورأى الجمهور مالك والشافعي وأحمد قبول شهادته إن تاب.  
وسبب اختلافهم في ذلك هو اختلافهم في الاستثناء في قوله تعالى: «إلا الذين تابوا من  
بعد ذلك وأصلحوا» فمن رأى أنه يعود إلى أقرب مذكور في قوله تعالى: «ولا تقبلوا لهم  
شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون إلا الذين تابوا» قال بأن التوبة رافعة للفسق، ولا تأثير  
لها على عدم قبول الشهادة.

ومن رأى أن الاستثناء يرجع إلى الجملة السابقة جميعها قال بأنه يتناول الأمرين معا  
فذهب إلى أن التوبة ترفع الفسق وتمنع من رد الشهادة.

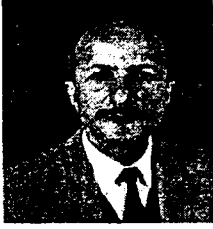
(1) مسلم، كتاب: الإيمان، باب: "بيان الكبائر وأكبرها" 92/1.

(2) التشريع الجنائي الإسلامي 462/2-477.

د. نصر سلمان .....مفكرة جرائم الحدود في الفقه

**وفيه الختام:** نحسب أننا سلطنا الضوء على هذا الموضوع الحساس، المتعلق بالحدود، وخصائصها، وما ينضوي تحتها من جرائم، وكيف عالجتها الشريعة الإسلامية، وذلك بفرضها العقوبة المناسبة، والرادعة لكل جريمة.

هذه العقوبات التي من شأنها أن تكون سببا لحماية المجتمع من الأوبئة والآفات، والفتن التي تعصف بكيانه، مقوّضة أركانه من القواعد.



## نسب المولود بالتلقيح الصناعي (دراسة حالة الشراكة في الإنجاب بين امرأتين بين أقوال الفقهاء والحقائق العلمية)

د. أحمد عمري

جامعة وهران

قبل ظهور التلقيح الصناعي، الذي يشمل ما يطلق عليه "زراعة الأجنة" أو "أطفال الأنابيب"، وانتشارها في أكثر من بلد، بما في ذلك بعض الدول العربية والإسلامية، كانت أحكام النسب وقواعده تقوم على حقيقة واحدة هي أن الإنجاب ليس له من وسيلة أخرى غير الاتصال الجنسي المباشر بين المرأة والرجل، وعلى هذا الأساس بنت الشرائع والقوانين الوضعية أحكامها، وهي تقوم على افتراض أن من تضع مولوداً فهي أمه حقيقة لأنه متكون من مائتها ولا إشكال في انتسابه إليها، كما تفترض أن المولود الذي يبدأ حمله أثناء الزواج هو ابن للزوج حقيقة وينتسب إليه.

وبناء عليه فقد وضعت القوانين والشرائع قواعد تحكم العلاقة الثلاثية بين الأم، الأب والولد، وهي ما تعرف بعلاقة النسب، بخلاف ما هو عليه الحال في الإنجاب بالتلقيح الصناعي الذي قلب هذه الحقائق رأساً على عقب لا سيما في ظهور طرف رابع في هذه العلاقة حيث أصبحت بين الزوجين والمولود والغير، ليس هذا فحسب بل أصبح من الممكن أن تساهم امرأتان في إنجاب ولد إحداهما بيويضتها والأخرى بالحمل به وولادته، التي هي موضع البحث.

ويُلجأ إلى هذه الطريقة عندما يكون مبيض الزوجة به خلل، ولا يمكن للمرأة إفراز بويضات بسبب علة فيه مع قدرتها على الحمل، وفي حالة ما إذا كان الزوج سليماً، ففي هذه الحالة تتبرع امرأة أخرى ببويضات تؤخذ منها وتخصب ثم تلتحق بها الزوجة.



في هذه الحالة، أي حالة المترعة بيوضة، لفائدة امرأة أخرى، فإن من تحمل وتضع ليست صاحبة البيوضة.

وهكذا أصبح الولد ينسب واقعياً لامرأتين، بعد أن كان ينسب لامرأة واحدة. إذن فما الحكم الشرعي في هذه الصورة، وما حكم نسب المولود بالنسبة لأمه؟  
أ- فالحكم عند علماء الشريعة، بالنسبة للتلقيح بهذه الكيفية، أي الحيوان المنوي من الزوج والبيوضة من أجنبية، لا يعدو أن يكون مثل حكم المتبرع الأجنبي بالنطفة؛ أي الحرمة. ومن ما جاء في الفتوى المصرية ما يلي "...هذه الصورة تدخل في معنى الزنا، والولد الذي يتخلق من هذا الصنيع حرام يبقين لالتقائه مع الزنا المباشر في اتجاه واحد، إذ أنه يؤدي مثله إلى اختلاط الأنساب، وذلك ما تمنه الشريعة الإسلامية التي تحرص على سلامة الأنساب بنى الإنسان والابتعاد بها عن الزنا في معناه ومؤداه"<sup>1</sup>. والفتوى نفسها، جاء بها محمد... مع الفقه الإسلامي، حيث حرم هذا الأسلوب من التلقيح<sup>2</sup>.

وفي هذا الأمر يقول الشيخ مصطفى الزرقاء "هذه الحالة واضح فيها سبب التحريم لأن اللقحة متكونة من مصدرين غير زوجين، فهي تؤدي إلى نسب منتحل غير مبني على زوجية"<sup>3</sup>

وبناء عليه، فإن أصل التحريم نتج عن اختلاط البيوضات والحيوانات المنوية من غير رباط شرعي أي الزواج.

ب)- وما حكم نسب المولود في هذه الصورة من صور التلقيح من جهة الأم، موضوع هذا البحث؟

لم يكن أمر نسب الولد من الأم التي وضعت محل نقاش أو جدال، بل الثابت والمتفق عليه أن الأم التي وضعت هي التي ينسب إليها الولد من دون تردد، ذلك لأنها كانت هي

1- الفتاوى المصرية، الصادرة عن دار الإفتاء المصرية المتعلقة بالتلقيح الصناعي في الإنسان، بتاريخ 6 جمادى الأولى 1400هـ الموافق لـ 23 مارس 1980، ص 3220.

2- مجلة مجمع الفقه الإسلامي، المتعلقة بالتلقيح الصناعي، الصادرة عن الدورة السابعة المتعددة بمكة بين 14 إلى 19 جانفي 1984.

3- عبد الرحمن البسام، أطفال الأنثى، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، العدد الثاني، جدة 1986، ص 260.

صاحبة البويضة التي تلقح. بمعنى الزوج، وهي التي تحملن وهي التي تضع، في حين أنه بهذا الصورة من التلقيح الصناعي لم يكن في الحسبان أن الولد ينسب "واقعيًا" (أقصد تكويين بيولوجي مشترك) لامرأتين ساهمتا في تكوينه، إحداهما ببويضتها والأخرى بالحمل والوضع. فمن الناحية القانونية لا يمكن أن ينسب الولد إلا لامرأة واحدة: صاحبة البويضة، أو إلى التي حملت بالطفل ووضعت. فلا يهتما ينسب الولد؟

أمام هذا الوضع اختلف العلماء وأهل الاختصاص في تحديد المقصود بالأم، هل هي صاحبة البويضة أم التي حملت ووضعت، وبالتالي لأيهما ينسب الولد؟

### الأم الحقيقية:

#### من الناحية الشرعية:

لم يجمع الفقهاء على تحديد الأم الحقيقية، في صورة التلقيح الذي نحن بصدد دراسته، ففريق يرى بأنها هي صاحبة البويضة، وفريق آخر يرى بأنها صاحبة الرحم التي حملت ووضعت.

ولكل فريق حججه وأدلته أعرضها فيما يلي:

#### الفريق الأول: القائل بأن الأم هي مانحة البويضة:

يسند أصحاب هذا الرأي إلى مجموعة من الحقائق أذكرها فيما يلي:

(أ)- بناء على الحقيقة العلمية التي لا تقبل الجدل فإن الخصائص الوراثية مودعة في البويضة، فالجنين سيحمل كل هذه الخصائص المودعة في البويضة، وما الرحم التي حملت هذه إلا حاضنة، وفي أحسن الظروف تعامل على أنها مرضعة<sup>1</sup>.

(ب)- الأم التي حملت كالمرضعة، فالولد يستخلص منها غذاءه وكذلك يفعل الجنين المزروع في رحم المرأة التي حملت به، أما السجل الوراثي الحقيقي للوليد فهو من الخلايا

1- عبد الباسط حلمي، الإنجاب في الإسلام، ندوة، عقدت بعمان، 1983. سلسلة مطبوعات منظمة الطب الإسلامي، التوصيات، ص 173.

الجنسية للأبوين. إذن فالأصول الوراثية ترجع أساساً إلى الوالدين اللذين شاركوا بخلاياهما الجنسية.<sup>1</sup>

(ج) - إن النسب يقوم على الحقيقة البيولوجية، فالنطفة الأمشاج هي بداية خلق الإنسان، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم اثني عشر مرة، وبالتالي إذا كان الولد ينسب للأب - الرجل صاحب النطفة -، فإنه ينسب أيضاً إلى جهة الأم صاحبة البويضة.

### الفريق الثاني: القائل بأن الأم هي التي حملته ووضعتها

يرى أنصار هذا الرأي بأن الأم الحقيقية هي التي حملت وولدت واستندوا في ذلك إلى عدة أمور نوجزها فيما يلي:

(أ) - إن اعتبار الأم التي حملت ووضعت، بما في ذلك من معاناة ومشقة، كالمرضعة: منطوق مقلوب يفسد بدون شك معنى الأمومة، فجوهر الأمومة بذل وعطاء وصبر وتعمل معاناة، وبهذا المفهوم لمعنى الأمومة فإن المرأة التي حملت ووضعت هي الأجدر بوصف "الأم"<sup>2</sup>.

(ب) - كل طفل ناشئ بالطرق المحرمة قطعاً، من التلقيح الصناعي، لا ينسب إلى أب جبراً، وإنما ينسب لمن حملت به ووضعت باعتبار حالة ولادة طبيعية كولد الزنا الفعلي تماماً، وقد جاء في بدائع الصنائع "إن النسب في جانب الرجال يثبت بالفراش، وفي جانب الرجل يثبت بالفراش، وفي جانب النساء يثبت بالولادة، ولا تثبت الولادة إلا بدليل وأدق عليها شهادة القابلة."<sup>3</sup>

(ج) - أشارت بعض النصوص القرآنية إلى أن الأم هي التي حملت وولدت منها:

1 - د. محمد المرسي زهرة، الإنجاب الصناعي، أحكامه، أحكامه القانونية وحدوده الشرعية، دراسة مقارنة، الكويت، 1993، 366.

2 - د. محمد المرسي زهرة، المرجع نفسه، الصفحتين 367 و368.

3 - الكستاني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (عن كتاب زيد أحمد سلامة، أطفال الأنابيب بين العلم والشرعية، الطبعة الأولى، دار البيارق، بيروت، 1996 ص 136).

• قوله تعالى: «إن أمهاتهم إلا اللاتي ولدنهم»<sup>1</sup>، فالآية قد سلكت طريق النفسى والإنبات، أى أمها نفت الأمومة عن التى لم تلد الولد. فهذه الآية نزلت فى الظهار، وفى هذا يقول السيد قطب "... فالزوجة ليست أما حتى تكون محرم كالأم. فالأم هى التى ولدت"<sup>2</sup>.

• قوله تعالى: (حملته أمه كرها ووضعته كرها)<sup>3</sup>. فبينت الآية أن التى تحمل بالولد وتضعه هى أمه.

• وقوله تعالى: (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا)<sup>4</sup>، وهذه أيضا صريحة فى كون الأم هى التى حملت الجنين وأخرجته، لأن البويضة عندما تخرج من المرأة لا تشكل كائنا يوصف بأنه يعلم أو لا يعلم شيئا، ثم إن الآية قالت بأن البطون هى للأمهات. إلى غير ذلك من النصوص القرآنية التى تؤكد كلها هذا المعنى.

(د)- أما فى الحديث فقد جاء فى الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال "إن أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يوما ثم علقه مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك"<sup>5</sup>. فحسب ظاهر هذا الحديث الشريف، فإن صاحبة البطن التى يتكون فيها الجنين ويمر بالمراحل المختلفة هى أمه، أى أم الطفل، أما التى تبرعت بالبويضة انتهى دورها عند حد التبوع بهذه البويضة.

وفى ردهم على رأى الفريق الأول الذى يقول بأن الأم هى صاحبة البويضة، يرد عليهم البعض بجملة من الحقائق وهى:

- إن القول بإثبات النسب للأم على أساس الحقيقة العلمية التى تقول أن الصفات الوراثية تنتقل بواسطة البويضة ولا تنتقل بواسطة الرحم، لا بد له من دليل شرعى، ذلك أن الحقيقة العلمية لا تكفى وحدها إلا إذا اعتمدت على دليل شرعى، وإلا كان إثبات نسب

1- سورة المجادلة، الآية 2.

2- سورة المجادلة، الآية 12.

3- سورة الأحقاف، الآية 15.

4- سورة النحل، الآية 78.

5- صحيح البخارى، الجزء الرابع، مكتبة الباي الحلبى، مصر، 1953، ص 0.

ابن الزنا للزاني جائزا هو أيضا نظرا إلى أن الحيوانات المنوية شاركت هي أيضا في تخليق الولد، وهذه حقيقة علمية. ولكل ما دام الشرع نفى إحقاق ابن الزنا بالزاني فإن نسب الولد لصاحبة البويضة يفتقر هو أيضا إلى دليل<sup>1</sup>.

- ومن جهة أخرى فإن الشرع يبني ثبوت النسب عامة على (المظنة) وليس على (الدليل العلمي)، فلا نقول: إن الثابت علميا أن الجنين أصله من بويضة امرأة معينة بينما تحمله وتلده امرأة أخرى، بل إن الحمل والولادة واقعة مادية تكفي وحدها شرعا لنسبة المولود إلى والدته...<sup>2</sup>.

بعد عرض آراء وأدلة كلا الفريقين، نرى أن الرأي الأقرب إلى الحقيقة هو أن الأم هي التي حملت وولدت بناء على الأدلة والبراهين التي ساقها أصحاب الرأي القائل بأن الأم هي التي حملت ووضعت وليست صاحبة البويضة.

### نسب الأم من الناحية القانونية:

1- الحقيقة أن أغلب القوانين الخاصة بالأحوال الشخصية<sup>3</sup>، لم تتعرض بشكل واسع لحكم ثبوت النسب من الأم، ولا نكاد نجد نصا مخصصا لثبوت النسب من جهة الأم. غير أنه يمكن أن نستخلص من نص المادة 43 من قانون الأسرة الجزائري، الذي ربط الأمومة بالوضع.

كما أن القضاء والفقهاء مستقران على أن الأمومة تثبت بالولادة، فيثبت نسب الولد من أمه بمجرد الولادة من دون حاجة إلى إثبات، وسواء أكانت الولادة من نكاح أم من سفاح، وإذا ثبت بالولادة فلا يمكن نفيه بعد ذلك.

1- المرجع المشار إليه في رقم 7 أعلاه، ص 139.

2- ما نقل عن المستشار جمال الدين محمد نائب رئيس محكمة النقض. تمصر (عن كتاب زياد أحمد سلامة، ص 140 و141).

3- البعض من هذه القوانين أشار إليها صراحة ومنها مدونة الأحوال الشخصية المغربية التي نصت في الفصل 2/38 على أنه "النبوة غير الشرعية ملغاة بالنسبة للأب فلا يترتب عليها شيء من ذلك إطلاقا وهي بالنسبة للأم كالشرعية لأنه ولده".

2- وفي قانون العقوبات الجزائري نصت المادة 321 منه أنه "يعاقب بالسجن من خمس سنوات إلى عشر سنوات كل من نقل عمدا طفلا أو أخفاه أو استبدل طفلا آخر على أنه ولد لامرأة لم تضع وذلك في ظروف من شأنها أن يعتذر التحقق من شخصيته".  
يفهم من هذا النص أن أم الولد هي التي حملت أو وضعت، وكل من أراد إخفاء هـاذ الحقيفة بنسب الطفل إلى امرأة أخرى ولو كانت صاحبة البويضة، يعد الفعل جريمة يعاقب عليها.

**الخلاصة:** إذن من كل ما تقدم أن الأم الحقيقية تمر بمراحل ثلاث، تلقيح البويضة. الحمل ثم الوضع، والطفل هو نتاج هذه المراحل مجتمعة، وقد كان الأمر سهلا لمعرفة أم الولد في ظل الإنجاب الطبيعي، إلا أن التلقيح ومع إمكانية التبرع بالبويضة، أحدث بذلك تجزئة مراحل الأمومة وتوزيعها على امرأتين، والنقاش السالف ذكره بخصوص تحديد الأم الحقيقية مرده إلى أنه من الناحية الواقعية كل من المرأتين ساهمتا في إنجاب الولد، ولكن عند الاختيار والمفاضلة بينهما فإن الكفة تميل لصالح المرأة التي عانت آلام الحمل والوضع، وأعطت الطفل من كيانها وصحتها النفسية والجسمية. ولهذا الخصوص فإننا لا نشاطر ما قاله الأسناد ماروك<sup>1</sup> بأن المشرع الجزائري عندما ربط الأمومة بالوضع، في نص المادة 43 من قانون الأسرة، لأنه حسب رأيه، أن المشرع الجزائري قد تبني فكرة لا تتلاءم مع التطور الذي يعطي الأولوية للحقيقة البيولوجية. ذلك لأنه ليس من المعقول عند المقارنة بين المرأتين الأولى اقتصر دورها على مجرد إعطاء البويضة فقط، والثانية هي التي تحمل وتتألم وتعاني آلام الحمل والمخاض ثم تقول بعد كل هذا إن الأم هي التي أعطت البويضة، فهذا أمر لا يقبله العقل ولا المنطق السليم.

1-د. نصر الدين ماروك، التلقيح الصناعي في القانون والشريعة الإسلامية، مجلة المجلس الإسلامي الأعلى. الجزائر، 1999، ص. 222.

ثم إن الحمل في حد ذاته وتغذية الأم للجنين طوال مدة الحمل، وتكوينه من لحمها ودمها تعتبر أيضا حقيقة بيولوجية لا يمكن على الإطلاق إنكارها ولا تجاهلها بل لا يوجد مجال لمقارنتها مع ما تساهم به المرأة التي أعطت البويضة.



## قاعدة سد الذرائع وأثرها في ضبط تصرفات المكلفين في الفقه الإسلامي

أ. كمال لدرع

جامعة الأمير عبد القادر

تمهيّد:

إن من أهم المبادئ التي تميز الشريعة الإسلامية عن غيرها من التشريعات أن أحكامها قائمة على الوقاية والاحتياط، فهي تمنع كل ما من شأنه أن يخالف أحكامها ومقاصدها أو تتخذ تلك الأحكام مطية لارتكاب الحرام، أو إلحاق الضرر بالغير، وهذا ما يتجلى بشكل واضح في قاعدة سد الذرائع التي قررتها الشريعة الإسلامية لحسم كل وسائل الفساد.

المطلب الأول: ماهية سد الذرائع في الفقه الإسلامي؛

الفرع الأول: تعريف سد الذرائع؛

البند الأول: لغة؛

هذه: بفتح السين وتشديد الدال من فعل سدّ يسدّ نقيض الفتح يقال سدّ الباب أغلقه. ويقال سدّ الثلمة أي ردمها وأصلحها، والسد بفتح السين أو ضمها الحاجز بين الشيئين. وله استعمالات أخرى في اللغة<sup>1</sup>.

الذرائع: جمع ذريعة، وهي الوسيلة التي يتوصل بها إلى شيء ما، سواء كان هذا الشيء حسياً أو معنوياً، خيراً كان أو شراً. والذريعة جمل يختل به الصيد يمشي الصياد إلى جنبه فيستتر به ويرمي الصيد إذا أمكنه، وذلك الجمل يسبب أولاً مع الوحش حتى تألفه<sup>2</sup>.

1- ابن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، ج: 3، ص: 66، كتاب السين.  
2- المرجع نفسه، ج: 2، ص: 350، كتاب الدال.



## البند الثاني: اصطلاحاً:

عرفها الإمام القرافي سد الذرائع بأنه: "حسم مادة الفساد...<sup>1</sup>". وعرفها الإمام الشاطبي بقوله: "حقيقتها التوسل بما هو مصلحة إلى مفسدة"<sup>2</sup>. وعرفها في موضع آخر بقوله: "منع الجائز لأنه يجز إلى غير الجائز"<sup>3</sup>.

أما الإمام ابن القيم فعرف الذرائع بقوله: "ما كان وسيلة وطريقاً إلى الشيء"<sup>4</sup>. وهي عند الإمام الشوكاني: "المسألة التي ظاهرها الإباحة ويتوصل بها إلى فعل محظور"<sup>5</sup>. وعرفها الدكتور الدريني بأخا: "منع المشروع إذا أضحي وسيلة إلى الشيء المحرم أو المنوع شرعاً"<sup>6</sup>. ويلاحظ على هذه التعاريف أن بعضهم قيد الذريعة التي تسد إذا أفضت إلى محظور، وبعضهم قيدها بغير الجائز، لكن تقييدها بالمفسدة أعم وأشمل كما في تعريف الشاطبي الأول، لأن الذرائع التي يجب سدها ليست فقط التي تفضي بصاحبها إلى الحرام، بل هي تشمل كل ما من شأنه أن يؤدي إلى محظور أو ضرر أو أذى، وهذه معان تسدرج ضمن مصطلح المفسدة.

## الفهم الثاني: التأسيس الشرعي لهيكل سد الذرائع:

إن سد الذرائع مبدأ إسلامي، وقاعدة تحليلية من قواعد الشريعة الإسلامية، ولها ما يؤيدها من نصوص الكتاب والسنة.

- 1- شهاب الدين القرافي، شرح تنقيح الفصول، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، سنة 1997م، ص: 352.
- 2- أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ج: 4، ص: 199.
- 3- أبو إسحاق الشاطبي، الاعتصام، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط سنة 1988م، ج: 1، ص: 104.
- 4- ابن القيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ج: 3، ص: 147.
- 5- محمد بن علي الشوكاني، إرشاد الفحول، إلى تحقيق الحق من علم الأصول، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص: 246.
- 6- محمد فتحي الدريني، المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأي، مؤسسة الرسالة، ط3، سنة 1997م، ص: 487.

## البند الأول: أحلة المختار هجداً سد الذرائع:

### أولاً: من القرآن الكريم:

قال الله تعالى: "ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم". (سورة الأنعام، الآية 108) فالله تعالى في هذه الآية الكريمة هي عن سب آلهة المشركين من الأصنام مع أنها باطل وكفر، حتى لا يكون ذلك ذريعة للمشركين فيتجرعوا على سب الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً. فمصلحة عدم سب الله تعالى أرجح من مصلحة سب آلهة المشركين، ولقد ذكر أهل التفسير أن المسلمين كانوا يسيبون آلهة قريش غيرة على دين الله تعالى فنهوا عن ذلك لئلا يترتب عنه سبهم لله تعالى<sup>1</sup>.

قال الله تعالى: "ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن". (سورة النور، الآية 31) لقد علل القرآن الكريم هي النساء عن ضربن الأرض بأرجلهن بإحداث أصوات الخلل عند السير في الطريق لئلا يثير ذلك شهوة في نفوس الرجال واتباههم إليهن وميلاً نحوهن<sup>2</sup>، ويقاس عليه أيضاً في عصرنا ما تلبسه النساء من أحذية تثير أصواتاً مميزة عند سيرهن في الطرقات العامة، فإنه مما يدخل في النهي سواء قصدن ذلك أو لم يقصدن.

### ثانياً: من السنة النبوية:

ما روي ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من الكبائر شتم الرجل والديه، قالوا: يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: نعم، يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه"<sup>3</sup>. لقد هي النبي صلى الله عليه وسلم المسلم أن يسب أبا غيره أو أمه لئلا يكون ذلك ذريعة لأن يسب أحد والديه، واعتبر الحديث من يفعل ذلك كأنما سب أباه أو أمه بنفسه<sup>4</sup>، وهو أسلوب نبوي حكيم في النهي عن مثل هذه الأخلاق

1- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط7، سنة 1985م، ج: 3، ص: 78، 79.

2- المرجع نفسه، ج: 5، ص: 93.

3- رواه مسلم في كتاب الإيمان، رقم الحديث 130.

4- ابن القيم، إعلام الموقعين، ج: 3، ص: 150.

أ. كمال لدرع..... قاعدة سد الذرائع... قاعده سد الذرائع  
الفاصلة، وصيانة أعراض المسلمين، وقطع كل الذرائع التي تخدش كرامتهم، وتربية المجتمع  
على الآداب الفاضلة.

— لقد جاء في الحديث: "مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم  
عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع"<sup>1</sup>.

فقد نعى الحديث أن ينام الأولاد ذكورا وإناثا ولو كانوا من صلب واحد في مضجع  
مشترك، لأن ذلك قد يكون ذريعة إلى نسج الشيطان بينهما المواصلة المحرمة بواسطة اتحاد  
الفراش، والإنسان إذا كان نائما قد تصدر منه أفعال وهو لا يشعر، فأمر النبي صلى الله عليه  
وسلم بالتفريق بين الأبناء في النوم سد للذرائع الفساد<sup>2</sup>.

### البند الثاني: مدى العمل والاحتجاج بقاعدة سد الذرائع عند العلماء:

الناظر في كتب أصول المذاهب الفقهية واجتهاداتهم وتخریجهم الفروع على تلك الأصول  
يجد أن أصحاب هذه المذاهب اعتمدوا أصولا وأدلة بنوا عليها استنباطهم الفقهية، منها  
أصولا اتفقوا عليها كالكتاب والسنة والإجماع، وأخرى اختلفوا في مدى الاحتجاج بها  
كالمصلحة المرسله والاستحسان وقول الصحابي وسد الذرائع وغيرها.

ولعل أكثر المذاهب الفقهية أخذوا بأصل سد الذرائع المذهب المالكي وهو ما لاحظته  
الإمام الشاطبي حيث قال: "منها قاعدة الذرائع التي حكمها مالك في أكثر أبواب الفقه"<sup>3</sup>.  
وقد جعلها الإمام مالك أصلا مستقلا معتمدا في استنباط الأحكام. وقريب من المذهب  
المالكي الفقه الحنبلي الذي يتوسع أيضا في العمل به ويعتبره أصلا للاستنباط والاجتهاد.  
وأقل منهما الحنفية والشافعية، إلا أن هذين المذهبين لا يعتبران سد الذرائع أصلا مستقلا  
بذاته مما جعلهما يخالفان فقهاء المالكية في كثير من المسائل التي بناها هؤلاء عليه. فقاعدة  
الذرائع عند الحنفية والشافعية متضمنة في أدلة أخرى كالاستحسان والعرف، كما أنهم

1- رواه أبو داود في كتاب الصلاة، رقم الحديث 418.

2- ابن القيم، إعلام الموقعين، ج: 3، ص: 162.

3- الشاطبي، الموافقات، ج: 4، ص: 194.

أ. كمال لدرع.....قاعدة سد الذرائع

خرجوا مسائل فقهية كثيرة بناء على قاعدة الذرائع ولم يصرحوا بها، لأن جميع الفقهاء ينظرون في مآلات الأفعال فيجيزون الوسائل أو يمنعونها بناء على ذلك، ومادام هم كذلك فهم في الحقيقة يقرون بمبدأ سد الذرائع في الجملة؛ فدعوى أن الإمام مالك انفرد بهذا الأصل دون غيره من أئمة الاجتهاد غير صحيحة، وهو الذي وضّحه المحققون من الأصوليين، يقول الإمام الشاطبي: "هو -أي سد الذرائع- إن كان في الجملة متفقاً عليه ففيه في التفصيل نزاع بين العلماء إذ ليس كل ما هو ذريعة إلى ممنوع يمنع، بدليل الخلاف الواقع في يسوع الآجال وما كان نحوها"<sup>1</sup>. فقد صرح الإمام الشاطبي أن العلماء متفقون على وجه العموم في العمل بسد الذرائع، وإنما الخلاف واقع بينهم في مسائل جزئية، هل هي من باب سد الذرائع أم لا؟ كمسألة يوع الآجال المشهورة، التي منعها مالك لمظنة أكل الربا، ولم يمنعها الشافعي نظراً لصورة البيع الصحيحة، وعدم موافقة الشافعي مالكاً في هذه المسألة وغيرها لا يعني عدم أخذ الشافعي بسد الذرائع، لأنه مثله مثل مالك وغيره من أئمة الاجتهاد يمنعون الوسائل التي يتذرع بها إلى الحرام، قال الشاطبي موضحاً ذلك: "ومن أسقط حكم الذرائع كالشافعي فإنه اعتبر المال أيضاً... ولأجل ذلك يتفق الفريقان على لا يجوز التعاون على الإثم والعدوان بإطلاق... فقد ظهر أن قاعدة الذرائع متفق على اعتبارها في الجملة وإنما الخلاف في أمر آخر"<sup>2</sup>. والأمر الآخر الذي قصده الشاطبي هو الاختلاف في تحقيق المناسط السذي يتحقق به التذرع. وما قرره الإمام الشاطبي قد حققه الإمام القرافي من قبل، فقال رحمه الله: "وليس سد الذرائع من خواص مذهب مالك كما يتوهمه كثير من المالكية"<sup>3</sup>. ثم فصل الإمام القرافي القول في الذرائع أن منها ما أجمعت الأمة عليه، ومنها ما أجمعت الأمة على فتحه، ومنها ما اختلف فيه العلماء. فوقوع الخلاف بينهم في هذا القسم لا ينفي القول عن المخالف بعدم اعتبار مبدأ سد الذرائع، ثم خلص القرافي إلى نتيجة وهي أن الكل يقول بها

1- الشاطبي، الاعتصام، ج: 2، ص: 31.

2- الشاطبي، الموافقات، ج: 4، ص: 201.

3- القرافي، الفروق، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ج: 2، ص: 32.

أ. كمال للدرع..... قاعدة سد الذرائع.  
 إلا أن المذهب المالكي توسع فيها أكثر من غيره، فيقول رحمه الله: "فتحنا قلنا بسد هذه  
 الذرائع (في مسائل معينة كالنهي عن ييوع الآجال) ولم يقل بما الشافعي فليس سد الذرائع  
 خاصا بمالك رحمه الله بل قال بما هو أكثر من غيره وأصل سدها مجمع عليه"<sup>1</sup>.  
 فمبدأ سد الذرائع إذن أصل في الفقه الإسلامي، عمل به فقهاء الإسلام في اجتهاداتهم  
 واستنباطهم للأحكام، وإن لم يصرح به بعضهم، لأن الكل ينظر في منال الفعل، ويعطي  
 الوسيلة حكم الغاية، إلا أنهم قد يختلفون - كما سبق بيانه - في المناط الذي به يتحقق  
 التدرع.

### البند الثالث: الأخذ بمبدأ سد الذرائع عقيدة شرعية:

مبدأ سد الذرائع قاعدة عظيمة من القواعد الشرعية التي شهدت لها نصوص شرعية  
 كثيرة، وآثار الصحابة واجتهاداتهم، كما يلاحظ ذلك في اجتهادات عمر بن الخطاب -  
 رضي الله عنه- التي بنى الكثير منها على مبدأ سد الذرائع اتباعا لسياسة الوقاية في حماية  
 مصالح الأمة. وقد ورث هذا المنهج المجتهدون من بعدهم؛ الذين بالغوا في سد ذرائع الفساد  
 وتضييق مسالك الانحراف درعا للأضرار والمفاسد، وخاصة اجتهادات المذهب المالكي الذي  
 عرف بتوسعه في الأخذ بقاعدة الذرائع، وقد ذكر الإمام الشاطبي أن الامام مالك حكمننا  
 في أكثر أبواب الفقه<sup>2</sup>.

وقد نوّه بأهمية هذا المسلك الكثير من العلماء، وبينوا ضرورة التشريعية. فقد عقد الإمام  
 ابن القيم فصلا هاما في كتابه إعلام الموقعين وضّح فيه المكانة الشرعية والمقاصدية لسد  
 الذرائع، فقال رحمه الله: "وباب سد الذرائع أحد أرباع التكليف، فإنه أمر ونهي، والأمور  
 نوعان: أحدهما مقصود لنفسه، والثاني: وسيلة إلى المقصود، والنهي نوعان: أحدهما: ما  
 يكون المنهي عنه مفسدة في نفسه، والثاني: ما يكون وسيلة إلى المفسدة، فصار سد الذرائع

1- المرجع نفسه، ص: 33.

2- الشاطبي، الموافقات، ج: 4، ص: 198.

أ. كمثال للدرع.....قاعدة سد الذرائع المقضية إلى الحرام أحد أربع الدين"<sup>1</sup>. وقد اعتبر الإمام ابن عاشور مبدأ سد الذرائع مقصدا تشريعا عظيما استفيد من استقراء تصرفات الشريعة في تشاريح أحكامها وفي سياسة تصرفاتها مع الأمم وفي تنفيذ مقاصدها<sup>2</sup>.

فقاعدة سد الذرائع تقوم بدور مهم في حفظ مقاصد الشرع، وتحول دون وقوع ما يتنافى مع هذه المقاصد الشرعية، فالشارع الحكيم قصد بمختلف أحكامه تحقيق مصالح العباد، فإذا استعملت أحكام الشريعة من قبل بعض المكلفين بطريقة تناقض هذا المقصد العام منعت هذه الطرق من باب سد الذرائع حفاظا على مقاصد الشرع من تشريعه للأحكام<sup>3</sup>.

فالشريعة من خلال أحكامها تسعى إلى جلب مصالح الناس وتأمينها لهم ودرء المفاسد عنهم؛ وسد الذرائع يوثق هذا الأصل العام الذي قامت عليه أحكام الشرع، ويمنع من تنويع مقاصد الشرع بأي طريق من الطرق المباشرة وغير المباشرة، ولو كانت تلك الطرق أو الوسائل مشروعة في الظاهر. وقد اعتبر الدكتور فتحي الدريني أن الدليل الذي يستند إليه هذا المبدأ هو المصلحة والعدل، فتحكيم هذا المبدأ في مجال التشريع الإسلامي هو تحقيق للمصلحة والعدل بين الناس ويحفظ حقوقهم<sup>4</sup>.

**الفرع الثالث: النظر في مآلات الأفعال أصل في اعتبار مبدأ سد الذرائع:**  
أصل النظر في مآلات الأفعال أصل عظيم من أصول الشريعة الإسلامية بنت عليها الكثير من أحكامها. وحقيقة هذا الأصل أن الحكم على فعل من أفعال المكلفين يكون بالنظر إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل من مصلحة أو مفسدة، قال الشاطبي: "النظر في مآلات الأفعال معتمِر مقصود شرعا كانت الأفعال موافقة أو مخالفة"<sup>5</sup>. ومقصوده بالموافقة الأفعال المأذون

1- ابن القيم، إعلام الموقعين، ج: 3، ص: 171.

2- محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط سنة 1985م، ص: 117.

3- أحمد الريسوني، نظرية المقاصد عند الشاطبي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط4، سنة 1995، ص: 91.

4- الدريني، المناهج الأصولية، ص: 478.

5- الشاطبي، الموافقات، ج: 4، ص: 194.

أ. كمال لدرع.....قاعدة سد الذرائع

فيها شرعا، والمخالفة المنهي عنها شرعا، ثم بين الشاطبي أن المجتهد لا يستطيع أن يحكم على فعل من الأفعال التي تصدر عن المكلفين إلا بناء على نظره في نتائج تلك الأفعال، فإذا أدى الفعل منها إلى مصلحة معتبرة شرعا كان جائزا، وإذا أدى إلى مفسدة فهمي عنها الشرع كان غير جائز، وهو ما عبر عنه بقوله: "أن المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام أو بالإحجام إلا بعد نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل مشروعاً لمصلحة فيه تستجلب أو لمفسدة تدرأ، ولكن له مآل على خلاف ما قصد فيه، وقد يكون غير مشروع لمفسدة تنشأ عنه أو مصلحة تندفع به ولكن له مآل على خلاف ذلك"<sup>1</sup>. ثم حشد الشاطبي من الأدلة التي توصل هذا المبدأ من الناحية الشرعية.

ويجدر أن ننبه هنا أن اعتبار أصل النظر في مآلات الأفعال لم ينفرد به الإمام الشاطبي، فقد نوه بقيمته أيضا محققون سبقوا الشاطبي كعز الدين بن عبد السلام والقرافي وابن تيمية وابن القيم، إلا أن الشاطبي زاده توضيحا وتأصيلا. إذن فالأفعال لا ينظر إليها في ذاتها بل تتكيف بالنظر إلى مآلها، فما أدى إلى مطلوب شرعي كان مطلوبا، وما أدى إلى ممنوع شرعي كان ممنوعا.

فمبدأ سد الذرائع إذن مبني على أصل عظيم من أصول الشريعة الإسلامية وهو أصل النظر في مآلات الأفعال، لأن قاعدة الذرائع تراعي نتائج الفعل بالنظر إلى وسائله، فالوسيلة إلى المحرم تكون محرمة، ولو كانت جائزة في ذاتها، من باب سد ذرائع الفساد، وحسم طرق الحرام، فلا يجوز التذرع بالمباح لاقتراف ما هو ممنوع؛ والوسيلة إلى تحقيق المصالح تكون جائزة، ولو كانت غير مآذون فيها في ذاتها، من باب فتح ذرائع الصلاح، كجواز النظر إلى عورة المرأة عند ضرورة العلاج، أو النظر إلى بعض أجزاء جسمها عند إرادة الزواج.

واعتبار مبدأ الذرائع يكون بالنظر إلى موافقة مقاصد الشرع الحنيف أو مخالفتها، فإذا كانت الذرائع التي هي عبارة عن تصرفات المكلفين تتجه إلى تحقيق المصالح المعتبرة شرعا،

آ كمال للدرع.....قاعدة سد الذرائع  
 كانت مطلوبة شرعا طالما يناسب درجة ذلك المقصد، وإن كانت تتجه إلى جلب المفساد  
 التي هي مفسد في نظر الشرع، فإن درجة النهي تكون بحسب عظم المفسدة، فما أدى إلى  
 حرام فهو حرام، وما أدى إلى مكروه فهو مكروه، يقول الإمام عز الدين بن عبد السلام:  
 "كلما قويت الوسيلة في الأداء إلى المفسدة كان إثمها أعظم من إثم ما نقص عنها، والبيع  
 شاغل عن الجمعة حرام، لا لأنه يبيع بل لكونه شاغلا عن الجمعة".<sup>1</sup> ويقول ابن القيم بمعنى  
 أوضح: "لما كانت المقاصد (أي غايات الفعل) لا يتوصل إليها إلا بأسبابها وطرقا تنفضي  
 إليها كانت طرقها وأسبابها تابعة لها معتبرة بها، فوسائل المحرمات والمعاصي في كراتها والمنع  
 منها بحسب إفنائها إلى غاياتها، فوسيلة المقصود تابعة للمقصود، وكلاهما مقصود قصد  
 الغايات، وهي مقصودة قصد الوسائل".<sup>2</sup> فالحكم على الذريعة إنما يكون بما تؤول إليه دون  
 الاقتصار على جوازها في ذاتها، منعا من أن تكون أفعال المكلفين مناقضة لمقصود الشرع،  
 فعدم الالتفات إلى مآل الفعل هو تفويت صريح للمصالح الشرعية.

**المطلب الثاني: مبدأ سد الذرائع قيد على حرية الفعل في الشرع الإسلامي:**

### **الفهم الأول: الأفعال تأخذ حكم ما أفضت إليه:**

إن الذرائع وهي في حقيقتها أفعال المكلفين لا ينظر إليها في ذاتها من حيث جواز  
 الوسيلة وعدم جوازها، بل ينظر إليها من حيث نتائجها وغاياتها. فالنقل المحظور إذا أدى إلى  
 مصلحة أرجح بكثير من المفسدة الناتجة عن الفعل المحظور، صار ذلك المحظور مآذونا فيه  
 تحقيقا لتلك المصلحة ومحافظة عليها، مع بقاءه ممنوعا في ذاته، لأن الإذن هنا عارض يزول  
 بزوال سببه. ومن الأمثلة التي ذكرها الفقهاء: جواز دفع الرشوة وهي تعامل محظور في  
 الشرع لدفع ظلم ظالم، ودفع المال إلى المحاربين لإنقاذ أرواح الأسرى من المسلمين. هذا في

1- عز الدين ابن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، دار الجيل، ط2، سنة 1980م، ج: 2، ص:

2- ابن القيم، إعلام الموقعين، ج: 3، ص: 119.



كمال لدرع..... قاعدة سد الذرائع

النوع الأول من الذرائع وهو فتحها. وكذلك بالنسبة للنوع الثاني منه وهو سدها الذي توسع فيه الفقهاء لخطورته، وفلسفة سد الذرائع تقوم على أن الأفعال من حيث أصلها مشروعة أو مأذونا فيها، لكن بالنظر إلى نتائجها ومآلها تكتسب صفة غير المشروعية، لأن الفعل المباح صار ذريعة إلى ارتكاب الممنوع، أو إلحاق الضرر بالغير، فالبيع جائز في ذاته لكن إذا أصبح وسيلة لأكل الربا منع منه صاحبه، لا لكون البيع غير مباح، ولكن لكونه تحول إلى ذريعة لارتكاب الممنوع.

نخلص مما سبق بيانه إلى أن الوسيلة - وأقصد بها هنا أفعال المكلفين - لا ينظر إليها في ذاتها، بل تتكيف بالنظر إلى نتائجها، فما أفضى إلى مصلحة كان مطلوباً شرعاً تحصيله، وما أفضى إلى مفسدة كان مطلوباً شرعاً دفعه. يقول الإمام القرافي: "الوسيلة إلى أفضل المقاصد أفضل الوسائل، وإلى أقيح المقاصد أقيح الوسائل، وإلى هو متوسط متوسطة"<sup>1</sup>. فالذريعة حكمها حكم المقصود الذي تعتربه الأحكام التكليفية الخمسة، فإن كان المقصود الذي تؤدي إليه واجبا كانت واجبة، وإذا كان حراما كانت حراما، وإذا كان مباحا كانت مباحة. وهذا المعنى يتجسد بشكل واضح في التكاليف الشرعية التي كلف الله بها عباده، فإن الشارع الحكيم يعطي الوسيلة حكم الغاية، فإذا أمر بشيء فإنه يأمر بما يوصل إليه، ومثاله الوضوء الذي أخذ حكم الوجوب لأنه شرط لتحقيق به الصلاة من باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. وإذا نهى الشارع عن شيء فإنه يمنع كل الذرائع المؤدية إليه، فقد حرم الزنا وحرم كل ما يقرب إليه، فقال تعالى: "ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا". [سورة الإسراء الآية 32] يقول ابن القيم رحمه الله: "إذا حرم الرب تعالى شيئا وله طرق ووسائل تفضي إليه فإنه يجرمها ويمنع منها، تحقيقاً لتحريمه وتثبيتاً له ومنع أن يقرب حماء، ولو أباح الوسائل والذرائع المفضية إليه لكان ذلك نقضاً للتحريم وإغراءً للنفوس به، وحكمته تعالى وعلمه بأي ذلك كل الإباء"<sup>2</sup>. وهو ما أكدّه الشاطبي بقوله: "فإن عادة

1- القرافي، الفروق، ج: 2، ص: 32.

2 ابن القيم، إعلام الموقعين، ج: 3، ص: 147.

أ. كمال لدرع.....قاعدة سد الذرائع  
 الشرع -أي أنه قاعدة مطردة- أنه إذا نهي عن شيء وشدّد فيه منع ما حواليه، وما دار به  
 ورتع حول حماه"<sup>1</sup>.

إن قاعدة سد الذرائع إنما هي في الحقيقة محافظة على المقاصد الأصلية للشرعية الإسلامية  
 بدرء ما يفسدها ويفوت مصالحها. وقد تقرر أن درء المفاسد أولى من جلب المصالح، لهذا  
 نجد في هذا القسم من الذرائع يذهبون إلى معان أبعد، حتى في مجال العبادات المشروعة  
 المنصوص عليها، فإن الأعمال الثابتة بالشرع مطلوب فعلها، ويثاب عليها صاحبها، لكن إذا  
 كان في إظهار العمل بها كما يقول الشاطبي والمداومة عليها (أي في مجال السنن وليس  
 الفرائض، لأن الفرائض مطلوب المداومة عليها) ما يخاف أن يعتقد أنها واجبة، فقد يكون  
 مطلوب تركها في الجملة<sup>2</sup>. وهذا المعنى له شواهد من السنة، فقد نهي رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم أن يتقدم شهر رمضان بيوم أو يومين، وقد علل العلماء نهي صلى الله عليه وسلم  
 بمخافة أن يعتقد الناس أن ذلك من رمضان. وقد كان كبار الصحابة كابي بكر وعمير لا  
 يضحون بمخافة أن يعتقد الناس أن الأضحية واجبة، فيقع الفقراء في حرج.

**الفصل الثاني: خطر المبالغة في الأخذ بمبدأ سد الذرائع في التعدي على  
 حرية التصرف:**

إن قاعدة سد الذرائع مبدأ من المبادئ التشريعية المهمة، لأنها تعصم المكلفين من إلحاق  
 الضرر بالغير عند مزاولتهم لتصرفاتهم المختلفة. إلا أن هذا المبدأ ينبغي أن يراع تطبيقه. مما  
 يحقق جلب المصلحة أو درء المفسدة، فإن سوء توظيف هذا المبدأ قد يحرم الناس من  
 التصرف في شؤونهم وحقوقهم بكامل حريتهم، ويضيق عليهم مجال العمل بدعوى سد  
 الذريعة. لذلك فإن سد الذرائع قد يعتد بها في أحوال دون أحوال، فيعتد بها إذا تبين أنها  
 مفضية إلى المفاسد قطعاً أو ظناً غالباً، وقد لا يعتد بها إذا كان احتمال الإفضاء إليها ضعيفاً،  
 وذلك بالموازنة بين المصالح والمفاسد، حيث يكون الحكم على الذريعة بترجيح إحداها على

1- الشاطبي، الاعتصام، ج: 1، ص: 104.

2- المرجع نفسه، ج: 2، ص: 32.

أ. كمال لدرع.....قاعدة سد الذرائع  
الأخرى<sup>1</sup>. وقد حذّر العلماء من سوء توظيف قاعدة سد الذريعة لأنها قد تضيق ما هو حق للناس وهو حرية التصرف، أو يعتدى على حق هو ممنوح لهم شرعاً، فتكون نتائجها سيئة على مجموع الأمة وآحادها؛ فلا يجوز مثلاً بدعوى سد ذرائع الخمر أن تمنع زراعة العنب، لأن مصلحة الأمة في زراعة العنب والانتفاع بطيباته تفوق منع ماله إلى المفسدة، فقطع الذرائع في هذه الحال له طرق أخرى يمكن أن يتحقق بها، فمنعها من زراعته يلحق بما حرجا لا يناسب سماحة الشريعة، لأن هذا المنع يجرمها من التمتع بالطيبات، فكانت إباحة زراعة العنب بالنظر إلى مصالحه الغالبة أرجح مما تؤدي إليه من اعتصارها خمرًا<sup>2</sup>. وكما لا يجوز مثلاً الامتناع من تولي بعض الوظائف، كتولي أموال اليتامى، أو نظارة الأوقاف، أو القضاء خشية الوقوع في الظلم، أو خشية التهمة من الناس، أو خشية زيغ النفس فتأخذ ما لا يحل لها، فذلك مما يعطل مصالح الخلق، فلو تركت الولاية على اليتيم خشية التهمة أو التقصير لضاعت مصالح اليتامى، ولو امتنع الناس عن أداء الشهادة خشية الكذب لضاعت حقوق المظلومين، ولو تركوا القضاء خشية التقصير لما وجد من يفصل في الخصومات. فلا يجوز إذن المبالغة في الأخذ بمبدأ سد الذرائع فإن ذلك قد يمنع من التصرف في أمر مباح، أو مندوب، أو واجب بدعوى دفع المآلات الفاسدة عن النفس أو الغير، أو مخافة الوقوع في المنوع لأن ذلك مما يفوت المصالح العظيمة عن الناس، فتضطرب أمورهم، ولا يستقيم معاشهم<sup>3</sup>. ومن هنا وجب ضبط مسألة سد الذرائع، بالموازنة بين مضار الأخذ ومضار الترك، ثم الترجيح بينهما عن طريق النظر والاجتهاد. وهذا الضابط هو الذي قرره العلماء فيكون الحكم على الذريعة بحسب ما توول إليه، فإذا غلبت مفسدة المآل على مصلحة الفعل الذي هو في حقيقته ذريعة إلى المآل منع ذلك الفعل ولو كان في أصله مشروعاً<sup>4</sup>.

1- ابن عاشور، مقاصد، ص: 117، 116.

2- المرجع نفسه.

3- محمد أبو زهرة، أصول الفقه، دار الفكر العربي، ص: 275، 276.

4- ابن عاشور، مقاصد، ص: 116.

١. كمال لدرع.....قاعدة سد الذرائع

**الفرد الثالث: تطبيقاته فقهية على أثر قاححة سد الذرائع في ضبط حرية تصرفه المكلفين:**

قد وردت عدة تطبيقات فقهية على ضابط سد ذرائع الفساد والذي كان له دور مهم في ضبط تصرفات المكلفين والحيلولة دون ترتب المفسد عن أفعالهم التي يمارسونها بمقتضى حقهم في التصرف، ومن هذه التطبيقات: بيوع الآجال، وتضمين الصناع، ومنع الزواج بالكنايات، وتوريث المبتوتة في مرض الموت وغيرها، ونكتفي بمثال واحد لبيان أهمية هذه القاعدة من الناحية العملية.

### مسألة بيوع الآجال

كمن باع سلعة بعشرة دراهم إلى أجل كشهري أو أقل أو أكثر، ثم اشتراها نفس البائع من نفس المشتري بخمسة دراهم قبل الأجل المتفق عليه.

جمهور الفقهاء من المالكية والحنابلة ومن وافقهم خلافا للشافعية يمنعون هذه البيوع، لأنها وسيلة إلى الربا، فالبيع جائز لكن صاحبه تذرّع به إلى أمر ممنوع. ووجه الاحتجاج على منع بيوع الآجال عند مالك هو دليل سد الذرائع، ففي مثل هذه البيوع قد يظهر فيها القصد من قبل المتبايعين وقد لا يظهر، ولكن هنا كثر قصد الناس بمثل هذه البيوع إلى الربا، فجعل المالكية كثرة ترتب الغاية على الوسيلة استدلالا كافيا على منع بيوع الآجال إعمالا لقاعدة الذرائع التي تعتبر من أصول مذهب مالك. فقد لاحظ المالكية أنه في كثير من الأحيان تكون هذه البيوع ذريعة إلى أكل الربا من قبل الناس، فمنعت لأجل هذا الغرض المنسوع سدا لذريعة الربا، وقد اعتبر المالكية هذه المظنة وهي كثرة وقوع القصد كافية للحكم على بيوع الآجال بالمنع. فأقاموا الكثرة مقام العلم أو غلبة الظن من باب الاحتياط والحزم في دفع الفساد وحماية المجتمع منه، وتقدما لدرء المفسد على جلب المصالح، لأن العبرة بالفساد المترتب عن هذه البيوع دون الالتفات إلى النية التي هي أمر خفي.

أ. كمال لدرع..... قاعدة سد الذرائع  
وقد وجه الإمام الشاطبي آراء الفقهاء في المسألة مرجحاً مذهب المالكية ومن وافقهم؛  
فذكر أن صاحب الحق إذا استعمل حقه دون أن يقصد الإضرار بأحد ولا يلحقه هو بالمنع  
منه مضرة، لكن فعله هذا يؤدي إلى وقوع المفسدة كثيراً لا غالباً. فصاحب الحق هنا لا يعتبر  
مقصراً ولا قاصداً للمفسدة، ولا يبطل تصرفه لضرر متوقع، لذلك اعتبر أن الأصل في مثل  
هذا الفعل هو صحة الإذن كما قال الشافعي، لأن العلم والظن الغالب بوقوع المفسدة  
منتفیان. ثم وضح الشاطبي أن الحكم على الفعل الذي هو ذريعة إلى المفسدة ليس على  
أساس أن الفاعل قاصداً للمفسدة أو مقصراً في الاحتياط، وإنما لكثرة التذرع بمثل هذه  
الأفعال إلى المفساد في الواقع مع جواز تخلف وقوع المفساد، وهو ما أخذ به المالكية  
ووافقهم في ذلك الحنابلة، فاعتبر مالك الكثرة مقام غلبة الظن في المعاملات، فحكم على  
الفعل بكثرة وقوع المآل في الواقع<sup>1</sup>.

فالمالكية ومن وافقهم رجحوا الأصل الثاني تطهيراً للمجتمع من ذرائع الفساد، وهو ما  
يتفق مع قواعد الشريعة، وتقديمها للمصلحة العامة على الخاصة، فكثرة وقوع الفساد توجب  
سد ذرائعه، ولو كانت في أصلها مشروعة لأن العبرة بالمآل. والذي ذهبوا إليه له من الشرع  
ما يعضده ويؤيده، فقد نهى الشارع الحكيم عن أمور هي في الأصل جائزة ومأذون فيها لأنها  
تؤدي في كثير من الأحوال إلى المفساد ولو لم تكن غالبية، كالنهى عن الخلو بالآجنبية،  
وعن سفر المرأة دون محرم، وعن خطبة المرأة في أثناء عدتها. والأخذ بقاعدة سد الذريعة في  
هذا المجال هو في الحقيقة إعمال لمبدأ الموازنة بين المصلحة والمفسدة، أي بين مصلحة الفعل  
وفساد مآله، فإذا ترجح فساد المآل منع الفعل، ولا يلتفت إلى مشروعيته، ولا إلى حسن نية  
فاعله<sup>2</sup>.

1- المرجع نفسه، ج: 2، ص: 348 وما بعدها.

2- الدريني، نظرية التعسف في استعمال الحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، سنة 1977م، ص:  
198، 199.



## منهجية تدريس علم الكلام (العقيدة) لطلبة السنة الأولى علوم إسلامية

د. عليوان اسعيد

جامعة الأمير عبد القادر

مقدمة:

تعد مناهج التدريس من أهم اهتمامات علماء التربية قديما وحديثا. وذلك بغية اكتشاف أفضل الطرائق لإيصال المادة العلمية إلى أذهان المتلقين وتحقيق الأهداف المتوخاة من العمل التربوي مما يجعلنا نبدأ موضوعنا بالتساؤل الآتي:

ما هي أفضل طريقة لا إيصال المادة العلمية فحسب، بل لبناء الذات من الداخل. وإنشاء الحصانة الذاتية التي تنكسر أمامها جميع الهجمات المفروضة الموجهة، المكشورة عن أنيابها، المرزة محالبها بغية غرزها في هذه الذات التي لم يتعرض مثلها لمثله بغية تهميشها وتجزيقها وجعلها أشلاء فاقدة للحياة؟.

ولما كانت العقيدة الإسلامية هي أساس بناء الذات الإسلامية، والمحور الذي تدور عليه كل علوم المسلمين.

وكانت البنية الإسلامية تتكون من مجموع عناصر ثلاثة هي العقيدة والعبادة والشريعة. وكانت العقيدة هي عماد كل ذلك. لأنها الأساس الأول الذي لا بد منه بحيث إذا توفرت عُدَّ المرء مسلما وإن قصر في العنصرين الآخرين، وإذا لم تتوفر لم يعتبر مسلما وإن أفنى عمره كله عبادة والتزاما بأحكام الشريعة<sup>1</sup>، وكانت هذه العقيدة هي حصن المسلمين

1 - محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقنيات الكونية: ط 5، دار الفكر، دمشق، 1397هـ، ص 75، 74.

د. اسعد عليوان ..... منهجية تدريس علم الكلام

وملاذهم الوحيد عبر التاريخ وكان جوهر هذه العقيدة: الإيمان بالله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. ليس كمثل شيء وهو السميع البصير فإننا نبدأ بتدريس هذه بتيان المادة بتيان العقيدة الإسلامية في البنية الإسلامية ثم نحدد أهدافنا من دراسة علم الكلام (علم العقيدة). ومن أهم هذه الأهداف في تصورنا ما يأتي:

1- فهم العقيدة الإسلامية فهما دقيقا.

2- معرفة ما بذله المسلمون السابقون في الدفاع عن العقيدة الإسلامية ومعرفة المنساجح

التي استخدموها لاستيفيد منها.

3- معرفة ما وقع بينهم من اختلافات، ولا لإحيائها وإثارتها من جديد بل لتحليلها

والوصول من خلالها إلى القاسم المشترك الأعظم بين المسلمين لتتجه نحو الوحدة من جديد.

لأن أساس الإسلام هو الوحدة لا الاختلاف "واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف

بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا"<sup>1</sup>. ولأن العالم غير الإسلامي يسير نحو الوحدة رغم

الاختلاف في الأصول عكس حالنا نحن المسلمين. ووحدته تتم على حسابنا وضدنا.

4- تجنب أخطار المستشرقين والإكليروس لأن تلك الاختلافات مرتعهم الخصب للهجوم

على الإسلام، فعندما نعرفها نستطيع حماية أنفسنا من شرهم لأننا نعرفها من خلالنا وفقنا

لتصورنا لا من خلالهم، ومن جهة أخرى نعرف منبع الشبهات التي أثاروها، ونعرف

مصدرها، لأن كثيرا من الشبهات أكليروسي أخذها بعض المفسرين عن حسن نية، فنعرف

منبعها وكيف تطورت على أيدي المستشرقين والإكليروس ومن تلك الشبهات على سبيل

المثال قضية زواج النبي -صلى الله عليه وسلم- بأمنة زينب بنت جحش، وقضية التبني وهي

مرتبطة بها، وتعدد الزوجات الخ وهذه القضايا مرتبطة بالعقيدة أساسا لأنها تظعن في النبوة.

5- معرفة الملل والنحل مقتدين في هذا بمنهج القرآن الكريم، وذلك أن المنهج السليم لا

يقوم فقط على الردود، وإنما يقوم أيضا على المقارنة، فمثلا عندما يتهم بالإسلام بالعنف

د. اسعيد عليوان ..... منهجة تدريس علم الكلام  
ننظر نحن في طبيعة النصرانية هل هي تقوم على السلم؟ وعندما يتهمون الإسلام بالرق ننظر  
إلى النصرانية هل حثت على تحريمه وهكذا دواليك.

6- ربط الطلاب بما توصل إليه العلم الحديث واستخدامه في البرهنة على صحة الإسلام  
وذلك لأن هذا منهج قرآني من جهة ومن جهة أخرى جعل الطالب ابن عصره ويومه.  
بعد تحديد الأهداف ننتقل إلى أهم محور وهو وجود الله سبحانه وتعالى، فنبداً حديثنا فيه  
عن براهين وجود الله عز وجل وإثبات وحدانيته جل وعلا.

### براهين وجود الله عز وجل

تسهيلاً على الطلبة وضبطاً للموضوع، نبين أن براهين وجود الله عز وجل تقوم على  
أساسين:

أحدهما مخلوقاته (الكون) والآخر كلامه (القرآن الكريم) ونلاحظ هنا أن كثيراً من  
المتكلمين يوردون الحديث عن القرآن الكريم أثناء حديثهم عن المعجزة ونحن خالفناهم هنا  
وأوردنا الحديث عنه كبرهان على وجود الله، والواقع أن القرآن الكريم يثبت وجود الله عز  
وجل، ويثبت نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم- ويثبت كل أركان الإيمان. وتجربتنا في  
التدريس بينت القيمة الكبرى للاستدلال به كبرهان على وجود الله عز وجل، ونبدأ هذه  
البراهين كالآتي:

### الأساس الأول: مخلوقات الله (الكون)

وقد اقتصرنا في السنة الأولى على البراهين الآتية:

1- دليل أو برهان الحدوث 2- دليل أو برهان الوجوب 3- البرهان العلمي أو دليل  
العناية والاختراع.

1- دليل الحدوث

بني العلماء هذا الدليل على مقدمتين هما:



- العالم<sup>1</sup> حادث.

- كل حادث لا بد له من مُحدث.

إذن العالم لا بد له من محدث يحدثه: أي يرجح وجوده على عدمه. وهو الله عز وجل، ولكي تبين لنا صحة هذه النتيجة فلا بد من إقامة الدليل على صحة مقدمتها.

الدليل على أن العالم حادث: ويمكن صياغته بالدليلين الآتيين:

أ- العالم متغير، وكل متغير حادث/ إذن العالم حادث

ب- العالم متركب من جواهر<sup>2</sup> وأعراض<sup>3</sup>، وكل من الجواهر والأعراض متغير/ فالعالم متغير.

ولكي تبين لنا صحة هذه النتيجة: فلا بد من إقامة الدليل على صحة مقدمتها.

(الدليل على أن الأعراض حادثة): هي حادثة بدليل.

أ- مشاهدة تغيرها من وجود إلى عدم وعكسه، ومن سكون إلى حركة وعكسه، والتغير علامة الحدوث.

ب- احتياجها إلى مُخصّص بوقت حدوثها دون ما قبله وما بعده: أي لا بد من مرجح

لوقوعها في ذلك الوقت، لأن الترجيح من دون مرجح محال.

ج- افتقارها إلى جسم يقوم بها.

(الدليل على أن الجواهر حادثة): وذلك:

لأنها ملازمة للأعراض، فهي لا تخلو عن الحركة والسكون والألوان، ولم كانت الأعراض حادثة، فإن ملازم الحوادث حادث.

1 - العالم: هو كل ما سوى الله. وسمي حادثاً لأنه حدث بعد عدم لعله أوجدته.

2- الجوهر ما قام بنفسه والعرض ما قام بغيره. فالحجر مثلاً جوهر وعرض، فمادته جوهر. وألوانه أو حركته أو سكونه عرض.

3 - رشدي محمد عليان، قحطان عبد الرحمن الدوري: أصول الدين الإسلامي: ط4 جامعة بغداد.

1990. ص هامش ص74-75.

د. اسعيد عليوان ..... منهجة تدريس علم الكلام  
فإذا ثبت أن الجواهر والأعراض حادثة لزم أن يكون العالم المكون منهما حادثا، وبذلك  
تسلم لنا المقدمة الأولى وهي: العالم حادث.

الدليل على أن كل حادث لا بد له من محدث:

هو: أنه لو حدث حادث بلا محدث لزم أن يترجح وجوده على عدمه بلا مرجح. وهو  
مستحيل بالبداهة. ومعنى الرجحان بلا مرجح أن يكون الشيء جاريا على نسق معين ثم  
يتغير عن نسقه بدون وجود أي مغير، وهذا واضح البطلان. لأن كل عاقل يدرك أنه  
لتحويل شيء عن حاله السابقة لا بد من محول ومؤثر يؤدي إلى ذلك، ومثاله: لو تركت  
كفتي ميزان متساويتين. لا تظل في إحدهما وزعمت أن إحدهما قد ترجحت بدون مؤثر  
خارجي كنفخة هواء أو حجر إلخ... فإنك تكون مثارا للسخرية<sup>1</sup> "وعلى ذلك نقول: كل  
العدم هو المنبسط محل العالم قبل وجوده، فالعدم أرجح من الوجود لسبقه، ولكن حين خلق  
هذا العالم ترجح وجوده على العدم، فالوجود والعدم أمران متساويان، وترجح أحدهما  
الأمرين المتساويين على الآخر بلا مرجح مستحيل وباطل بالبداهة. فالقول بأن العدم قد  
تحول إلى وجود العالم دون مسبب لهذا الوجود. باطل مستحيل استحالة دعوى صاحب  
الميزان... وبذلك تسلم لنا المقدمة الثانية، وهي: إن كل حادث لا بد له من محدث<sup>2</sup>

## 2- دليل الوجوب

هذا البرهان ينسب أصله إلى الجويني<sup>3</sup>. ويقوم هذا الدليل في أساسه على مجموعة من  
الأفكار، منطلقه أن جميع الأمور والأشكال المفروضة في الذهن لا تعدو أن تتصف بأحد  
أوصاف ثلاثة: الوجوب والاستحالة والإمكان ولا رابع لهذه الأوصاف لأنها أقسام الحكم  
العقلي، وإذن فموجد هذا الكون إما أن يكون واجبا أو مستحيلا أو ممكنا ولا رابع. وهنا

1 - رشدي محمد عليان وقحطان عبد الرحمن الدوري. المرجع السابق، ص 74-75.

2 - المرجع نفسه، ص 76-77.

3 - محمود قاسم مقدمة مناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد، ط 3، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة  
1969م، ص 15.

د. اسعد عليوان ..... منهجية تدريس علم الكلام

يتطرق المتكلمون إلى أقسام العلوم إلى ممكن لذاته واجب لذاته ومستحيل لذاته، ويعرفون كل قسم ويتعرضون إلى أحكام كل منها. ويتوصلون إلى أن الممكن موجود قطعاً، وأن وجود الممكن يقتضي في الضرورة وجود الواجب<sup>1</sup> وكل مرحلة من هذه المراحل تحتاج إلى برهنة كما أنه لا بد من معرفة معنى الدور والتسلسل وإثبات بطلانها لتوصل في النهاية إلى إثبات أن يكون مُوجد العالم واجب الوجود<sup>2</sup>.

**ملاحظة على هذين الدليلين:** يلاحظ بأنَّهُمَا يتطلبان لفهمهما أن يكون للطالب دراية بكل من المنطق والفلسفة وإلا صعب عليه فهمهما. ولكنه بدون فهمهما لا يمكن أن يفهم ما أنتجه علماء الكلام السابقون الذين استخدموا في هذين البرهانين معطيات عصرهم العلمية والفكرية، ولما كان الطالب يأتي إلى الجامعة مزوداً بدراسة معتبرة للفلسفة ومبادئ المنطق، وكانت مادة المنطق مقررة على طلبة السنة الأولى، فإنه عن طريق التكامل بين المواد يمكن لأستاذ العقيدة أن يجد أرضية خصبة لتفقيه الطلبة هذين الدليلين، كما أنه يجب على الأستاذ أن يتدرج في هذين الدليلين شيئاً فشيئاً ويعيد ويكرر، ولا يتقل من قضية إلا بعد التأكد من استيعاب الطلبة لها. ويتم تأكده بواسطة المناقشة. وتجربتنا المتواضعة بينت أن الاستيعاب ليس مستحيلاً بل رأينا نتائج إيجابية جداً وذلك مع طلبة السنة الأولى بمعهد باتنة سابقاً.

### 3- البرهان العلمي (دليل العناية والاختراع)

دليلاً العناية والاختراع استخدمهما أولاً الماتريدي. أخذهما عن القرآن الكريم وهما يطابقان العقل والشرع معاً<sup>3</sup> ثم بلورهما ابن رشد، ومنطلقه "أن الأدلة التي تستخدم في إثبات وجود الله يجب أن تكون بديهية وغير معقدة أي خالية من تفريع المتكلمين وتقسيماتهم

1 - محمد عبده رسالة التوحيد، ط 2، دار إحياء العلوم، بيروت، 1977م. ص 53-57. أيضاً محمد سعيد رمضان البوطي. كبرى البنيات الكونية. ص 83-93. أيضاً رشدي محمد عليان وقحطان عبد الرحمن الدوري، المرجع السابق، ص 77-83.

2 - رشدي محمد عليان وقحطان عبد الرحمن الدوري. المرجع السابق، ص 77.

3 - محمد قاسم: مقدمة مناهج الأدلة، ص 21.

د. اسعد عليان ..... منهجية تدريس علم الكلام العقلية. كما ينبغي ألا تثير الشبهات وأن تكون أدلة العقل والشرع في آن واحد إذ الحقيقة واحدة وبهذا تتجه هذه الأدلة في يسر إلى الناس جميعا عامة وخاصة. وربما حفزت العامة إلى الرغبة في المعرفة للوصول إلى مرتبة العلماء<sup>1</sup>. ونجد أن هذين الدليلين أوضح الأدلة على وجود الله ويمكن.

أ- أن يتخذها الجمهور طريقا لإثبات وجود الله فيقتضون منه على ما هو مدرك بالمعرفة الأولى المبنية على الحس.

ب- والعلماء فيزيدون على ما يدرك من هذه الأشياء بالحس ما يدرك بالبرهان هذان الدليلان هما اللذان نبه عليهما القرآن الكريم واعتمدهما الصحابة وبيانهما فيما يأتي<sup>2</sup>.

### الأول: دليل العناية

أي طريق الوقوف على العناية بالإنسان وخلق جميع الموجودات من أجله. ويبني على أصليين:

أ- أحدهما: أن جميع الموجودات التي هاهنا موافقة لوجود الإنسان.

ب- الأصل الثاني: أن هذه الموافقة هي ضرورة، من قبل فاعل قاصد لذلك مريد، إذ ليس يمكن أن تكون هذه الموافقة بالاتفاق. فأما كونها موافقة لوجود الإنسان فيحصل اليقين بذلك باعتبار موافقة الليل والنهار والشمس والقمر لوجود الإنسان، وكذلك موافقة الزمان، والمكان الذي هو فيه وهو الأرض والحيوان والنبات والجماد... الخ. والأمطار والأنهار والبحار. وكذلك تظهر العناية في أعضاء الإنسان وأعضاء الحيوان. أي كونها موافقة لحياته ووجوده وهكذا. ولذلك وجب على من أراد أن يعرف الله تعالى المعرفة التامة أن يفحص عن منافع الموجودات<sup>3</sup>.

1 - المرجع نفسه: ص 24.

2 - رشدي محمد عليان وقحطان عبد الرحمن الدوري. المرجع السابق، ص 84.

3 - ابن رشد أبو الوليد، مناهج الأدلة في عقائد الملة. تحقيق محمود قاسم. ط 3، مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة 1969م، ص 151-152.

## الثاني: دليل الاختراع

وهو لا يقل بدهاءة ووضوحا عن الدليل الأول، فإن الاختراع بين في أنواع الحيوان والنبات وجميع أجزاء العالم. حيث أن وجود الحيوان والنبات دليل محسوس على الاختراع. بمعنى أن وجود ظاهرة الحياة نفسها التي تطرأ على الأشياء غير العضوية كافي وحده في إثبات فكرة الاختراع، أما أجزاء العالم وحركات أجرامه السماوية فهي مخترعة أيضا لأنها مسخرة لتحقيق غايات معينة، وكل شيء مسخر لا بد أن يكون مخلوقا.

فإذا ثبت حدوث هذه الأشياء جميعا، حية وغير حية، كان ذلك دليلا بالضرورة على وجود الخالق!

هذا الدليل مبني على أصلين موجودين بالقوة في جميع فطر الناس.

أ- أحدهما: أن هذه الموجودات مخترعة. وهذا معروف بنفسه في الحيوان والنبات كما قال تعالى: "إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له"<sup>2</sup> فإننا نرى أجساما جمادية ثم تحدث فيها الحياة. فنعلم قطعا أن هاهنا موجدا للحياة ومنعما بها، وهو الله تبارك وتعالى، وأما السموات فنعلم، من قبل حركتها التي لا تفتقر، أنها مأمورة بالعناية بما هاهنا، ومسخرة لنا، والمسخر المأمور مخترع من قبل غيره ضرورة.

ب- وأما الأصل الثاني: فهو أن كل مخترع فله مخترع.

فيصبح من هذين الأصلين أن للموجود فاعلا مخترعا له، فعلى من أراد معرفة الله حقوق معرفته أن يعرف جواهر الأشياء ليكشف على الاختراع الحقيقي في جميع الموجودات؛ لأن من لم يعرف حقيقة الشيء لم يعرف حقيقة الاختراع. وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى: "أو لم ينظر في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء..."<sup>3</sup>

1 - محمود قاسم: المرجع السابق. ص 26.

2 - الحج: 73

3 - الأعراف: 185.

د. اسعد عليوان ..... منهجية تدريس علم الكلام  
فهذان الدليلان هما دليلا الشرع، وقد بين ابن رشد أن آيات القرآن الدالة على وجود  
الله منحصرة في هذين الجنسين من الأدلة وبين أن أدلة القرآن الكريم في هذا ثلاثة أنواع.  
- ما يتضمن التنبية على دلالة العناية فقط وهي كثيرة مثل قوله تعالى "ألم نجعل الأرض  
مهادا والجبال أوتادا... وجات ألقافا"<sup>1</sup>.

- ما يتضمن دلالة الاختراع فقط، مثل قوله تعالى: "فلينظر الإنسان مم خلق... دافق"<sup>2</sup>  
وقوله تعالى: "أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت... سطحت"<sup>3</sup>.

- الآيات التي تجمع الدالتين، وهي كثيرة أيضا، بل هي الأكثر، مثل قوله تعالى: "يا أيها  
الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم" إلى قوله: "فلا تجعلوا لله أنداد وأنتم  
تعلمون"<sup>4</sup>. فإن قوله "الذي خلقكم والذين من قبلكم" تنبيه على دلالة الاختراع، وقوله:  
"الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء" تنبيه على دلالة العناية<sup>5</sup>.  
ميزة هذين الدليلين:

1- أنهما دليلان عقليان: وهما دليل الشرع نفسه.  
2- يحفران الإنسان إلى السير في طريق العلم حتى نهايته إن كانت له نهاية، ذلك أن  
فكرتنا عن حقيقة الخلق لا تصبح كاملة إلا إذا وقفنا على آثار صنعة الله في كل جزء من  
أجزاء الكون<sup>6</sup>.

ومن هنا فإن هذا الدليل -العناية والاختراع- هو الدليل العلمي الذي أكد عليه العلماء  
في العصر الحاضر بعد اتساع نطاق العلم الحديث واستكشاف الإنسان آفاق الفضاء  
والوقوف على كثير من أسرار الطبيعة<sup>7</sup>. وهنا يجب أن يكمل الأستاذ الحديث عن هذين

1 - النبأ: 6-16.  
2 - الطارق: 5-6.  
3 - الغاشية: 17-20.  
4 - البقرة: 21-22.  
5 - ابن رشد أبو الوليد، المصدر السابق، ص 152-154.  
6 - محمود قاسم. المرجع السابق، ص 27.  
7 - رشيد محمد عليان وقحطان عبد الرحمن الدوري، المرجع السابق، ص 87.

د. اسعيد عليوان ..... منهجية تدريس علم الكلام  
الدليلين بإيراد جوانب مما يسمى اليوم "الإعجاز العلمي في القرآن الكريم" والكتب التي  
تتحدث عنه معروفة مثل الإسلام يتحدى لوحيد الدين خان: وأصول الدين الإسلامي  
لرشدي محمد عليان وقحطان عبد الرحمن وغيرها.

### الأساس الثاني: كلام الله عز وجل

من المعروف أن القرآن الكريم هو الكاتب الديني الوحيد الذي يحمل طابع التحدي  
للموجودات كلها إنسهم وجنهم وفي الوجود كله. وقد تحدى العرب بجنس كلامهم  
فعجزوا. وتعددت جوانب إعجازه. وهنا نشير إلى ما يخدم موضوع الألوهية على سبيل  
الإيجاز والتكيز حتى لا يؤدي إلى الملل. فتبدأ بإشارة خفيفة إلى التحدي أو طابع الإعجاز  
البياني، وأشير إلى المراجع المختارة لتأدية الغرض. وهي: الإسلام يتحدى لوحيد الدين خان،  
من روائع القرآن للبوطي، إعجاز القرآني للباقلاني، إعجاز القرآن للشعرواي. كتب السيرة  
النبوية كابن هشام. النبأ العظيم لمحمد عبد الله دراز الخ. ونشير هنا إلى جانب مهم يعد من  
جوانب الإعجاز البياني مرتبط بموضوع الألوهية. هو مظهر جلال الربوبية في القرآن الكريم.

### مظهر جلال الربوبية في القرآن الكريم

#### أحد وجوه إعجازه

مظهر جلال الربوبية في القرآن الكريم هو أيسر شيء تذوقه فيه. وهنا نجد أنفسنا أمام  
إعجاز آخر لا تحول دون فهمه عجمة أو أمية، للعرب والعجم ولجميع الناس. وتبين هذا  
أن هناك قانون نفسي مضمونه أن طبيعة المتكلم تتراءى في مرآة لا نظير لها هي كلامه فإذا  
تكلم كثيرا عرفنا نفسيته أو طبيعته "الكلام صفة المتكلم". من مظاهر ذلك أن الرجل الذي  
يعيش في هذا العصر وتطبع بهذا القرن لا يستطيع أن يقلد أسلوب الجاحظ (ت 868م). أو  
عبد الحميد الكاتب (750م) ورجل طبيعته الجد والتعمق في النظر لا يستطيع أن يكتب  
طابع الهزل، وكذلك العكس. فالعقاد (ت 1964م) لا يمكن أن يكون المازني (ت 1949م)  
والعكس صحيح.

د. اسعيد عليوان ..... منهجية تدريس علم الكلام

نطبق ما سبق على القرآن الكريم فنقرأ منه الآيات الذاتية، أي التي يتحدث فيها الله عن ذاته، ولنفرض أن هذا القرآن الكريم كلام بشر، وأن إنسانا صاعه، وقد عرفنا أن الإنسان لا ينطبع إلا بما فيه، فلنصنع إلى الآيات الذاتية، وتلمس صفة البشرية فيها. هل يمكن أن نجد شيئا من صفات البشرية؟.

عندما نقرأ قوله عز وجل<sup>1</sup>: "نبيء عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم"<sup>2</sup> "إني أنا الله لا اله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى"<sup>3</sup> "ويقول الإنسان أنذا ما مت لسوف أخرج حيا أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا. فوريك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا... عتيا"<sup>4</sup> "ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد"<sup>5</sup> "إنا نحن نحي ونميت وإلينا المصير يوم تشقق الأرض عنهم سراعا ذلك نحشر علينا يسير نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بحيار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد"<sup>6</sup> "وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم قل يحياها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم... الخلاق العليم إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون... ترجعون"<sup>7</sup> عندما نسمع هذا الكلام تنتبه إلى ما ينشره في نفوسنا من عظمة الألوهية البالغة<sup>8</sup> وتأمل كيف تتزل معانيها من علو عظيم، وكيف تغمرنا بصورة القوة التي لا تحدو الهيبة التي ليست مما يتصف به البشر "وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذن لا نخذوك خليليا. ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا

- 1 - محمد سعيد رمضان البوطي. المظاهر الجديدة في إعجاز القرآن الكريم محاضرة ألقى بقاعة الموقار وأكملت بمسجد ابن باديس بالجزائر العاصمة في 1984م.
- 2 - الحجر: 49-50.
- 3 - طه: 14-15.
- 4 - مريم: 66-69.
- 5 - ق: 16.
- 6 - ق: 43-45.
- 7 - يس/ 43-45.
- 8 - محمد سعيد رمضان البوطي. المظاهر الجديدة في إعجاز القرآن الكريم.



د. اسعيد عليوان ..... منهجية تدريس علم الكلام  
إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً... ولا تجد لسنننا  
تحويلاً<sup>1</sup> "أفوجد أن مثل هذا الكلام مما يمكن لبشر أن يصطنعه اصطناعاً وأن ينطق به تمثيلاً،  
وأن يتحلى به تزويراً"<sup>2</sup>.

### فلنتأمل ولنفكر:

أين هي مكامن البشرية في أقل مظاهرها في الآيات السابقة؟ كيف أستطيع أن أفرض أن  
بشراً من الناس في عصر جلس في مكتبه وتصور كيف يكون الإله ويتخلى عن بشريته؟ لا  
يمكن لأنه إذا كان الإنسان لا يستطيع أن يقلد أخاه الإنسان على الرغم من القاسم المشترك  
بينهما وتغلب الفوارق. إذا كان ذلك كذلك. كيف يزعم هذا الإنسان أنه إله؟ إته لا  
يستطيع أن يتكلم بهذا. لأنه مهما بلغ الإنسان من القدرة على التمثيل والتمويه والمحاكاة لا  
يمكنه أن يبلغ حد ازدواج المتناقض في مجال الطبيعة والنفس، بمعنى أنه لا يتأتى لإنسان ما  
أن ينطبع في جانب من نفسه على البشرية بخصائصها المعروفة ويتطبع في جانب آخر منها  
على الألوهية بخصائصها المعروفة أيضاً.

وإذا كان هذا غير ممكن فمن المستحيل لإنسان ما أن يصوغ كلاً ما ينشر من حوله  
جبروت الألوهية وتضع منه رهبة الربوبية وكبريائها في صياغة لا تكلف فيها ولا تمثيل. لأن  
الطبيعة البشرية لا يمكن أن تتخلى عنه لحظة من لحظات حياته. وبذلك تعوقه عن القدرة  
على هذا الأمر. ولو حاول أن يجرب عن طريق التقمص والتمثيل قلن يأتي إلا بكلام  
متهافت يثبت ما أقامه في نفسه من ازدواج مصطنع كاذب في الطبع والشعور<sup>3</sup>.

ولقد جسد القرآن الكريم هذا عندما حدثنا عن فرعون. فرعون ادعى الربوبية ولكنه لم  
يستطع أن يتخلص من مظاهر البشرية. كان يجلس على عرش الملك ويدعي الربوبية ولكن  
بسريره تكذبه "وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على

1 - الإسراء: 71-77.

2 - محمد سعيد رمضان البوطي. من روائع القرآن، ط 5، مكتبة الفارابي، دمشق 1977، ص 189.

3 - محمد سعيد رمضان البوطي، ص 188.

د. اسعيد عليوان ..... منهجية تدريس علم الكلام  
الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين"<sup>1</sup>. كيف بفرعون  
يدعي الربوبية ويصعد إلى السماء ليقضي على إله موسى. ولكنه لا يستطيع إلا بالاستعانة  
بالطين. بالتراب، لماذا يستعين بغيره؟ لقد كذبه لسانه أقرب شيء لذاته. إله لا يستطيع أن  
يحقق ما يريد إلا بالاستعانة بغيره ثم يقول: (لعلي) أي لا يتأكد هل يستطيع أم لا، وليس  
متأكدا هل موسى صادق في القول بوجود إله آخر أم لا: "وإني لأظنه" إن كل هذا من  
مظاهر ضعف البشرية فالإله لا يقول لعلي. لأنه قادر<sup>2</sup> "وما كان الله ليعجزه من شيء في  
السموات ولا في الأرض إنه كان عليما قديرا"<sup>3</sup> ولا يظن لأن علمه وسع كل شيء خيرا  
"والله بكل شيء عليم"<sup>4</sup>.

وإذا ظهر لنا من خلال ما سبق مظهر جلال الربوبية في الآيات الذاتية وكذب ادعاء  
الألوهية للمدعين من البشر ولكن ذاقهم وتعيرهم فضحهم.  
فلنقارن، -ليكتمل الموضوع- مظهر جلال الربوبية وكبرياء الألوهية في القرآن الكريم بما  
ورد فيما يسمى (الكتاب المقدس) فالله عز وجل في تصوير أهل الكتاب يتعصب ويكذب  
ويعشي ويلبس الملابس الجلدية ويخاف منافسة آدم له ويحزن ويتأسف ويندم وينسى ويتذكر،  
يخاف من وحدة البشر، ينزل إلى الأرض لينظر المدينة والبرج، يتغدى عند إبراهيم بلحم  
العجل والخبز ويغسل رجليه ويتكى تحت شجرة نائما. له صورة ورأس وشعر ووجه وقفا  
وعين وأجفان وأذن وأنف ورجل وفم ونفس وشفة ولسان ويد ورجل وأصابع وبطن  
وقلب وظاهر وفرج ومكان. يتصارع مع يعقوب ويعجز في التغلب عليه. بل حتى في إنقاذ  
نفسه منه<sup>5</sup> الخ. وخلاصة هذا أن الله عند أهل الكتاب يتصف بكل صفات البشر القبيحة  
وأنه في غاية التجسيم.

1 - القصص: 38.

2 - محمد سعيد رمضان البوطي، المظاهر الجديدة في إعجاز القرآن الكريم.

3 - فاطر: 45.

4 - التغابن: 11.

5 - ومن أراد التوسع في هذا فليرجع إلى ما كتبناه عن الألوهية في العقيدة النصرانية في رسالة الدكتوراه.

اسعد عليوان ..... منهجية تدريس علم الكلام

إذن هذه الصفات تبين لنا وفقا للقانون النفسي السابق ذكره (الكلام صفة المتكلم) صفة تدين كتبوها، وإذن فهم بشر قدرون يتصفون بكل تلك الصفات. فهم يتحدثون عن أنفسهم لا عن الله. وإذن فالكتاب المقدس محرف. ليس كلام الله. وإذن يستحيل أن يكون لقرآن الكريم من تأليف محمد -صلى الله عليه وسلم- لأنه لو كان من تأليفه لوجدنا فيه صفات محمد لا صفات الله. ولكننا لا نجد أي أثر لذاته المحمدية في كتابة القرآن الكريم، لقد مرت سنون بمحمد -صلى الله عليه وسلم- لو كان من تأليفه لبثها فيه ومن أهمها عام الحزن -ولكننا لا نجد أي أثر لنفسية محمد عتابا، ولا يمكن أن يؤلف الإنسان كتابا لعاتبة نفسه. فالآيات الذاتية إذن لا وجود فيها لأي طابع بشري. وإذن صاحبها يستحيل أن يكون بشرا لأن البشر يستحيل أن يتجردوا كما رأينا من طبيعتهم البشرية وإذن فإن مظهر جلال الربوبية وكبرياء الألوهية في القرآن الكريم أحد أهم وجوه إعجاز القرآن الكريم. وإذن فالقرآن كلام الله. ومحمد نبيه ورسوله.

### إثبات الوجدانية لله عز وجل

إن البراهين السابقة تتضمن حتمية الوجدانية لله عز وجل ومخالفته للحوادث وأنه "ليس كمثل شيء"<sup>1</sup>. ومع ذلك يجب أن نفرّد لها مبحثا خاصا بها، ومن خلال هذا المبحث نستطيع أن نوجد حصانة من المبشرين الذين أصبحوا الآن يضطادون الطلبة والطالبات ونبث في ذهن الطلاب اعتراضا وافتخارا بعقيدتهم، تنطلق هنا في إثبات الوجدانية لله عز وجل من القرآن الكريم، فهو يقول: "لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا"<sup>2</sup>. ويقول: "ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون"<sup>3</sup> ويقول: "قل لو كان معه آلهة كما تقولون إذا لابتغسوا إلى ذي

1 - الشورى، 11.

2 - الأنبياء، 22.

3 - المؤمنون، 91.

د. اسعد عليوان ..... منهجية تدريس علم الكلام  
العرش سبيلا<sup>1</sup> ويقول: "أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار"<sup>2</sup>.

لقد استنبط المتكلمون أشاعرة وما ترديدية ومعتزلة من الآيات السابقة دليلا -رائعا- على  
الوحدانية هو دليل التمانع<sup>3</sup> ينطلق الأستاذ منه دون أن يخوض في تفرعاته الكثيرة. ونفضل  
استناذه إلى الشامل في أصول الدين للجويني (ت 478 هـ)<sup>4</sup> ويركز على توضيحه بأمثلة من  
الواقع نقترح أن تكون كما يأتي:

ينطلق الأستاذ من القسم أو المدرج الذي يكون به فيسأل الطلبة: لماذا لم تعين الإدارة  
أكثر من أستاذ واحد لتدريس نفس المادة في نفس الحصة؟ ويتوصل إلى أنه مستحيل ذلك  
وإذن: الحصة لها أستاذ واحد فقط. والجامعة لها مدير واحد فقط، والوزارة لها وزير واحد  
فقط، والجيش له قائد عام واحد، والدولة لها رئيس أو ملك واحد ولو وجد أكثر من ملك  
أو رئيس لتعطلت الدولة. وكذا في كل ما سبق. فإذا كانت هذه المؤسسات البسيطة لا  
يمكن تسييرها بأكثر من واحد. مما حتم أن يجعل على رأسها قائد واحد فقط فكيف يمكن  
تسيير الكون المعقد الهائل بأكثر من واحد؟.

نضيف إلى ما سبق:

ربنا عز وجل أظهر نفسه (ليس بمعنى المشاهدة الحسية) وأرسل أنبياء ورسلا، وأنزل  
عليهم كتبا، وهامو القرآن الكريم بين الله عز وجل فيه وجوده ووحدانيته وسلطته المطلقة  
وخلقه لكل شيء وقدرته على كل شيء. وتتساءل هنا أين الآلهة الأخرى المدعاة؟ لو كانت  
موجودة لماذا لم تظهر وترد عليه قائلة له: أنت لست وحدك الإله أو لست إلهًا؟ لما لم تبعث  
رسلا مثله؟ لماذا لم تنزل كتبا؟ بل لماذا لم تظهر وجودها رغم وجود التحدي؟.

1 - الإسراء، 42.

2 - الرعد، 16.

3 - محمود قاسم، مقدمة مناهج الأدلة، ص 19.

4 - إمام الحرمين الجويني، الشامل في أصول الدين، تحقيق علي سامي النشار وآخرين، د ط منشأة  
المعارف، الإسكندرية 1969م، ص ابتداء من ص 352.

ومن خلال هذا تتساءل أين الله الثالث؟ وما دليل وجوده؟ هل الأناجيل؟ إلهيا ليست كلام الله بدليل إنما قال يوحنا. قال مرقس، قال لوقا، قال متى. فبني إذن باعتراف أصحابها ليست قال الله. لكن القرآن الكريم قال الله، لو كانت موجودة إذن أين هي رغم وجود التحدي؟ إلهيا لا وجود لها البتة (لا إله إلا الله) وعلى ذكر الثالث فإننا لا بد أن نقدم له نقدا لتكوين الحصانة من المبشرين وإمداد الطلبة بسلاح يواجهون به مهاجميهم.

تقوم العقيدة النصرانية على أساس أن الله ثلاثة أقاليم متساوية قدمة، هي الابن والأب والروح القدس، هذه الثلاثة تساوي واحد، وحدانية في تثليث. وتثليث في وحدانية، هذا ما يسمى عندهم بالقانون أو الأمانة أو دستور الإيمان. ويرون بأن الإله الابن تأنس من مريم العذراء بواسطة الروح القدس منبثقا من الإله الأب. وأن الإله الروح القدس انبثق -على مذهب الكاثوليك- من الإله الأب والإله الابن.

### إبطال الثالث:

- من أحكام واجب الوجود "أن لا يكون مركبا، إذ لو تركب لتقدم وجود كل جزء من أجزائه على وجود جملة التي هي ذاته، وكل جزء من أجزائه غير ذاته بالضرورة. فيكون وجود جملة محتاجا إلى وجود غيره. ولكن الواجب ما كان وجوده لذاته"<sup>1</sup> وهنا فإن التركيب ذاته يحتاج إلى وجود مركب خارج عن المركب. وهذا إبطال للتثليث.

- إضافة إلى التناقض المادي في بنية الثالث هناك التناقض الفلسفي المنطقي. ذلك أن يقوم على أن الابن تأنس بالروح القدس من مريم العذراء. ولكن الروح القدس انبثق من الابن. وهذا تناقض، فهو من جهة يجعل الابن ممكن الوجود لا واجب الوجود لأنه احتياج إلى الروح القدس ليتأنس ويخرج إلى الوجود ولما كان ممكن الوجود استحاله كونه إلهيا لأنه يحتاج إلى واجب الوجود لأن "وجود الممكن يقتضي بالضرورة وجود الواجب"<sup>2</sup>.

1 - محمد عبده، رسالة التوحيد، ص 58.

2 - المرجع نفسه، ص 57.

د. اسعيد عليان ..... منهجية تدريس علم الكلام  
 ومن جهة أخرى يجعل الابن المتأنس بالروح القدس تسبب في إيجاد الروح القدس حيث  
 انبثق منه. أي أن الروح القدس والروح القدس نتج عن الابن، وهذا مستحيل  
 لأنه دور. والدور باطل فلسفيا وواقعا كما هو معروف وهو أن يكون شيان كل منهما  
 علة للآخر فيستلزم أن يكون كل واحد منهما سابقا لصاحبه متأخرا عنه في وقت واحد، مما  
 يعني استلزام تقدم الشيء على نفسه وهو تناقض، لأنه يجعل الشيء خالقا ومخلوقا سابقا  
 ومسيوقا وهذا باطل<sup>1</sup>.

- نصوص الأناجيل تبين حرفيا عدم المساواة بين الله والمسيح: توجد نصوص كثيرة في  
 مختلف الأناجيل تبين بدقة عدم المساواة بين الله والمسيح، وأن الله واحد وليس ثلاثة، منها  
 قول المسيح مخاطبا الله عز وجل "وهذه هي الحياة الأبدية أن تعرفوك أنت الإله الحقيقي  
 وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته"<sup>2</sup>، أي أن الحياة الأبدية هي أن تعرفك أنت الإله الحقيقي  
 واحد حقيقي لا شريك له وأن عيسى رسوله. ولم يقل أن الحياة الأبدية أن تعرف النفس أن  
 الله ثلاثة أقاليم متساوية وأن عيسى إله وإنسان. وكون المسيح رسولا غير كونه إلهيا، لأن  
 التغاير بين المرسل والمرسل ضروري ولازم<sup>3</sup>.

"ليعلم الذين هم من مشرق الشمس والذين هم من المغرب أنه ليس غيري أنا الرب  
 وليس آخر"<sup>4</sup>. "أنا هو الرب وليس غيري وليس دوني إله شددتك ولم تعرفني"<sup>5</sup>.

"وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن  
 إلا الأب"<sup>6</sup>.

- 1 - رشدي محمد عليان، قحطان عبد الرحمن الدوري، المرجع السابق، ص 79-80.
- 2 - إنجيل يوحنا، 3/17.
- 3 - رهمة الله الهندي، إظهار الحق، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1986م، ج 1، ص 407.
- 4 - أشعيا، 6/45.
- 5 - أشعيا، 5/45. وهذان النصان من العهد القديم، ودلالتهما لها وزنها.
- 6 - إنجيل مرقس، 32/13.

د. اسعيد عليوان.....منهجية تدريس علم الكلام  
وهذا النص يحطم قانون الإيمان النيقاوي الذي قرر المساواة بين الأب والابن وسوى  
المسيح بين نفسه وبين جميع المخلوقات في الجهل بيوم القيامة. وخص بعلمه الله وحده مما  
يبين استحالة كونه إلهاً<sup>1</sup>.

- قول يسوع: (... لأن أبي أعظم مني)<sup>2</sup>.

وهكذا نتوصل إلى أن الله عز وجل واحد فرد صمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً  
أحد.

### مقترحات لتدريس المعجزة

المعجزة من الأبواب المقررة على الطلبة، وهي إثبات للوجود الإلهي من جهة وإثبات  
للنبوة من جهة أخرى. وإضافة للطريقة المتبعة في تدريس المعجزة فإننا نقترح التركيز على  
الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم. وذلك لأن الإسلام اليوم يهاجم شريعة أكثر مما يهاجم  
عقيدة. ونركز على القضايا المخربة اليوم للعالم والتي حلها الإسلام حلاً صحيحاً، ومن  
فوائد هذا ربط التوحيد بالواقع وقد لوحظ أثناء تدريس هذا الجانب سهولة استيعاب الطلبة  
له، بل يجد الطلبة لذة كبيرة ومتعة في دراسته بينما يجدون صعوبة في أدلة الفلاسفة  
وبراهينهم. ونقترح أن يتم تدريس الإعجاز التشريعي كما يأتي:

مقارنة شريعة القرآن بالقانون الروماني وكذا بالقوانين الوضعية الحالية في جوانب  
جوهرية منها:

- نشأة كل منهما زماناً ومكاناً.

- موقف كل منهما من:

- المساواة القانونية، الرق، نظرة كل منهما إلى الضعيف اقتصادياً، قضية المديونية اليوم.

بناء الإنسان من الداخل. والهدف أو النتيجة: الوصول إلى أن الإسلام وحده القادر على

حل مشكل الإنسان.

1 - رحمة الله الهندي، المرجع السابق، ص 409-411.

2 - حنا، 28/14.

د. اسعيد عليوان ..... منهجية تدريس علم الكلام

## ومن المراجع المقترحة:

- شريعة القرآن لمحمد أبي زهرة. - من روائع القرآن للبوطي - العدالة الاجتماعية لسيد قطب - التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقانون الوضعي لعبد القادر عودة - بينات الحل الإسلامي للقضاوي - اقتصادنا لمحمد باقر الصدر
- نحن والحضارة الغربية للمودودي - سفر التنبيه لإصحاح 23 فقرات 20/19.

## قضية التقريب بين الفرق الإسلامية

### نموذج الأشاعرة والإباضية

من الاختلافات الموجودة بين الأشاعرة والإباضية قضية الصفات، ولكننا عندما ننظر إلى الاختلاف ونتجرد من التحيز المذهبي نجد أنفسنا متقاربين بحيث نتفق في الأصول ولا تقطع العلاقة بيننا في الفروع، ونكتفي بالإشارة إلى قضيتين هما. قضية خلق القرآن، وقضية الرؤية. **قضية خلق القرآن:** نجد الاتفاق بين جميع الفرق الإسلامية بأن القرآن الكريم الموجود بين أيدينا اليوم هو ذاته كما هو، الذي نزل به جبرئيل عليه السلام من عند الله عز وجل على خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم. ونجد الاختلاف بعد ذلك هل هو مخلوق أقدم، وغرض الطرفين التبرية، ويقول الأشاعرة. بالكلام النفسي، ويقول الإباضية في مجملهم بالخلق. ولكننا نجد أبا يعقوب الوارجلاني (ت 570هـ/1174م) الإباضي الجزائري يكاد يتخذ وجهة نظر الأشاعرة فقال: يقدم كلام الله باعتباره علما وصفة، وقال بحدوثه وخلقته باعتباره متلوا محفوظا مكتوبا، ونص الشيخ إبراهيم الطقيش رحمه الله وهو من الإباضية المعاصرين على أن الخلاف بين الخصمين في مسألة الكلام يكاد يكون لفظيا<sup>1</sup>. ومعنى هذا أن هناك تقارب بين الأشاعرة والإباضية أكبر من التباعد. ويمكن عن طريق الحوار التريه الوصول إلى تقارب أكبر.

1 - عمار طالي، آراء الخوارج، د ط، المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1971. ج1، ص 154-155.



د. اسعيد عليوان ..... منهجية تدريس علم الكلام

قضية الرؤية: يتفق الطرفان على استحالتها في الدنيا ويختلفان على وقوعها في الآخرة وكلاهما يستند إلى القرآن والسنة. بل نجد عبد العزيز الثميني الذي يفسر الرؤية يوم القيامة بالرضوان يكاد يتبنى رأي الغزالي. ونحن بدل أن نتنازع، تتنافس من أجل الفوز بالجنة. وسواء وجدنا الرؤية أم وجدنا الرضوان. فكلاهما مما تطمح النفوس المسلمة إليه.

### الحصة التطبيقية

نقترح أن تكون منوعة. بين شرح النصوص والعروض

شرح النصوص: يمكن أن نحدد لها أربعة أهداف أساسية هي:

- للتوسع في قضية لا يمكن التوسع فيها في الحصة النظرية.

- لتعريف الطلبة كيفية التعامل مع النصوص القديمة وفهم مصطلحاتها والتعود على

قراءتها وذلك بسبب اختلاف لغتنا اليوم عن لغة السابقين.

- لمعرفة كيفية التحليل والنقد، ولاسيما في النصوص المناقضة للإسلام وهذا بغرض

إعداد الطالب لمواجهة الصراع الفكري في الحياة.

- لتدعيم الحصة النظرية بنصوص تتعلق بأحدث ما وصل إليه العلم. فيمالة علاقة

بالمحاضرة.

العروض: وتمحور حول الآتي

- مقارنة النصوص في الموضوع الواحد مثلا: داود في القرآن الكريم وفي الكتاب

المقدس. والغرض من هذا:

- إبراز ما هو من عند الله وما هو من عند البشر.

- إطلاع الطالب على ما عند الآخرين من دين ليزداد ثقة في النفس ولينجو من جائل

المبشرين الذين لا ينطلقون من تقديم عقائدهم بل من تقديم وسائل الإحسان وإظهار بعض

النصوص فقط المنتقاة لإيقاع الشباب الإسلامي في شركهم.

د. اسعيد عليوان ..... منهجية تدريس علم الكلام  
- مقارنة العقائد من خلال نصوصها، مثلا: الألوهية في القرآن الكريم مع الألوهية في الكتاب المقدس.

- عرض الشبهات التي يثيرها الإكليروس والمستشرقون. وتبحث كالآتي:  
- البحث عن أصل الشبهة لمعرفة من وضعها إن أمكن ذلك. ولاسيما أن البحث العلمي أوصلنا إلى معرفة بعض أولئك.

- ربط الطالب بالقرآن الكريم وذلك بالرجوع إلى نصوصه مباشرة لمقارنة ما كتب في الشبهة موضوع البحث مما يثبت تناقضها معه إن كان لها علاقة به/ ومثلها شبهة زواج النبي صلى الله عليه وسلم بأمتنا زينب بنت جحش، وهنا يكتشف بعض الإسرائيليات المدسوسة في بعض التفاسير فيكتشف أصولها ويزيفها بالأقوال نتيجة لاطلاعه المباشر على النص القرآني.

- ربط الطالب بالتفاسير وكتب السيرة النبوية والأحاديث، ومن فوائد هذا عدم حصر الطالب في مصنفات علم الكلام الخالفة أحيانا وإدخاله في فضاء روحانية القرآن الكريم والتفاسير والسيرة النبوة مما يقوي الارتباط بالإسلام ويقوي عاطفة الإيمان.

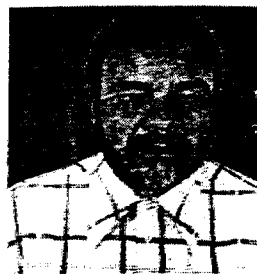
- مقارنة الشبهة الواردة مع أنبياء بن إسرائيل في الكتاب المقدس، فمثلا مقارنة قضية زينب بقضية داود مع بتشيع بنت اليعام ومقارنة عدد زوجات النبي -صلى الله عليه وسلم- التي جعلت المستشرقين يتهمونه بالشهوانية بسليمان الذي كان متزوجا بألف امرأة، 700 حرة، 300 أمة، ويكون ذلك كله موثقا من الكتاب المقدس مع تعليقات الكتاب المقدس على أصحابه.

ف نجد الكتاب المقدس يبين أن داود في قضية بتشيع ارتكب 8 أخطاء كاملة ومع ذلك يقول لنا الكتاب المقدس أن داود كان محبوبا جدا من طرف الرب<sup>1</sup>.  
والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب.

1 - ومن أراد التوسع في هذا فليرجع إلى صموئيل الثاني، ابتداء من: الإصحاح 2. وكذا رحمه الله الهندي، المرجع السابق، ص 280 وما بعدها.

## الدعوة التوحيدية لقيام الدولة عند ابن تومرت

د. منصور عفيف  
جامعة الأمير عبد القادر



إن لب هذه الدعوة التومرتية تقوم على أساس توحيدي اتخذه الموحدون غرضاً فيما بعد أساس قيام دولتهم الكبرى، ناظرين في ذلك إلى تعاليم إمامهم الذي أراد من التوحيد أن يكون قاعدة انطلاق ومن خلالها أوجب تعليم هذه النظرية المستقاة من كل المذاهب الإسلامية التي قرأها الإمام وأتقنها بعمق أوصله إلى أن توحيد الله ووحدانيته واجبة وجوباً مطلقاً على كل إنسان، كلف بهذا العاقل الذي أوكل الله إليه القدرة على إدراك مكنونات أسرار الأشياء، وفهمها بعمق يدل أوضح دلالة على قدرة هذا الكائن العجيب المدقق لكل ما يريد الوصول إليه في فهم الذات الإلهية، لما خص به من العقل الذي هو ملكة يقتدر بحسبها على إدراك الأشياء إدراكات جزئية أو كلية ممثلة في استنباط الأحكام ومعرفة دقائق الأشياء بالإطلاع على كنهها، حيث قدرة هذه الملكة التي ركبت في الإنسان فقال تعالى: ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر<sup>1</sup>. إذ تكريم الله عز وجل لمخلوقه يكمن في العقل كما قال سبحانه: "وفي أنفسكم أفلا تبصرون"<sup>2</sup>. والأبصار هنا يكمن في النظرة العقلية كما قال: "فإنها لا تعنى الأبصار ولكن تعنى القلوب التي في الصدور"<sup>3</sup>. ومن هذا تكاثرت الآيات القرآنية المصحدة للعقل الناطقة بعظمته دون أن تمنحه السلطة المطلقة والأحكام المستبدة على كل الأشياء وهو مقيد وله حدود لا يتجاوزها فكانت هي نظرة المهدي إلى

1- الإسراء: 70.

2- الذاريات: 21.

3- الحج: 46.

د. منصور عفيف ..... الدعوة التوحيدية

العقل إذ منح تدخله في الشرع لعدم قدرته على إدراك كل شيء رغم أنه أول ما يجب على كل مكلف معرفة عارف يعبه، وهو يدرك لم يستحق هذا المعبود العبادة لذا جاء قول النبي الكريم من علم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة<sup>1</sup> إذ هي مرتبطة بمعرفة الله القادر وحده على صنع الأشياء وتكوين الخلائق، فمن لا يعرف هذا، فهي غير موجبة له على أي حال نتيجة بطلان غيرها لعدم معرفة المعبود نفسه، لذا قال النبي ﷺ "من كان يشهد أن لا إله إلا الله وأني محمد رسول الله لا يلقاني بما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة"<sup>2</sup>، ومن هذا، وجبت الجنة لقاتل لا إله إلا الله غير شاك فيها مؤمن بها إيمانا مطلقا، وهو لها موقن يقين صادق تباعا لقوله إياها، بشر بجنات من الله ورضوان.

وقد انطلق ابن تومرت من ذلك كله إلى أن التوحيد واجب وجوبا مطلقا وأن العلم به ضرورة من ضرورات العبادة وهو عليها متقدم لا تصح إلا به إذ وجب العلم بالتوحيد وتقدمه على العبادة واعتماد العبادة على المعرفة<sup>3</sup> المشروطة بالعقل الذي هو موكول إليه معرفة الله قبل عبادته إذ هي أساس شرط العبادة لله القادر على كل شيء، لذا، كان التوحيد "أول ما ينبغي أن يطلب تحصيله، إذ لا تقبل عبادة متعبد لواجب الوجود قبل إدراك حصول بغية التوحيد"<sup>4</sup> استنتج إمام الموحدين ذلك كله من قول النبي الكريم: "من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة، وقوله لمعاذ إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله الذي لا شريك له"<sup>5</sup> إذ استنتج مهدي الموحدين أن العبادة لله لا تصح إلا بالإيمان المعتمد على خلاص النية في العمل الذي يكمن في معرفة الإنسان لما يفعل بالعلم المستند إلى الطلب الدال على حصول الغاية والمقصد، إذ التوحيد يهدم ما كان قبله من الكفر هو عين الشرك الذي لا ينمحي إلا بتركه والإقلاع عنه إقلاعا كليا يندم صاحبه عمدا

1 - رواد مسلم في صحيحه. كتاب الإيمان، باب الدليل. برقم 55/1/26.

2 - رواد مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب الدليل برقم 56/1/27.

3 - تاريخ الدعوة الموحدية بالمغرب من تأليف علي عبد الله علام صفحة 277.

4 - أعز ما يطلب من تأليف محمد بن تومرت صفحة 229.

5 - أعز ما يطلب من تأليف محمد ابن تومرت صفحة 229.

د. منصور عفيف ..... الدعوة التوحيدية

كان منه أو ما كان قد وقع فيه من زلل أدى به الانزلاق في هوى الشرك، كما يقرر أنسه بضرورة العقل يعرف وجود الباري سبحانه والضرورة ما لا يتطرق إليه الشك ولا يمكن للعقل دفعه<sup>1</sup> إذ الضرورة العقلية لا يوجد فيها شك نتيجة وقع استدلالها على واجب الوجود بحوادث تثبت إيجاده للأشياء وقدرته على الإبداع في صنعها إذ لا يعلم كنهها إلا هو لحصول علمه تعالى بالأشياء قبل إيجادها وإخراجها من العدم إلى حيز الوجود، وقد كانت قبل الآن موجودة باعتبار الذهن ثم إن انعدامها حاصل لا محالة، تلك ضرورة العقل الذي يعطيه ابن تومرت القدرة على التحصيل والعلم، فضرورته لا يتطرق إليها الشك بحمل لما تتمتع به من قوة على إدراك الأشياء في عدمها وقبل إيجادها، حيث يستهدف ابن تومرت من وراء كل هذا إلى أن تقسيم الضرورة العقلية التي يتم بها الاستدلال على واجب الوجود إلى ثلاثة أقسام "واجب وجائز ومستحيل، فالواجب ما لا بد من كونه كافتقار الفعل إلى الفاعل. والجائز ما يمكن أن يكون ويمكن أن لا يكون كترول المطر. والمستحيل ما لا يمكن كونه كالجمع بين الضدين، وهذه الضرورة مستقلة في نفوس العقلاء بأجمعهم وقد استقر في نفوسهم أن الفعل لا بد له من فاعل ليس في وجوده شك"<sup>2</sup>.

ولعله أراد إقامة تعاريف لهذه الضرورة العقلية باعتبار تقاسيمها حتى أنه بالإمكان القول من أن الواجب هو الذي لا يتصور في العقل نفيه بحال كإيجاد السماوات والأرض والبحار والجبال وسائر ذلك، مما يعجز العقل البشري عن نسبته إلى غير ذي الجلالة، الملك العلام وأن الجائز هو الذي يتصور عقلا وجوده وعدمه كزراعة الأرض حيث بالإمكان أن تنبت شيئا وقد تكون قاحلة جرداء، كأنها لم تزرع البتة، وكأن يحاول الإنسان اختراع شيء ما يريد النيل بنجاح في ذلك المقصود، فقد يكون له ذلك وليس من الواجب أن يحقق غرضه الذي يصبو إليه وأن المستحيل هو الآخر يجوز أن يقال فيه إنه لا يتصور في العقل وجوده كاتخاذ الله جل شأنه شريكا له معه حق التصرف في الملكية، إذ لو وقع ذلك لبطلت

1- أعز ما يطلب من تأليف محمد ابن تومرت صفحة 230.

2- أعز ما يطلب من تأليف محمد ابن تومرت صفحة 230.

د. منصور عفيف ..... الدعوة التوحيدية المعجزة، وكان ذلك انتقاصا في حق القادر الصانع في إتقان وإبداع ملك لا ينازعه فيه إله، لذا نبه جل وعلا بقوله: " لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا"<sup>1</sup> وقوله: " ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض"<sup>2</sup> والآيات الدالة على استحالة وقوع ما لا يجوز في شأنه كثيرة لا يتطرق الشك إليها بما تحيطه في طياتها الدالة على إعجاز البشر وعدم قدرتهم على الاستقلال، بإيجاد أبسط شيء يوازي إيجاد الله لهذه المخلوقات بكيفية عجيبة لا يدركها العقل البشري، إلا حين يتدخل فيها ليثبت عدم قدرة الكائن على إيجاد المستحيلات وخوارق العادات، يكون له مبعث إيمان يخلصه من أوهامه وما يحوم في عقله من شكوك في الذات الإلهية المقدسة، التي لا يستطيع لعقل نفيا لها في قول الله تعالى من إيجاد هذه الأشياء التي لا تنسب إلا إليه، فإذا انتفت نسبتها لغيره، انتفى الشك عنه: "أفي الله شك فاطر السماوات والأرض"<sup>3</sup> إذ أخبر أن إيجاد السماوات والأرض ليكس هناك في أمرها من شك وما انتفى عنه ذلك وجب كونه معلوما، فثبت بهذا أن الباري يعلم بضرورة العقل<sup>4</sup>.

ومحضي ابن تومرت في حديثه الذي يذكر فيه أن الإنسان بإمكانه أن يعرف خالقه تبعاً إلى استدلاله على ذلك انطلاقاً من وجوده وهو الذي وجد من غير شيء وقد كان معدوماً إذ "بحدوث نفسه يعلم الإنسان وجود خالقه لعلمه بأنه موجود بعد أن لم يكن. ولعل ما يكفيه من أدلة وبراهين قاطعة كلها تدل على أنه خلق من ماء مهين. والإنسان يعلم بالضرورة أن الماء الذي خلق منه على صفة واحدة ليس فيه اختلاف ولا تركيب ولا تصوير ولا عظم ولا لحم ولا سمع ولا بصر، ثم وجدت فيه هذه الصفات كلها بعد أن لم تكن موجودة، فلما علم حدوثها علم أنها لا بد لها من خالق خلقها"<sup>5</sup> ومن هنا لم يكن في كلام

1- الأنبياء: 22.

2- المؤمنون: 91.

3- إبراهيم: 10.

4- أعز ما يطلب من تأليف محمد ابن تومرت صفحة 230.

5- أعز ما يطلب من تأليف محمد ابن تومرت صفحة 230/231.

د. منصور عفيف ..... الدعوة التوحيدية

إمام الموحدين خروج عن الآيات القرآنية حين تحدث عن خلق الإنسان الذي هو مطالب بالنظر إلى نفسه، كي يعرف من خلال ذلك أن واجده الذي أوجده من غير شيء لا يوازيه شريك له في ملكوته، حيث صورت الآية القرآنية ذلك "وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً"<sup>1</sup> وعندما يتحدث عن خلق الإنسان من ماء فهو يرى أنه لا توجد به هذه الصفة التي يشاهد عليها وهو لم يكن إلا ماء متدفقا خاليا من العظام واللحم وكل الصور المؤهلة لهذا الكائن العجيب، كي يكون إنسانا حين يقول تعالى: "فليُنظر الإنسان من خلق، خلق من ماء دافق"<sup>2</sup> فلما "علم حدوثها علم أنها لا بد لها من خالق خلقها"<sup>3</sup> متخذاً قدوته الآية القرآنية التي صورت الإنسان وهو مخلوق من سلالة مرجعها إلى التراب صارت تلك بعد مستقرة في الرحم إلى أن تحولت إلى نطفة، وبدلت بعلقة فكانت العلقة هي الأخرى مضغرة وإلى أن عادت إلى عظم كسي لحما إذا تم خلق هذا الكائن في تدرج دال على قدرة الله في إحكام وإتقان عجيبين يعجز عنهما المخلوق كيف يستطيع أن يقوم بهذا وهو غير قادر على إعادة نفسه إلى جديد بعد أن تكون قد بليت، وتلك هي نظرة ابن تومرت إلى النفس الإنسانية استقها من القرآن حرفا بحرف لم يزد عليها قيد شبر حيث قال تعالى: "ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين" إلى قوله "فتبارك الله أحسن الخالقين"<sup>4</sup>.

وبالفعل الواحد يعلم وجود الباري سبحانه وكذلك الثاني والثالث إلى ما لا ينحصر وجميع المخلوقات يعلم بها وجود الباري سبحانه كما يعلم بحدوث الحرة الواحدة لوجوب افتقارها إلى الفاعل واستحالة وجودها من غير فاعل وما وجب الفعل الواحد من الافتقار إلى الفاعل وجب لجميع الأفعال كل ما علم وجوده بعد أن لم يكن واجب حدوث<sup>5</sup> أي أن

1- مرع: 6.

2- الطارق: 5-6.

3- أعز ما يطلب من تأليف محمد ابن تومرت صفحة 231.

4- المؤمنون: 12-14.

5- أعز ما يطلب من تأليف محمد ابن تومرت صفحة 231.

د. منصور عفيف ..... الدعوة التوحيدية

استدلال الإنسان على وجود الخالق، يمكن في استخدام فعل واحد يكفل له إثبات قدرة موجد الوجود فخلق شيء واحد من بقية الأشياء لدليل كاف على وجود الله، الذي صنع كل هذه المحدثات استنتاجا من حادثه واحدة من بقية الأفعال الدالة على ثبات وجوده وعدم انتقائها. سبحانه إذ السماوات بجلالها والأرض وما فيها والبحر بعظمته وكل سائر الأشياء موحدة لله دالة على ثباته يضاف إلى ذلك الليل والنهار والحركات والطيور والوحوش وما إلى ذلك وكل فعل لا بد له من فاعل إذ ليس بإمكان الفعل إن يحدث نفسه كما أن ليس للحركة أن تكون من غير متحرك يؤديها، وواقع إن ابن تومرت لا يخرج بأي شكل عن القرآن في كثير مما استدلل به على الأجناس الموجودة بعد أن لم تكن فإذا علم حدوث جسم واجد علم حدوث سائر الأجسام لمساواتها في التحيز والتغير والجواز والاختصاص والحدوث والافتقار إلى الفاعل<sup>1</sup> استقى كل هذا من قوله تعالى: "إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار..... آيات لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ"<sup>2</sup>. إذ العقل وحده هو القادر على التدبر في آيات الله العجيبة لما امتدح به من قوة على الإدراك وقابلية يمكن فيها فهم أسرار الآيات الإلهية التي خاطبت العقل عندما طالبته التدبر في كونها وبحث أسرار عجائبها بعمق؟ انطلق منه فيلسوف الموحدين صارخا معليا صوته بوجوب التوحيد وضرورته لكل عاقل مكلف بهذا الإشعاع مصدر التفكير ومنبع الانطلاق ساجدا في مجال الآيات سابرا أغوارها مستمدا منها قدرته ملييا ما دعت إليه من مطالبه بالعمل الذي من خلاله أوجب إمام الموحدين على الإنسان معرفة الله بعقله بعد أن انتهى من أن المرشد العاقل فهم حق وحدانية الخالق في ملكه وقدرته على التصرف في هذا الصنع العجيب الجدير بالتدبر العاقل فيه وإليه وجه الخطاب بقوله "الله أوجب على كل مكلف أن يعلم الله عز وجل واحد في ملكه، خلق العلم بأسره العلوي والسفلي"<sup>3</sup>. بيديه تصريف أمور الخلائق جميعها إذ هم مقهورون بقدرته لا تتحرك

1- أعز ما يطلب من تأليف محمد ابن تومرت صفحة 231.

2- البقرة: 164.

3- مرشدة ابن تومرت وآثرها في التفكير المغربي من تأليف سعد غراب 365.



د. منصور عفيف ..... الدعوة التوحيدية  
 قوة إلا بإذنه موجود في الخلق ليس له قبل ولا بعد، ولا فوق ولا تحت، ويمين ولا شمال...  
 لا يتخصص في الذهن ولا يتمثل في العين لا يتصور في الوهم ولا يتكيف في العقل ولا  
 تلحقه الأوهام والأفكار...<sup>1</sup> ليس كمثله شيء مرتفع عما سواه، خاشع إليه ما عداه أتقن  
 الأشياء إتقاناً عجيباً، لا يقدر على إتقانها قادر، ثم يتوقف ابن تومرت عند قوله تعالى:  
 "الرحمن على العرش استوى"<sup>2</sup>. مستدلاً بأقوال المفسرين كان ولا مكان فهو على ما كان  
 قبل خلق المكان لم يتغير عما كان "لا يقال متى كان، ولا أين كان، ولا كيف كان، ولا  
 مكان كون المكان ودبر الزمان ولا يتقيد بالزمان، ولا يتخصص بالمكان، لا يخرقه وهم ولا  
 يكفنه عقل"<sup>3</sup>.

كان إذا أوجب التوحيد على الناس وتعريفهم إياه بفضله غير خارج عن أي الكتاب التي  
 خاطب فيها العقل وأوجب عليه التدخل في توحيد الله وتزيهه ومن هنالك لا ينبغي أن  
 ننسى أن ابن تومرت أباح تدخل العقل في التوحيد على حين منعه أن يتدخل في الشرع،  
 وقد أقام التوحيد على أساس العقل وذلك لأن طريق التوحيد العقل وكذلك التزيه عند إمام  
 الموحدين وفيلسوفهم الأول"<sup>4</sup>.

### خلاصة القول

إن سبب إعلان ابن تومرت مهدويته التي ترمي إلى ملئ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت  
 ظلماً وجوراً (حيث كانت مهدوية ابن تومرت في نطاق إسلامي سني معتدل لا كما عهد  
 الناس في مهدوية الفاطميين الإسماعيليين المغالين الذين خرجوا على السنة وأهلها بل حاربوا  
 السنة واضطهدوا أهلها) فكان إمام الموحدين خير منقذ للسنة وأهلها في إطار تكوين دولة  
 موحدية تجنح إلى الاعتدال في غير غلو، وحاصل الأمر، فقد كان الجانب التوحيدي أبرز

1- مرشدة ابن تومرت وآثرها في التفكير المغربي من تأليف سعد غراب 365.

2- طه: 5.

3- مرشدة ابن تومرت وآثرها في التفكير المغربي من تأليف سعد غراب 365.

4- تاريخ الفلسفة في شمال إفريقيا من تأليف يحيى هويدي صفحة 240.

د. منصور عفيف ..... الدعوة التوحيدية  
 آثار الدعوة الموحدية وأبقاها على الأيام حيث زالت الدولة كما يزول كل شيء في الحياة  
 وزالت معالم المهدوية التومرتية عمليا قبل أن يسقط الموحدون، ولكن آثار الدعوة في ميدان  
 التوحيد<sup>1</sup> ما تزال قائمة بالمغرب إلى يومنا هذا والسبب في بقاء الأثر التوحيدي الكلامي  
 بالمغرب حتى الآن فيها اعتقد أن الدعوة الموحدية كانت في جوهرها كفاح في سبيل التطور  
 الفكري المغربي، ومهما كان في دولة ابن تومرت من عيوب ومهما حدث في ذلك كله من  
 انحرافات وانزلاقات يكفيها فخرا واعتزازا أن احتضنت فلسفة ابن رشد فحمتها ورعتها  
 ولو فت قصير.

المكتبة الرقمية  
 عبد القادر للعلوم الإسلامية  
 جامعة الأمير



## القرآن والتوراة (موازنة تستقصي مدى أصالة الكتابين السماويين)

أ. طيات لمير

جامعة الأمير عبد القادر

تمهيد:

إن أغلبية سكان المعمورة يخيون على هامش العقيدة الصحيحة، وهي عقيدة توحيد الله تعالى، رب العالمين، وإله الناس أجمعين. ولما كان من أسباب انحراف الناس عن هذا الخط العقدي الصحيح هو ما اعترى مصادرهم العقديّة المكتوبة من أخطاء وأباطيل في حق الله تبارك وتعالى، حق علينا نحن أصحاب عقيدة التوحيد في الإسلام التنبيه إلى الأدلة القائمة على تلك الأخطاء والأباطيل، والعمل في نفس الوقت على إبراز معالم الحق والضواب في مصدر عقيدة التوحيد، وهو القرآن.

وسأكتفي في هذا المقال، بالتحقيق في مدى أصالة أهم مصدر من مصادر عقيدة بني إسرائيل وهو كتاب التوراة، موازنا بالقرآن مصدر العقيدة عند المسلمين، متوخيا في ذلك الموضوعية والتجرد من الذاتية، رغبة في تقريب القارئ عموما والقارئ غير المسلم خصوصا إلى حقائق تدفعه إلى البحث عن مكنن الحق والعدل، ليصحح ويؤصل اعتقاده من جديد.

## I- توثيق القرآن الكريم:

القرآن لغة: [المقروء المكتوب وسمي قرآنا لأنه يجمع السور فيضمها، مثاله قول القائل: لم تقرأ جنينا أي لم تضم جنينا في رحمها قط ويكون القرآن مصدر القراءة وهو ما يقرأ كقوله تعالى: وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا<sup>1</sup>]

القرآن اصطلاحاً: [القرآن هو الكتاب المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام لفظاً ومعنى وأسلوباً، وهو كلام الله المعجز المكتوب في المصاحف المنقول إلينا بالتواتر بلا شبهة المتعبد بتلاوته<sup>2</sup>]

والمعروف عن القرآن على غرار الكتب السماوية الأخرى كالتوراة والإنجيل أنه وحى مكتوب كما أنزل من عند الله على رسوله محمد ﷺ، لكن هذه الحقيقة الكبرى إذا كان مسلماً بما عند المسلمين استجابة لأمر الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضلّ ضلالاً بعيداً<sup>4</sup> فإنها غير مقبولة عند معظم غير المسلمين من أهل الكتاب أو غيرهم، [إذ يرفض هؤلاء إعطاء القرآن سمة الكتاب السماوي الموحى به<sup>5</sup>]. فاليهودية مثلاً لا تعترف بأي وحى جاء بعد وحىها ولا تعترف المسيحية كذلك بعد أناجيلها الأربعة القانونية بأي وحى جاء بعد النبي عيسى عليه السلام فهي ترفض أن يكون القرآن وحياً جاء بعد النبي عيسى. نظراً لهذا الاعتقاد السائد عند غير

1- الإسراء / 78.

2- أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني، غريب القرآن المسمى بترهة القلوب، /ص159، ط3، دار الرائد العربي، بيروت لبنان 1982

3- عبد العزيز عبد المعطي عرفة، قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، /ص29، طبعة دار عالم الكتب، بيروت لبنان 1985

4- النساء / 136.

5- موريس بوكاي، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة/ص8، ط4، الترجمة لدار المعارف، لبنان 1977.

المسلمين ووجوب تصحيحه كانت قضية توثيق القرآن الكريم أمرا ضروريا جدا تقتضيه بصفة خاصة الدراسات المقارنة للأديان والدراسات العقلية.

وستورد الآن جملة من الأدلة التي نراها أساسية وذات أهمية بالغة في توثيق القرآن الكريم وإثبات أصالة نصوصه مما يدل على أنه كتاب من عند الله وصل إلينا كاملا، خاليا من التحريف، والتبديل:

### أولا - التعماني الشديد في تدوين القرآن وحفظه:

1- كان ما يوحى به من القرآن إلى رسول الله ﷺ يثبت كتابة بأمر من النبي نفسه فكان يكتب مفرقا في الرقاع والأكتاف والعسب وليس مجموعا في كتاب واحد<sup>1</sup>.

2- كان من عادة النبي وأصحابه حفظ القرآن وترتيبه عن ظهر قلب كما أنزل، وعادة الحفظ هذه مازالت مستمرة منذ عهد النبي إلى يومنا هذا مما يشهد على تواتر القنزان وروضه إلينا كاملا وسليما كما كان على عهد النبي ﷺ.

3- هناك كتبة للوحي في عهد النبي ﷺ وأشهرهم [زيد بن ثابت وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل.. كل هؤلاء الصحابة كانوا يقومون بهذه المهمة على عهد النبي ﷺ، وقد أمر بأخذ القرآن عنهم]<sup>2</sup>.

بعد موت النبي ﷺ أمر الخليفة الأول أبو بكر الصديق واحدا من كتبة الوحي وهو زيد بن ثابت بجمع القرآن المكتوب في الرقاع والعسب، وكان معيار اختياره لزيد صفات يعرفها جيدا فيه، وهي التي نعتها في قوله وهو يخاطب زيدا: «إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كتبتك كتبت<sup>3</sup> الوحي لرسول الله ﷺ فاتبع القرآن فاجمعه» فاستجاب زيد

1- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص238. تح محمد أبو الفضل إبراهيم ط2، دار المعرفية، بيروت لبنان 1972م.

2- البخاري، صحيح البخاري، ج6/ص118، نشر وتصحيح وتعليق دارة الطباعة المنيرية، ط4، عالم الكتب، بيروت لبنان 1985م.

3- مع العلم أن زيدا كان يحفظ القرآن. صحيح البخاري، ج6/ص118، باب مناقب زيد بن ثابت.

أطبابت لم ..... القرآن والتوراة  
 لطلب الخليفة فجمع من الوثائق ما أمكنه ثم قابل محتوياتها على ما عند الحفاظ<sup>1</sup> كان ذلك  
 من أجل تفادي أي خطأ محتمل ولو كان دقيقاً في النقل.

5- وفي خلافة عثمان (644-655 م) وتكليف منه أمر مجموعة من الصحابة المداقسين  
 ليقوموا بمراجعة جد دقيقة للقرآن، وبعد أن تمت العملية تم نسخ عدة نسخ من القرآن  
 ووزعت على الأمصار، وهذه العملية التي قام بها الخليفة عثمان كمدف إلى جمع الناس على  
 قراءة واحدة خوفاً من الفتنة نتيجة لتعدد القراءات هذا من جهة، ومن جهة أخرى كسان  
 التدوين زيادة في الاحتياط الضروري الواجب اتخاذه لنقل النص القرآني كما أنزل على  
 صاحب الرسالة ويتبين ذلك من خلال:

أ- التدقيق في أصالة الوثيقة التي جمعت على عهد أبي بكر والتي بقيت محفوظة عند حفصة  
 تدقيقاً شديداً وذلك كما يلي:

- الكتبة رجعوا إلى الذين كانوا يحفظون القرآن عن ظهر قلب<sup>2</sup> ليسئلهوا بهم على  
 أصالة النسخة المجموعة.

- لا تتم كتابة شيء من القرآن حتى تستعرض الشهادات وتتوافق<sup>3</sup>.

- التدوين تم حسب ترتيب الرسول وعرضه للقرآن أي أن ترتيب الآيات كان توقيفياً<sup>4</sup>.

ب- درءاً لما قد يحدث بين الكتبة من اختلاف في بعض الكلمات من القرآن نتيجة لتعدد  
 القراءات<sup>5</sup> فإن الخليفة عثمان أمر الكتبة أن يحتكموا إلى اللغة الأم وهي لغة قريش: (فإن  
 اختلفتم في شيء أنتم وزيد فاكتبوه بلسان قريش) لأن لغة قريش هي القاسم المشترك بين  
 لهجات العرب، وكانت القراءة بسبعة أحرف مرخصة في بداية الدعوة مراعاة لأمية الأمة

1- المصدر نفسه ج/6 ص 315.

2- الزركشي، الرهان في علوم القرآن، ج 1/ص 235.

3- المصدر نفسه ص 235.

4- البحاري، صحيح البخاري، ج 6/ص 316، وكذلك السيوطي في الإتقان ج 1/ص 57.

5- القرآن نزل بسبعة أحرف ومعنى الأحرف السبعة اللهجات المتباينة في لغة العرب، كتابتها مثلاً في المد  
 والقصر، والتقديم والتأخير، وإبدال حرف بآخر ...

وتيسرا عليها ورحمة بها، لأنها أمة متباينة الألسن ولو نزل على حرف واحد لشق على الأمة قراءته. قال ابن عبد البر (463هـ): «فبان بذلك أن تلك السبعة الأحرف إنما كانت في وقت خاص لضرورة دعت إلى ذلك ثم ارتفعت تلك الضرورة فارتفع حكم هذه السبعة وعادوا يقرأون القرآن على حرف واحد<sup>1</sup>.

ج- درءا لما قد يشتهه بين المصحف الذي دون في عهد عثمان وبين مصاحف أخرى في حوزة مجموعة من الصحابة، ومحافظه على وحدة القراءة قام الخليفة عثمان بحرق كل المصاحف بعد أن تم تدوين المصحف الجديد ماعدا المصحف الذي كان عند حفصة<sup>2</sup>. مما يدل على أنه سليم ومطابق لما أجمع عليه الكتبة. هذه المنهجية المحكمة هي في غاية الموضوعية والعلمية مما لا يدع مجالاً للشك في صحة وسلامة القرآن بعد عملية النقل.

### ثانياً: ثبات القرآن على حاله دون تحريف:

بقاء القرآن في حاله كما أنزل على النبي على حفظ الله له، فرغم القرون الكثيرة التي مرت في الحوادث والفتن التي وقعت فيها، وكثرة الفرق والتيارات الفكرية المختلفة حيث يكون القرآن فيما بينها بؤرة للتوتر والتأثر سواء كان ذلك بالظعن والتشكيك فيه كما فعلت اليهودية والنصرانية والفلسفات الشرقية القديمة، أو بالبحث فيه عن حجج تدعم رأي كل فرقة إسلامية فما تذهب إليه من آراء، مثل هذه الظروف المشحونة بالخطورة التي مر بها القرآن ما كان يمكن أن يمر بها دون أن تصل إليه يد التحريف كما وصلت إلى حديث النبي صلى الله عليه وسلم بوضع أحاديث مكذوبة عنه<sup>3</sup>، وكما وصلت إلى الكتب السماوية التي

1- مجلة منار الإسلام /ص24، عدد ذو القعدة 1400هـ، نقلا عن القرطبي. التفسير، ج1/ص42-43.

2- المصدر نفسه /ص27.

3 بعد انكشاف أمر الوضع في الحديث انبرى علماء الإسلام في وضع منهج دقيق للغاية يكشفون به الأحاديث الموضوعية على النبي، وهو منهج تدوين الحديث الذي اشتركت في إنشائه مجموعة من الفنون: كالجرح والتعديل وتراجم الرجال.

أ. طبيبات لمير ..... القرآن والنبوة  
سبقته من توراة وانجيل لو لا أن وعد الله يحفظ كتابه كان صادقا نافذا منذ أن أنزله على  
رسوله إلى يوم القيامة: "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"

### ثالثا- الإعجاز القرآني :

يحتوي القرآن الكريم على أوجه كثيرة من الإعجاز كالأخبار بالغيب وتحقق ذلك  
الإخبار في الواقع، وإعجاز نظامه التشريعي في المجال الاجتماعي والجنائي والاقتصادي  
وإعجازه العلمي، وإعجازه البياني...

ولا يمكننا في هذا البحث أن نتعرض لهذه الأوجه من الإعجاز كلها، لكن سنورد فقط على  
سبيل المثال والإيجاز لا على سبيل الحصر والتحليل وجهين من أوجه الإعجاز القرآني وهما  
الإعجاز العلمي والإعجاز البياني:

#### 1- الإعجاز العلمي:

يتمثل هذا الإعجاز في التوافق الدقيق لكثير من الحقائق العلمية لبعض النصوص القرآنية  
في عالم الأنفس وفي عالم الآفاق. فالقرآن مع اعتقادنا أنه كتاب هداية ورشاد وصلاح  
للإنسان في أمور الدنيا والدين وليس كتاب علم متخصص في ميدان من الميادين إلا أنه لا  
يخلو من الآيات المشيرة إشارة دقيقة إلى بعض الحقائق العلمية التي لم تكتشف إلا بعد قرون  
طويلة من نزول القرآن في شتى فروع العلم المختلفة من فلك وجغرافيا وبيولوجيا  
وبيولوجيا وزراعة مما يدل على أن هذا القرآن وحي من عند الله، وأنه وصل إلينا سالما من  
التحريف، ولو كان الأمر خلاف ذلك ما كان لآياته أن تؤيدها الحقائق العلمية، خاصة إذا  
علمنا أن الرسول الذي أنزل عليه هذا القرآن كان أميا. قال الله تعالى: أفلا يتدبرون  
القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا



وأسرار القرآن العلمية كثيرة واستمرارها ملازم لاستمرار الزمن، وستكشف كلها أو جلها حتى يتبين حقيقة هذا الكتاب العظيم بشكل أكثر، ويعرف العام والخاص أنه من عند الله. قال الله تعالى: سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق<sup>1</sup>.

مثال على الإعجاز العلمي في القرآن في مجال الآفاق:

قال الله تعالى وهو يحثنا على النظر والبحث في الكون لاكتشاف حقائقه: قل انظروا ماذا في السماوات والأرض<sup>2</sup> فقد أثبت العلم حديثنا بعد اختراع الطائرة والصاروخ وصعود الإنسان إلى الفضاء أنه كلما زاد الإنسان ارتفاعا إلى الأفق كلما شعر بضيق في التنفس الناتج عن نقص في كمية الأوكسجين كلما ابتعد عن الغلاف الجوي القريب من الأرض.

لذلك نجد الركاب في الطائرة يتلقون تعليمات حول استعمال طريقة التنفس الصناعي كلما شعروا بضيق في التنفس. هذه الحقيقة التي أثبتتها العلم أشار إليها القرآن قبل أن يعرفها الإنسان اليوم في القرن العشرين. قال الله تعالى: فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون<sup>3</sup>. وقد كان المفسرون يفسرون هذه الآية بعيدا عن حقيقتها كما نعيشها اليوم ونحن نرتفع إلى الفضاء بالطائرة أو الصاروخ لعدم معاشتهم إياها، ويكتفون بتفسيرها تفسيراً مؤولا كقولهم عن قوله تعالى كأنما يصعد في السماء أي كمن يحاول الصعود إلى السماء وهو لا يقوي على ذلك<sup>4</sup>.

2- الإيجاز البياني للقرآن: ما خلا رسول من الرسل إلا وآتاه الله معجزة تشهد على

صدق رسالته، معجزة تناسب وما برع فيه قومه في ميدان من الميادين، فكانت ممن بين

1- فصلت/52.

2- يونس/101.

3- الأنعام/126.

4- عفيف طيارة، روح الدين الإسلامي /ص55، ط26، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1985م.

أدبياً لهم ..... القرآن والتوراة

معجزات سيدنا موسى عليه السلام معجزة العصا التي أبطل بها سحر السحرة لأن قوم فرعون برعوا آنئذ في هذا الميدان. على غرار ذلك كانت معجزات الأنبياء ومنهم النبي محمد، فكان قومه أشد ما يكونون في براعة الكلام وبيانه نثراً وشعراً، في البلاغة والفصاحة فجاءهم معجزة القرآن تتحداهم في ميدانهم الذي ألقوه وأشربوا به، جاءهم القرآن بلسانهم العربي الواضح البين، لكن بأسلوب رفيع مدهش في علو نظمه ومباينة خصائصه لخصائص كل نوع من أنواع البيان العربي من نثر وشعر. ومما يؤيد هذا الإعجاز أنه مقرون بالتحدي الإلهي للإنس والجن على إتيانهم بمثل هذا القرآن إن استطاعوا وهو ما تعبر عنه الآيات الآتية: أم يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون<sup>1</sup>. قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن ياتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً<sup>2</sup>.

كما أن القول بالصرفة في تحدي القرآن لا يمثل إعجازه، فان كان جائزاً على الله بأن يصرف بلفاء وفصحاء العربية عن الإتيان بمثله مع قدرتهم على ذلك تحقيقاً لإرادة الله النافذة في إيجاد كل شيء: إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون<sup>3</sup>. فإن القرآن يبقى معجزاً في المجالات الأخرى كإخباره بالغيوب وإعجازه العلمي، فأبلغ الناس في العربية وأبينهم فيها وافصحهم لو كان قادراً على الإتيان بمثل هذا القرآن عنى سبيل الافتراض لعجز حتماً أن يأتي به إخبار صادقاً بالغيوب أو إعجازاً علمياً في الأنفس والأفاق، وبالتالي فإن تحدي القرآن الذي يجعله معجزاً هو تحدٍ للتعجيز إظهاراً لصحة مصدره وصدق من جاء به لعلم الله سبحانه بعدم قدرة الجن والإنس أو غيرهما عنى الإتيان بمثل هذا القرآن، ولذلك فإننا نرى أن آيات التحدي تدل على التعجيز الحقيقي فبني من قبيل قوله تعالى: قل

1- هود/13-14.

2- الإسراء/188.

3- يس/81.

طيات لمير ..... القرآن والتوراة

هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين<sup>1</sup> وقوله: فإن كان لكم كيد فكيدون<sup>2</sup>. وقوله: يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب<sup>3</sup>. وليس آيات التحدي من قبيل الصرفة لذلك لا عجب أن نجد بعض علماء الإسلام أمثال الباقلاي (ت 403 هـ) يرفض القول بالصرفة<sup>4</sup>. أما قول الكفار: ولو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين<sup>5</sup>، فهو مجرد ادعاء باطل، لأن القرآن جاءهم بالتحدي المقرون بالتعجيز بأسلوب يثير فيهم الحمية ويفريهم بتكلف المعارضة في مثل قوله تعالى: وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين<sup>6</sup>. ولأن القرآن أبطل دينهم وسخر من آلهتهم وسفّه أحلامهم وفرق جمعهم، كانت هذه الأسباب كلها دواع وحوافر للإتيان بمثل هذا القرآن لو كان ذلك في استطاعتهم. وقد حاول بعض الأدباء الكبار أمثال عبد الله بن المقفع (ت 727 م) الذي عكف ستة أشهر كاملة طمعا في الإتيان بكلام مثل القرآن، ولكنه عجز واعترف بعجزه عن الإتيان ولو بأية واحدة من آيات القرآن<sup>7</sup>.

### وابعا - تواتر القرآن :

القرآن وصل إلينا بالتواتر الموجب للإدراك والتسليم اليقينيين ولم يصل إلينا بطرق موحدة للظن، فالقرآن نقله ورواه جمع كبير يتعذر إحصاؤهم عن جمع كبير آخر مثله حيث أنهم من

1- البقرة/110.

2- المرسلات/39.

3- الحج/73.

4- عبد الرحمن مخلوف، الباقلاي وكتابه إعجاز القرآن/ص116، دار مكتبة الحياة، بيروت. لبنان. 1978م.

5- الأنفال/31.

6- البقرة/22-23.

7- وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى/ص173-174، ترجمة ظفر الإسلام خان. مراجعة وتقديم عبد القصور شهنين، ط7. المختار الإسلامي لطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة. 1977م.

أطيات لمير ..... القرآن والتوراة  
الكثرة يستحيل تواطؤهم على الكذب ويتصفون بالنقمة والعدل والتقوى الأمر السذي يجعل  
تكذيبهم أمرا غير معقول. وتبدأ الحلقة الأولى لهذه الجموع من عصر نزول القرآن وتنتهي في  
آخر الحلقة عند نهاية آخر جيل يصل إليه هذا القرآن، وهؤلاء الجموع الذين نقلوا إلينا هذا  
القرآن لم يختلفوا في النص القرآني المنقول إلينا سواء تعلق الأمر في زيادة أحدهم عن الآخر  
في آياته أو سوره أو أسلوبه أو غير ذلك، فقد اتفقوا جميعا في نقل هذا القرآن كما أنزله الله  
على نبيه من غير زيادة أو نقصان أو تبديل أو تعديل، ومما يدل على ذلك المنهجية الدقيقة  
والمحكمة التي دون بها القرآن حين أريد له أن يجمع في مصاحف ليعمم على المسلمين وليحفظ  
من التحريف أو التبديل كما بينا ذلك سالفًا، إننا لا نملك أمام هذه الأدلة القاطعة إلا أن نسلم  
تسليما يقينيا أن القرآن ذو مصدر إلهي كما قال تعالى مؤكدا ذلك: وما كان هذا القرآن أن  
يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب  
العالمين!

## II- توثيق التوراة:

التوراة كلمة عبرية تعني الشريعة. و اصطلاحا هي: [أسفار موسى الخمسة باعتبار موسى  
الوسيط الذي عن طريقه حصل بنو إسرائيل على هذه الشريعة]<sup>2</sup> والتوراة في القرآن هي وحي  
الله تعالى إلى الرسول موسى عليه السلام: إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون  
الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه  
شهداء<sup>3</sup>. ويطلق عليها أيضا اسم أسفار موسى الخمسة وهي: التكوين والخروج واللاويون أو  
الأحبار والعدد والثنية. وتسمية كل سفر باختصار ترجع إلى المحتوى الذي يعالجه. فللتكوين  
يشير إلى عملية خلق السموات والأرض وما فيهما وكذلك خلق الإنسان. والخروج يسري  
قصة خروج بني إسرائيل من مصر إلى صحراء سيناء ثم إلى أرض الكنعانيين بفلسطين.

1 - بونس/37.

2 - الرهبانية اليسوعية، كتب الشريعة الخمسة /ص58. دار الشرق، بيروت، لبنان، د.ت.

3 - المائة/44.

أ. طبيبات لمير ..... القرآن والتوراة

والأخبار يشير إلى دور الأخبار أي علماء اليهود في تشريع العبادة. والعدد يشير إلى عملية إحصاء عدد الأسباط في بني إسرائيل. والثنية يشير إلى عملية تكرار الشريعة أي يزوي مرة ثانية الكثير من الأخبار والتشريعات التي ذكرت في الأسفار السابقة.

لكن السؤال الواجب طرحه ونحن بصدد توثيق أو البحث عن أصالة التوراة هو: هل التوراة أي الأسفار الخمسة الحالية هي التوراة المترلة على سيدنا موسى عليه السلام أم ليست كذلك؟

إن سفر الثنية يشير إلى كون موسى نفسه هو كاتب هذه التوراة. « وكتب موسى هذه التوراة وسلمها للكهنة بني لاوي حاملي تابوت عهد الرب ولجميع شيوخ بني إسرائيل<sup>1</sup>. ونحن لا نتسرع في تصديق أو تكذيب هذا النص ريثما نتبين ذلك. خاصة وأن الإشكال المطروح يتعلق ببقاء التوراة على حالها كما نزلت على موسى ولا يتعلق بكتابة موسى للتوراة أو عدم كتابتها. وللوصول إلى الفصل في الإشكال المطروح آنفا نستعرض جملة من المعطيات الآتية:

### أولاً- التوراة ذات مصادر متعددة:

قادت الملاحظات المتعمقة الباحثين في التوراة إلى حقيقة مؤداها أن التوراة الحالية ألفت

انطلاقاً من أربعة مصادر هي:

1- المصدر اليهودي: سمي هذا المصدر باليهوي لأنه يسمى الله يهوه وهو أحد أسماء الله الرئيسية وأعظمها شأناً في اليهودية، نشأ هذا المصدر في عهد النبي سليمان (950 ق م) في الأوساط الملكية في أورشليم والميزة الأساسية لهذه الرواية أو هذا المصدر؛ أنه كثيراً ما يشبه الله ويجسده على غرار صفات الإنسان<sup>2</sup>.

1- ثنية 31: 9.

2- استيفان شربتيه، دليل إلى قراءة الكتاب المقدس /ص36، ترجمة صبحي حموي اليسوعي، ط2، دار المشرق، ش م م، بيروت، لبنان، 1986م.

أطيات لمير ..... القرآن والتوراة

2- المصدر الإيلوهي: سمي بالإيلوهي لأنه يسمى الله في التوراة إيلوهيم، نشأ هذا المصدر حوالي (750 ق م) في المملكة اليهودية الشمالية بعد انقسام مملكة داوود وسليمان إلى مملكة شمالية وأخرى جنوبية. ويولي هذا المصدر اهتماما كبيرا بالأنبياء مثل إبراهيم وموسى وإلياشع وغيرهم<sup>1</sup>.

3- مصدر تثنية الإشتراع: هذه الرواية موجودة بشكل أكثر في التوراة في سفر التثنية وقد بدئ وضعه في مملكة الشمال وانتهى منه في مملكة الجنوب، ويتميز هذا المصدر باستخدامه الأسلوب العاطفي بهدف الإقناع، وبكثرة تكرار العبارات: الرب الهك، أسمع، أذكر يا إسرائيل. احفظوا الوصايا، والأحكام والعادات<sup>2</sup>. وهي عبارات تعج بها التوراة الحالية.

4- المصدر الكهنوتي: نشأ هذا المصدر أثناء السبي البابلي لليهود في السنوات (587-539 ق م) حيث كان الكهنة في المنفى يجددون تقاليدهم بهدف المحافظة على إيمان اليهود وآبائهم في الخلاص. وتمتاز هذه الرواية في التوراة بإيراد الأرقام والإحصاءات وسرد الأنساب نظرا لغربة اليهود في بابل، ويلعب الكهنوت في هذا الظرف الدور الأساسي في حياة الشعب اليهودي أكثر من الملكية والنبوة، كما أن مفردات هذه الرواية في أغلب الأحيان طقسية تهتم بشؤون العبادة<sup>3</sup>. إذن هذه المصادر الأربعة التي كتبت منها التوراة جاءت بعد سيدنا موسى فكيف يكون موسى هو كاتب هذه التوراة وأن هذه التوراة هي التوراة التي أنزلت على موسى؟

ثانيا- التناقض في التوراة: التوراة الحالية تحتوي على تناقضات كثيرة في إيراد المعلومات نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي :

1- المعروف أن عهد رسالة سيدنا موسى لم يعرف نظام الملكية في حين نجد في التوراة التي بين أيدينا إحصاء لأسماء الملوك الذين جاءوا بعد موسى بقرنين: « وهؤلاء هم الملوك

1- المرجع السابق/ص50.

2- المرجع السابق/ص56.

3- المرجع السابق /ص70. وكذلك، موريس بوكاي، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة  
صص 23-26.

أطيات لمير ..... القرآن والتوراة

الذين ملكوا في أرض أدوم»<sup>1</sup> مما يدل أن كاتب التوراة ليس موسى وإنما هو كاتب عشاى بعده بعد أن عرف اليهود نظام الملكية.

2- كما أنه من غير المنطقي أن يسجل موسى عليه السلام في التوراة حادثته وفاته والحالة الجيدة التي كان عليها وهو ميت ويعين مكان القبر الذي دفن فيه وهو مازال على قيد الحياة لكن التوراة الحالية تذكر هذا الإدعاء الغريب. تقول التوراة: «فمات هناك موسى عبد الرب في أرض مؤاب حسب قول الرب ودفنه في الجواء في أرض مؤاب مقابل بيت فساغور ولم يعرف ولو إنسان قبره إلى اليوم وكان موسى ابن مائة وعشرين سنة حين موته ولم تكل عينه ولا ذهب نضارته فبكى بنو إسرائيل موسى في عربات مؤاب ثلاثين يوماً»<sup>2</sup>.

3- ذكرت التوراة حادثة عبور موسى نهر الأردن والواقع أنه لم يعبر الأردن<sup>3</sup> والنص في التوراة هو: «وهذا هو الكلام الذي كلم به موسى جميع إسرائيل في عبر الأردن في البرية»<sup>4</sup>.

4- موسى في التوراة لا يرد اسمه بصيغة المخاطب من الله للدلالة على أن هذه التوراة وحي من الله تلقاه موسى بالفعل وإنما يرد بصيغة المتحدث عن نفسه وهو غائب، وهو ملا يقبل في كتب الوحي الإلهي: «وأما الرجل موسى فكان حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض»<sup>5</sup>. «وأيضاً الرجل موسى كان عظيماً جداً في أرض مصر في عيون عبيد فرعون وعيون الشعب»<sup>6</sup>. فهل يعقل أن يكون الوحي الإلهي يحوي مثل هذذ التناقضات؟ ويعترف موسى بن ميمون (1135-1677م) الفيلسوف اليهودي الكبير وأستاذ المدافعين عن التوراة بالتناقضات الواردة في التوراة<sup>7</sup>.

1- تكوين 36: 31.

2- تثنية 34: 5-7.

3- باروخ سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة /ص22، ط2، ترجمة حسن حنفي، مراجعة فؤاد زكرياء، دار الطليعة للطباعة والنشر: 1981م.

4- تثنية 1: 1.

5- عدد 12: 3.

6- خروج 11: 3.

7- موسى بن ميمون، دلالة الحائرين /ص18-23، ترجمة حسين آتاي، نشر مكتبة الثقافة الدينية، د.ت.

أ. طيات لمير ..... القرآن والتوراة

ثالثا- التوراة ألفها كاتب جاء بعد موسى بزمن طويل :

يرى باروخ سبينوزا (1632-1677م) الفيلسوف اليهودي أن عزرا<sup>1</sup> هو كاتب الأسفار الخمسة مستشهدا بجملة من الأدلة منها :

1- إن جميع روايات الأسفار تنتهي قبله.

2- أن عزرا كان باحثا كبيرا في الشريعة اليهودية وناقدا لها في نفس الوقت حتى أن بعض الأسفار سميت باسمه، فبحكم الصلة الوثيقة التي تربطه بالشريعة اليهودية وبحكم مكانته العلمية ينسب إليه سبينوزا كتابة الأسفار. غير أن عزرا في كتابته للتوراة كان عمله ينحصر في جمع الروايات من مصادرها المختلفة ونسخها دون تحقيق أو ترتيب ومما يدل على ذلك :

1 - وجود روايات مكررة لكن بألفاظ مختلفة.

ب- تضارب المعلومات في بعض الروايات المكررة وتناقضها كما هو الحال في رواية اعمار أبناء آدم والأنبياء. ولم يعط عزرا 'صيغة النهائية للروايات بل تعرضت الأسفار بعد عزرا للتغيير والتبديل على مر السنين والقرون<sup>2</sup>.

ويرى إستيفان شربنتيه أن المصادر الأربعة المذكورة سالفا التي ألفت منها التوراة جمعت على يد عزرا حوالي (400 ق م)<sup>3</sup>.

كما أن الإمام رحمة الله بن خليل الهندي يرى أن التوراة التي بين أيدينا اليوم ليست توراة موسى وإنما أهم عزرا إلى جمعها وتأليفها<sup>4</sup>.

رابعا- التحريف في التوراة: هناك نصوص في التوراة لا يمكن أن تكون وجيها من الله ويتورع أضعف الناس إيمانا من تصديقها فهي من قبيل الافتراء، مثال ذلك ما تقول على النبي

1- وهو الذي يسميه القرآن: عزرا، كما أكد ذلك ابن كعون اليهودي في كتابه: تنقيح المنسل للثلاث/ص32، دار الأنصار، القاهرة، د.ت.

2- باروخ سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة /ص26-27.

3- إستيفان شربنتيه، دليل إلى قراءة الكتاب المقدس /ص70.

4- رحمة الله بن خليل الهندي، إظهار الحق، ج1/ص355، تح وإخراج عمر الدسوقي، منشورات دار الكتب، الجزائر، 1988م.



أعطيت لمر ..... القرآن والتوراة

لوط عليه السلام إذ نسب إليه ارتكاب الفاحشة مع ابنتيه فكان له ولدان من كل واحد منهما<sup>1</sup>. وقد أورد الإمام رحمة الله بن خليل أنواعا كثيرة من التحريف هي أكثر تبياناً وتفصيلاً يطول ذكرها<sup>2</sup>.

خامساً- عدم تعهد الله بحفظ التوراة: إذا كان الله تعالى قد أسند مهمة حفظ القرآن إلى نفسه ولم يكلف بها المسلمين وإن كانوا مطالبين بذلك كأن يقول لهم: وأنتم له حافظون. فإن التوراة خلاف ذلك لم يسند الله أمر الحفاظ عليها إليه وإنما تركه للذين أنزلت إليهم ليقوموا بمسؤولية الحفاظ عليها: « وهذه هي الوصايا والفرائض والأحكام التي أمر الرب الحكيم أن أعلمكم لتعلموها في الأرض التي أنتم عابرون إليها لتملكوها لكي تتقي السرب إهتك وتحفظ جميع فرائضه ووصاياه<sup>3</sup> ». « فاحفظوا الوصايا والفرائض والأحكام التي أنا أوصيتكم اليوم لتعملوها (...). ومن أجل أنكم تسمعون هذه الأحكام وتحفظونها وتعملونها يحفظ لكم الرب إهلك العهد والإحسان<sup>4</sup> ». « فاحفظوا كل الوصايا التي أنا أوصيتكم بها اليوم لكي تتشبهوا وتدخلوا وتملكوا الأرض التي أنتم عابرون إليها لتملكوها<sup>5</sup> هذه الفقرات صريحة في أن معنى الحفظ هو التعهد المستمر لنصوص الوحي الإلهي دون التجزؤ على إتباع الهوى فيها تحريفًا أو إختفاء أو إتياعًا لغيرها وتركها، إذ لو كان المقصود بما العمل فقط لما اقترنت لفظة الحفظ بتعليقًا أو تأخيرًا بلفظة العمل في الفقرات السابقة. كما نجد في القرآن ما يؤيد إسناد الله مهمة حفظ التوراة إلى أهل الكتاب من اليهود: إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والريائيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء<sup>6</sup> لكن هل قام أهل التوراة بهذه المسؤولية وحفظوا ما استحفظهم الله

- 1- تكوينين: 19-30-38.
- 2- سرحمة الله بن خليل، إظهار الحق، ج1/ص335-509. وكذلك ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، المجلد الأول، ج1/ص116-153، دار الفكر، 1980م.
- 3- سنية: 1-3-6.
- 4- سنية: 7-13.
- 5- 9-11-9.
- 6- سنية: 10-11.

أطيات لم ..... القرآن والتوراة  
نعرف الإجابة عن هذا السؤال بمجرد قراءتنا لبعض نصوص التوراة، هذه النصوص تعتبر  
سابقة إخبار وإنذار من الله على لسان الرسول موسى بما سيصدر منهم من تفریط في حق الله  
وفي حق الكتاب الذي أنزل إليهم بما يحملون من صفات لا تؤهلهم حمل هذه الأمانة  
العظيمة :

1- افتقادهم للأمانة: « وقال أحجب وجهي عنهم وأنظر ماذا تكون آخركم إنهم جيل  
متقلب أولاد لا أمانة فيهم»<sup>1</sup>.

2- استبدالهم الباطل بالحق: « أغاظوني بأباطيلهم »<sup>2</sup>. وإلى هذه الصفة أشار القرآن:  
ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون<sup>3</sup>.

3- عدوهم الرأي والبصيرة في نظرهم إلى الله وإلى دينه: « إنهم أمة عديمة الرأي ولا بصيرة  
فيهم »<sup>4</sup>.

4- متمردون حين يقتضي الأمر الامتثال لأوامر الله: « خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه  
بجانب تابوت عهد الرب إنكم ليكون هناك شاهدا عليكم لأنني عارف بتمردكم وورقابكم  
الصلبة هوذا وأنا بعد حي معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب فكتم بالخرى بعد مسوتي »<sup>5</sup>.  
وقال لهم الرسول موسى أيضا: « لأنني عارف أنكم بعد موتي تفسدون وتزيغون عن الطريق  
الذي أوصيتكم به ويصيبكم الشر في آخر الأيام »<sup>6</sup>.

وإلى هذا الزيفان أشار القرآن الكريم: فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم<sup>7</sup>.

5- كما أن التوراة لم نعلم عنها أنها حفظت في صدور الرجال كما حفظ القرآن وما  
زال يحفظ في صدور الملايين من المسلمين حتى الصبيان، ومن ثم فإن تحريف أو نسيان التوراة

1- تثنية 32: 20

2- تثنية 32: 21.

3- البقرة / 41.

4- تثنية 32: 28.

5- تثنية 31: 26-28.

6- تثنية 31: 29.

7- التمسك: 5.

إعطيات لهم.....القرآن والتوراة

أمران وإردان خاصة من قبل أولئك الذين يشرفون على قداسته وحفظه من الكهنة والمقربين إليهم والذين هم محل ثقة عند العام والخاص، فتسول لأحد منهم نفسه ولو مرة في تبادل آية مكان آية، وإظهار أخرى بدلها غماشيا مع مآرب خاصة.

سادسا- نصوص التوراة تتعارض والمعارف العلمية الحديثة: المقارنة بين حقائق العلم في القرن العشرين وبعض النصوص التي تعالج بعض الموضوعات وبعض الوقائع الطبيعية وغيرها من الكتب المقدسة كشفت النقاب عن صحة أو خطأ النصوص المقدسة بناء على اتفاقها أو تعارضها مع معطيات علمية ثبتت صحتها لا مع نظريات علمية لم تثبت صحتها بعد، مثل هذه الدراسات المقارنة ما قام به العالم الفرنسي موريس بوكاي تحت عنوان: "دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة" وازن في هذه الدراسة بين الكتب السماوية الثلاثة التوراة والإنجيل والقرآن وبين المعارف العلمية الحديثة في عدة مواضيع كعملية الخلق وعلم الفلك وجغرافية الأرض وعلم النبات والحيوان ورواية الطوفان وغيرها. فكانت نتائج الموازنة أن المعطيات العلمية تتفق مع معلومات القرآن بدقة بينما تتفق حيناً وتتعارض أحيانا مع نصوص التوراة، مثال ذلك أن التوراة تعتبر الطوفان عملية شاملة عمت كل الأرض وأهلكت كل حي بينما القرآن يجعله خاصا بقوم نوح، وهذه الحادثة لا تتوافق مع المعارف الحديثة فيما يخص حادثة الطوفان<sup>1</sup>، ولا تتوافق أيضا والمعطيات التاريخية.

سابعا-القرآن يكشف عن تعريف التوراة: القرآن الكريم يعترف بالتوراة كوحى أنزل على موسى ولا يعترف بسواها من أسفار العهد القديم، وقد ذكرت التوراة ثمانية عشرة مرة بالإضافة إلى ذكرها بأسماء أخرى كالكتاب مثل قوله تعالى: ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة<sup>2</sup>، والبينات والفرقان<sup>3</sup> وغيرها. لكن هذه التوراة لم تبق على حالها كما أنزلها الله على سيدنا موسى وإنما حرفت بشئ أنواع التحريف:

1-موريس بوكاي، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة /ص53و246

2-الأحقاف/11.

3-البقرة/52.

أ. طبيبات لمير ..... القرآن والتوراة

1- ثبوت التحريف: من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه<sup>1</sup>. يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم توتوه فاحذروا<sup>2</sup>. وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون<sup>3</sup>.

2- إن التوراة الحالية مكتوبة بأيدي البشر: فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون<sup>4</sup>.

3- إخفاء التوراة الحقيقية: وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس يجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا<sup>5</sup>. يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير<sup>6</sup>.

4- الباس الحق بالباطل: يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون<sup>7</sup>.

5- بطلان الإدعاء بصدق ما لديهم: وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون<sup>8</sup>.

6- تعطيل التوراة وعدم العمل بها: فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا

1- النساء/45.

2- المائدة/43.

3- البقرة/74.

4- البقرة/78.

5- الأنعام/92.

6- المائدة/16.

7- آل عمران/70.

8- آل عمران/77.

أطيات لم ..... القرآن والتوراة  
منهم<sup>1</sup>. إن شهادة الله تعالى هي أكبر شهادة على أن التوراة الحالية ليست هي التوراة التي  
أنزلها الله على سيدنا موسى.

نخلص إلى القول أن هناك اختلافا كبيرا في ظروف تدوين كل من القرآن والكتاب  
المقدس بأقسامه المختلفة. فالقرآن كتاب واحد بلغة واحدة، نزل على رجل واحد خلال فترة  
زمنية محددة، على عكس الكتاب المقدس الذي أحاطت به ظروف مختلفة أثرت على أصالتها،  
فعدد كتبه كثيرة إلى حد الاختلاف في عددها الشرعي، كما أنها ألقت بلغات مختلفة طوال  
حقبة من الزمن دامت أكثر من ألف وخمسمائة سنة، قام بتأليفها عدد كبير من الكتبة منهم  
المعروف ومنهم المجهول، إضافة إلى عدم الانسجام في الأساليب والروايات.  
كما عرفت هذه الكتب تطورا لم يتوقف في الصياغة والتعديل<sup>2</sup>، وما ينطبق على الكتاب  
المقدس ككل ينطبق على التوراة كجزء منه.

1- المائدة 14.

2- للإطلاع على مراحل المراجعة والتعديل للكتاب المقدس يرجع إلى :



## ملاح التّأصيل القرآني لعلم أصول الحديث

أ. حسّان موهوبي  
جامعة الأمير عبد القادر

يُعدّ القرآن الكريم أصل المعارف الإسلاميّة، منه تستمدّ معارفها ومناهجها وبناءها في الجملة.

والباحث في القواعد الكلية التي هي أصل في معرفة حال الجزئيات من مسائل علم الحديث رواية، يجد علم أصول الحديث ما فتى يستحكم بمنهاج القرآن الكريم، لا ينفك عن معالمة الرّاشدة على الرّغم من سمة الاجتهاد الموسوم بما هذا التخصص من خلال عمل الحديّين وممارساتهم التقديّة.

فالاعتباس اللّغوي، والاستنباس الشرعيّ من القرآن وآياته عند أهل الحديث واضح جدّاً عند قراءة بنية أصول علم الحديث ومضمون تعاريفه ومصطلحاته؛ حيث أفاد علماء الحديث ونقّاده من الأصول القرآنيّة ما أطروا به لعلم الحديث رواية ودراية، فأطلقوا المصطلحات العلميّة، وعرّفوا بالمفاهيم المنهجية لهذا الاختصاص على وفق المنهاج القرآني الرّشيد ومعانيه الشرعيّة.

ولا شكّ أنّ نشأة علوم الحديث كانت بيدّ الوحي على النبيّ ﷺ، وأنّ بزوغ نور السنّة كان مع كلمة القرآن الأولى منذ الوهلة التي بُعث فيها -عليه الصّلاة والسّلام-، حيث نشأ أوّل ما نشأ من علم الحديث علم الرّواية.

حسان موهوبي ..... ملامح التفاصيل القرآني  
 وأول رواية في هذا العلم سماع ورواية السيدة خديجة أم المؤمنين - رضي الله عنها -  
 لحديث بدء الوحي، وقصة مجيء جبرائيل عليه السلام بأول سورة "اقرأ" إلى النبي صلى الله عليه وسلم في غار حراء،  
 فهو أول حديث من وحي السنة، وأول ما نشأ من علومها.

هكذا بدأت نشأة علوم الحديث منذ فجر الإسلام، واهتمت بذلك نصوص القرآن  
 الكريم والسنة النبوية المطهرة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا  
 يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾<sup>1</sup>.

و إذا كان الله صلى الله عليه وسلم - قد تكفل بحفظ كتابه المجيد، فإن من مقتضيات هذا التكفل حفظ  
 السنة أيضا؛ لأن تعهده بحفظ الكتاب يستلزم التكفل بحفظ بيانه وهو السنة؛ إذ المقصود بقاء  
 الحجّة قائمة، والهداية باقية بحيث ينالها من يطلبها؛ لأن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء، وشريعته خاتمة  
 الشرائع، وهو ما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنْ عَلَيْنَا لَبَايَةٌ فَإِنَّ آيَاتِنَا تُنزلُ بِحُكْمٍ وَبِحُكْمٍ﴾<sup>2</sup>.

هذا، وقد تحدّى المسلمون أسئلة شتى استفسرت عن تحقيق حفظ السنة النبوية، أو  
 استشككت سلامة نقل الحديث النبوي وصيانتها من التغيير والتبديل، في الوقت الذي خلا فيه  
 الجوّ العلمي، والتراث الديني لدى الأمم الأخرى عن أيّ تأصيل وثروة، أو إثارة من طريق  
 يكفل صحة الروايات الدينية والتاريخية...

ففي غياب ما يمكن أن يفيد منه الناس قديما منذ عهد ما بعد الرسول صلى الله عليه وسلم لنقل السنة  
 والتراث نقلا صحيحا من قواعد وقوانين لدى الأمم السابقة، تحدى الرّعيل الأول من أهل  
 الإسلام وتابعوهم من العلماء عقبات الفراغ العلمي بتأسيسهم لسابقة يؤتمى بها في مجال  
 التوثيق والاستيثاق، أو بما يُسمى بالتعبير المعاصر "مبادئ البحث العلمي"، فكانت المهمة  
 الكبرى التي أنيطت بالمتقدمين ومن لحق بهم في النهج من أهل الحديث والسنة المشرفة،

1- الأحزاب: 70.

2- القامة: 19.

أ. حسان موهوبي ..... ملامح التفاصيل القرآني  
 وسجلها التاريخ لهم من أحوالهم وأفعالهم وأقوالهم - أن قاموا بواجب المحافظة؛ فأدوا الحديث  
 النبوي عنه ﷺ أداء سليما حقق الغايات، وبلغ المقاصد، وعلى وفق قواعد وقوانين صارمة،  
 حفظت للسلسلة الحديثية المتصلة إلى مخرجها قوتها ونقاءها في كنف العدالة للرؤاة وضبطهم  
 وإتقانهم، واحترزت بذلك عن شذوذ العلم وغرائب الأخبار، وعن كل ما يسيء للطريق  
 المروي، أو إلى المتن النبوي الشريف من العلل والقوادح.

و لا أغرو في ذلك؛ إذ كان السرّ كل السرّ هو ذلك الإسلام الذي حلّ المعضلة بما اشتمل  
 عليه من عوامل الحفظ الذاتية الظاهرة والباطنة التي خصّه الله تعالى بما، وأودعها القرآن  
 الكريم، وحيث قرّرت نصوص الكتاب المجيد الأصول الموضوعية والشرعية التي كانت منلورة  
 لصيانة الرواية الحديثية، ورسّخت المنهاج الأفضل لأداء الحديث أداء صحيحا؛ حيث  
 أوجبت البحث في الراوي، وحتّمت التثبت في الكلام وتحريم صدقه مع الصدق به،  
 والتمحيص لصفة الثقل بالدلائل والقرائن المحتمة/سياقا ومساقا بطبيعة التحمل والأداء من قبل  
 ومن بعد، وصولا إلى الحكم بالصحة من عدمها بما لا يجوز شرعا في مسؤولية الدين أن  
 يُفرط الباحث فيه، على الرغم من أن الخطأ والتسيان فطرة خلقية جبل عليها الإنسان لولا  
 عون الله وهدايته لقوله تعالى: ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما﴾<sup>1</sup>.

### الأمانة: شرط للنقل والقبول

فاستحاثنا على الأمانة مثلا، نجد الإسلام يحرم الكذبة بشتى أشكالها وأنواعها، وعلى  
 سبيل التشديد والزجر والتنفير، تغليظا لحرمة الكذبة، واحترازا من صفات غير المسلمين،  
 قال تعالى: ﴿إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله﴾<sup>2</sup>، وقال أيضا: ﴿قل إنما حرم  
 ربّي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير حقّ وأن تشركوا بالله ما لم يسرّ

1- طه: 155.

2- التّحّل: 105.



أ. حسان موهوبي ..... ملامح التفاصيل القرآني  
 به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون<sup>1</sup>، وقال: «فمن أظلم ممن كذب على الله؟<sup>2</sup>،  
 وقال: «و يقولون على الله الكذب وهم يعلمون<sup>3</sup>، وقال: «و تصف ألسنتهم الكذب  
 أن لهم الحسنی<sup>4</sup>، وقال: «إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون<sup>5</sup>، وقال:  
 «كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا<sup>6</sup>...»

و كان أن انتهج السلف من أهل الحديث هذا المنهاج القرآني عند التّقييد لرواية الحديث  
 وعلومها؛ فلم يأخذوا الحديث النبوي عن الرجال إلا بعد أن يكون الراوي فيهم ثقة عندهم  
 في نفسه، عدلا في حديثه، ...

نتبين هذا من خلال التّحديد الذي سنورد نصّه -على سبيل المثال- للصفات المانعة من  
 الأخذ عن أربعة أصناف من الناس، رغم اكتفاء هذا النصّ بذكر المتروكين، ويخصر خصائصهم  
 المخلة بأمر الدين والأخلاق العامّة بين الناس.

و النصّ هو من قول إمام دار الهجرة مالك بن أنس<sup>7</sup> -رحمه الله تعالى- الذي يقول:  
 «لا يؤخذ العلم عن أربعة، ويؤخذ ممن سوى ذلك؛

1- لا يؤخذ من سفيه معلن بالسّفه - يكذب على رسول الله - وإن كان أروى الناس،

2- ولا يؤخذ من كذاب يكذب في أحاديث الناس - إذا جُرّب ذلك عليه - وإن كلنا لا

يَتَنهم أن يكذب على رسول الله،

1- الأعراف: 33.

2- الزّمر: 32.

3- آل عمران: 75.

4- التحل: 62.

5- التحل: 116.

6- الكهف: 05.

7- يرد هذا النصّ بسياقات مختصرة أحيانا، وقد جمعنا بعضها على بعض من كلّ من: المحدث الفواصل:  
 403 فقرة 418، والكفاية: 189، والتمهيد: 66/1، وجامع بيان العلم وفضله: 48/2، والإمام: 60.

١- حسان موهوبي ..... ملامح التفاصيل القرآني

3- ولا من صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه.

4- ولا من شيخ - أو رجل - له فضل أو صلاح وعبادة، إذا كان لا يعرف ما يحمل وملا يحدث».

و الذي يلوح بعد التأمل، أن عمدة التقد والتمحيص للرجال في الحديث النبوي أمران متلازمان هما:

**الأول:** العدالة المعروفة المنافية لكل حارم.

**الثاني:** الضبط المقترن - عند التلقي والأداء - بالعلم والفهم.

و كأنه لا يُفصل بين المقبول من الرواة وبين المتروك منهم إلا بفحوى هذين المعيارين، ناهيك عن الكافر، سواء علم من دينه الاحتراز عن الكذب أم لم يعلم، فخصومته للمسلمين وعداوته لهم في الدين قد تحمله على الكيد لهم وإدخال ما ليس منه فيه، وقد قال تعلى: «لا يألونكم خبالا»<sup>1</sup> - أي لا يقصرون في الإفساد عليكم<sup>2</sup>.

و منه، كان لهذا القيد الاحترازي دوره الضملي الهام في مسيرة السنة النبوية المنقولة والمدونة؛ إذ لا نجد في ثنايا كتب الجرح والتعديل وكتب التراجم والرجال التي احتوت أحوال الرواة المخدئين شخصا واحدا روى السنن النبوية للمسلمين وهو كافر<sup>3</sup>.

فهكذا، كانت الأمانة وكان التثبت في كل الأحوال أصلا عظيما من أصول علم الحديث، وقد قال تعالى: «ولا تقف ما ليس لك به علم»<sup>4</sup> - أي: تجتنب ما لم يعلمه صحته

1- آل عمران: 118.

2- وانظر التفاصيل في: توضيح الأفكار 115/2، ومقدمة ابن الصلاح 94، ومعرفة علوم الحديث 92. وتدريب الراوي 197/1، والكفاية 135، والباعث الحديث 92.

3- إلا ما كان من بعض الصحابة الذين سمعوا من النبي ﷺ أثناء الكفر، لكنهم عندما أدوه كان ذلك بعد إسلامهم على أن الإسلام يشترط عند أداء الرواية لا عند تحملها. وانظر: الكفاية 135.

4- الإسراء: 36.

حسان موهوبي ..... ملامح التفاصيل القرآن  
وسلامته؛ فيشمل التأكيد من صحة النقل وجوبا متى تطابق لأصل النص الصادر عن صاحبه  
ومخرجه.

### تجنب نقل الأكاذيب: تورعنا واحتياطاً

وذاك أصل تابع يُرشد إلى مدى الاحتياط الواجب الذي دأب أهل الحديث على ترسيخه  
عملياً عند ممارستهم للحديث والرواية، وقد دلت عليه أيضاً الآية السابقة في قوله -ﷺ-:  
«ولا تقف ما ليس لك به علم»<sup>1</sup>، بل وقوله -ﷺ-: «من حدث عني بحديث يرى أنه كذب  
فهو أحد الكاذبين»<sup>2</sup>.

ولا مناص من هذا التحذير من مسؤولية الرواية، حيث أوجب على كليل من سمع  
الحديث النبوي أن يترتّب قليلاً، ولا يرويه حتى يثبت، ويأخذ بالاحتياط - وما منهج الإمام  
مالك في الموطأ والبخاري ومسلم في الصحيحين وغيرهم من جهابذة الأمة في علم الحديث  
والرواية بخاف عند أهل العلم -.

### التعري: للتحقق والتعاهد

كما أوجب الله تعالى التثبت والاستيثاق والتقد حين عمد إلى الشك في إخبار الفاسق  
مع تبيين في حاله، أو تتبع صحة حديثه من طريق أخرى؛ فقال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا  
إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين»<sup>3</sup>.

ويشرح الحافظ ابن كثير هذه الآية بأن الله تعالى «يأمر بالتثبت في خبر الفاسق ليحتلط  
له»<sup>4</sup>، ولأن الله تعالى قال: «وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى  
الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته

1- الإسراء: 36.

2- ذكره مسلم في المقدمة 9.

3- الحجرات: 06.

4- تفسير ابن كثير 350/7.

أ. حسان موهوبي ..... ملامح التفاصيل القرآني  
 لا تبتعم الشيطان إلا قليلاً<sup>1</sup>، قال ابن كثير: «وقوله: ﴿وَإِذَا...﴾ الآية، إنكار على من  
 يبادر إلى الأمور قبل تحقيقها، فيخبر بها ويفتيها وينشرها، وقد لا يكون لها صحة<sup>2</sup>، فهذه  
 دعوة صريحة إلى نقد ما يُسمع، والتريث في فهمه، وإلى تمييز الصحيح منه لقبوله، أو حملته  
 ونشره.

و عليه، فقد نهي علماء الحديث -تبعاً للمنهاج القرآني- عن قبول خبر الناس بمجرد  
 فسقهم، إلا إذا أفلح أحدهم عن ذنبه وتاب توبة نصوحاً، يُبدّل ما كان من حاله إلى حال  
 التقى؛ وفي ذلك يقول الحافظ ابن الصلاح<sup>3</sup>: «التائب من الفسق نقبل توبته» لقوله تعالى:  
 ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا  
 رَحِيمًا﴾<sup>4</sup>، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>5</sup>،  
 وآيات أخرى كثيرة في هذا المعنى، وهو مذهب الإمام أحمد وغيره؛ كأبي بكر الحميدي شيخ  
 البخاري -رحمهم الله تعالى-.

ويقول علي بن المديني: «سمعت يحيى بن سعيد يقول: ينبغي لصاحب الحديث أن يكون  
 ثبت الأخذ، يفهم ما يقال له، وينظر في الرجال ويتعاهد ذلك، والأصل في ذلك قول الله  
 تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنِيَا فَنَبِّئُوهُ أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا  
 عَلَيَّ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾<sup>6</sup>، وقال القاضي عياض: «... ويكون أخذ العلم عن أهل الثقة لما  
 ينقلون والمعرفة به والضبط له، فإن وجد من اجتمعت فيه هذه الخصال من الدين والعلم  
 والإتقان، فقد ظفرت يدها بحاجته، وإن لم يكن إلا من فيه بعضها فليحتجب من لا دين له،  
 فإن أخذ به عنه عناء؛ إذ لا يوثق بما عنده، ولا يحتج به لنفسه ولا غيره، والأصل في قول الله

1- النساء: 83.

2- تفسير ابن كثير 321/2.

3- في كتابه علوم الحديث ص104.

4- الفرقان: 70.

5- آل عمران: 89.

6- الحجرات: 06.

أ. حسان موهوبى ..... ملامح التفاصيل القرآني  
تعالى: «يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ...»<sup>1</sup> الآية، واشترطه تعالى: الرضا  
والعدالة في الشهداء»<sup>2</sup>.

### الرّواية لما عرفته صحّة مخارجه

و من الصّنع المشهور في منهج أئمة الحديث أيضا، تشنيعهم على رواة الأحاديث  
الضعيفة والمنكرة؛ حيث تعامل علماء الحديث بكلّ صرامة وحزم ونشاط مع ما كذّف به  
هؤلاء القوم من الرّواة إلى العوامّ ونشروه، إذ استقبحوا منهم أبحارهم المنكرة بالأسانيد  
الضعاف المجهولة المستنكرة من الحديث برواية غير المرضيين بمن ذمّ الرّواية عنهم أئمة  
الحديث المعتمدين.

و هذا الإمام مسلم بن الحجاج القيسابوري الذي يقول: «اعلم أنّ الواجب على كلّ  
أحد عرف التّمييز بين صحيح الرّوايات وسقيمها وثقات الناقلين لها من المتّهمين، أن لا  
يروي منها إلّا ما عرف صحّة مخارجه، والسّتارة في ناقله، وأن يتّقي منها ما كان منها عن  
أهل التّهم والمعادنين من أهل البدع، والدليل على أنّ الذي قلنا من هذا هو اللازم دون ما  
خالفه، قول الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ...»<sup>3</sup> الآية،  
وقال عزّ وجلّ: «من ترضون من الشهداء»<sup>4</sup>، وقال سبحانه: «وأشهدوا ذوي عدل  
منكم»<sup>5</sup>، فدلّ بما ذكرنا من هذه الآي أنّ خير الفاسق ساقط غير مقبول، وأنّ شهادة غير  
العدل مردودة، والخير وإن فارق معناه معنى الشّهادة في بعض الوجوه، فقد يجتمعان في  
معظم معانيها، إذ خير الفاسق غير مقبول، ودلّت السّنة على نفي رواية المنكر من الأخبار

1 - الحجرات: 06.

2 - الإمامع إلى معرفة أصول الرّواية ص58.

3 - الحجرات: 06.

4 - البقرة: 282.

5 - الطلاق: 02.

أ. حسان موهوبي ..... ملامح الناصيل القرآني  
 كنحو دلالة القرآن على نفي خبر الفاسق، وهو الأثر المشهور عن رسول الله ﷺ: من حدثت  
 عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين<sup>1</sup> اهـ.

### محاذاة الراوي: حديثنا وسلوكنا

و هذا أصل مقرر في الشريعة، ويراد به الشخص المرضي قوله وحكمه، وهو الشرط  
 الأساس في راوي الحديث؛ لأنه يشهد على الله تعالى وعلى رسوله بما ينقل، يقول ابن الأثير:  
 «التعديل وصف من التحق بالراوي والشاهد اعتبر قولهما وأخذ به»<sup>2</sup>.

فقد استعمل القرآن كلمة "العدل" بهذا المعنى؛ إذ قال الله تعالى: «وأشهدوا ذوي عدل  
 منكم»<sup>3</sup>، وفسرت الآية بقوله تعالى: «من ترضون من الشهداء»<sup>4</sup>، قال الإمام الطبري في  
 تفسيره<sup>5</sup>: «يعني من العدل المرتضى دينهم وصلاحهم». ومال إلى هذا التفسير الإمام  
 البخاري حيث عقد في صحيحه<sup>6</sup>: بابا للشهداء العدل، لقول الله تعالى: «وأشهدوا ذوي  
 عدل منكم» وقوله: «من ترضون من الشهداء»<sup>7</sup>.  
 وبهذا المعنى استعملها الصحابة وغيرهم، كقول عمر بن الخطاب لعبد الرحمن بن عوف:  
 «أنت عندنا العدل الرضا، فماذا سمعت؟»<sup>7</sup>، وكذا هشام بن عروة، حيث قال: «حدثني

- 1- مقدمة صحيح مسلم ص9، والترمذي في كتاب العلم وصححه 36/5، وأخرجه ابن ماجه 14-15  
 عن علي بن أبي طالب، وعن المغيرة بن شعبة، وعن سمرة بن جندب.
- 2- ابن الأثير: جامع الأصول 1/126.
- 3- الطلاق: 02.
- 4- البقرة: 282.
- 5- تفسير الطبري 22/6.
- 6- انظر: فتح الباري لابن حجر: 251/5 باب 5
- 7- الكفاية 108، والسنن الكبرى 124/10.

أ. حسان موهوبي ..... ملامح الناصيل القرآني  
 العدل الرضا الأمين على ما تغيب عليه يحيى بن سعيد<sup>1</sup>، ومنه انتشرت لدى السلف  
 القاعدة المشهورة: «إنما هذه الأحاديث دين، فانظروا عمّن تأخذون دينكم»<sup>2</sup>.  
 وقد تتحقّق العدالة عند أهل الحديث بشروط؛ منها: الإسلام والتقوى، بدليل الآيات  
 السابقة؛ حيث الرضا لا يكون من دون الإسلام، كما لا يحصل العدل والرضا من دون  
 التقوى، فكانت رواية الحديث أولى بالاشتراط في روايه؛ لأنه يشهد على الله ورسوله.

### الصّحابي ومطلق العدالة

علم أن الصّحابي من الصّحبة، وللصّحبة معنى المعاشرة والملازمة. وقد قال تعالى: ﴿إذ  
 يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾<sup>3</sup>. ولقد اتبع علماء الحديث مسلك القرآن في اعتمادهم  
 لمطلق العدالة في الصّحابة ﷺ، وهو قول الجمهور من أمثال الأئمة الأربعة والمحدثين كافّة؛  
 كالبخاري ومسلم وأبي داود والنسائي والترمذي وابن معين وابن المديني وأبي زرعة وأبي  
 حاتم الرّازي وابن حبان وابن تيمية...، وعلى وجه الاختصار: علماء أهل السنّة والجماعة  
 كافّة، وعليه سلف الأئمة وجماهير الخلف من المحقّقين دون الطوائف من المعتزلة والخوارج  
 وأهل الرّفص، تمّن خالف الجمهور وليست لهم حجّة ثابتة.

و بغضّ النظر عن الأحاديث الكثيرة والتّصوص الحديثيّة للنبي ﷺ في معنى عدالة الصّحابة  
 ﷺ، نجد القرآن الكريم مليئاً بالآيات المثبتة لعدالتهم، وهو ما بيّنه قول الخطيب البغدادي في  
 الكفاية<sup>4</sup>، قال: «وكلّ حديث اتّصل إسناده بين من رواه وبين النبي ﷺ لم يلزم العمل به إلّا  
 بعد ثبوت عدالة رجاله، ويجب النظر في أحوالهم؛ سوى الصّحابي الذي رفعه إلى رسول  
 الله ﷺ؛ لأنّ عدالة الصّحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم، وإخباره عن طهارتهم، واختياره لهم

1- الكفاية 108.

2- يرد هذا التّصّ عن عدد من التابعين، وقد رواه مسلم في المقدّمة عن ابن سيرين بلفظ: «إنّ هذا العلم دين، فانظروا عمّن تأخذون دينكم»، المقدّمة: ص14. كما رواه ابن عبد البرّ في روايتين من قول مالك بن أنس. انظر: التمهيد 67/1.

3- التوبة 40

4- الكفاية 63-64.

أ. حسان موهوبي ..... ملامح الناصيل القرآني  
 في نصّ القرآن، فمن ذلك قوله تعالى: «كنتم خير أمة أخرجت للناس»<sup>1</sup>، وقوله: «وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا»<sup>2</sup>، وهذا اللفظ وإن كان عامًا، فالمراد به الخاصّ، وقيل هو وارد في الصحابة دون غيرهم، وقوله: «ولقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا...»<sup>3</sup>، ثم ساق الآيات من [ التوبة: 100 ] و[ الواقعة: 11 ] و[ الأنفال: 64 ] و[ الحشر: 09 ]، وآيات يكثر إيرادها ويطول تعدادها.

و منه قوله الآخر: « والأخبار في هذا المعنى تتسع، وكلّها مطابقة لما ورد في نصّ القرآن، وجميع ذلك يقتضي طهارة الصحابة والقطع على تعديلهم ... فلا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله تعالى لهم ... إلى تعديل أحد من الخلق له ... وهذا مذهب كافة العلماء ومن يعتدّ بقوله من الفقهاء»<sup>4</sup>.

### مصطلح التابعي: سياق قرآني

التابعي: اسم الفاعل من تبع، نسبة لتابع، وذلك لأنهم أتبعوا الصحابة في الزمن، أي جاعوا بعدهم، أو أتبعوهم في الأخذ والتحمّل؛ فالصحابة أخذوا من الرسول ﷺ وتحملوا عنه، وهم تحمّلوا عن الصحابة وأخذوا عنهم، أو تبعوهم في الإسلام والعمل بشرائعه والقدوة بهم في أعمالهم وأخلاقهم.

فالتابعي هو كلّ مسلم يسمع صحابيًا أو يلقاه وإن لم توجد الصحبة العرفية، وعليه يدلّ عمل أئمة الحديث، ولعلّهم استمدّوا هذه التسمية من قوله تعالى: «و السابِقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار والذين أتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه»<sup>5</sup>.

1- آل عمران: 110.

2- البقرة: 143.

3- الفتح: 18.

4- الكفاية 66-67 مع اختصار.

5- التوبة: 100.



### العزير: إخبار متعدّد

العزير هو الحديث الذي رواه اثنان ولو في طبقة واحدة بشرط أن لا يقل رواته عن اثنين في جميع طبقات السند. والظاهر أن سبب التسمية بالعزير يعود إلى التعريف اللغوي المؤيد بالآية من سورة "يس" وهي قوله تعالى: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ<sup>1</sup>﴾، أي: قوّينا، مأخوذ من العزّة بمعنى القوّة؛ يقال: عزّ يعزّ بكسر العين: أي قوي واشتدّ، فيتّضح أنّه سُمّي عزيرًا عند أهل الحديث لأحد أمرين:

- 1- إمّا لعزّته، بمعنى ندرته، وذلك لقلة وجود هذا النوع؛ ففي اللغة: "عزّ الشيء يعزّ" من باب ضرب؛ بمعنى قلّ، فيكون بمعنى النادر القليل.
- 2- وإمّا لعزّته أي قوّته، وذلك لتقويته بمجيبه من طريق آخر<sup>2</sup>.

### مصطلح الإسناد: خصيصة وأثارة

جاء على لسان الأئمّة كلمات كثيرة في تبيين مقام الإسناد وأهميته البارزة وفوائده ومزاياه ولزوم العناية به، وأنّه من خصائص علوم الإسلام، فالإسناد في أصله خصيصة فاضلة لأمة الإسلام ليست لغيرها من الأمم، يقول ابن حزم<sup>3</sup>: «نقل الثقة عن الثقة يبلغ به النسي مع الاتصال خصّ الله به المسلمين دون سائر الملل، وأمّا مع الإرسال والإعضال فيوجد في كثير من اليهود، ولكن لا يقربون فيه من موسى قربنا من محمّد ﷺ، بل يقفون بحيث يكون بينهم وبين موسى أكثر من ثلاثين عصرا، وإمّا يبلغون إلى شمعون ونحوه ...»، وقال: «وأما النصارى فليس عندهم من صفة هذا الثقل إلاّ تحريم الطلاق فقط، وأمّا الثقل بالطريق المشتملة على كذاب أو مجهول العين فكثير في نقل اليهود والنصارى ...»، وقال أيضا: «وأما أقوال الصحابة والتابعين فلا يمكن لليهود أن يبلغوا إلى صاحب نبيّ أصلا، ولا إلى تابع

1- سورة يس: 14.

2- انظر: شرح نحية الفكر 15.

3- عن قواعد التحديث للقاسمي ص 201.

أ. حسان موهوبي ..... ملامح التفاصيل القرآني له، ولا يمكن للتصاري أن يصلوا إلى أعلى من شمعون وبولص». ويروي الحاكم وغيره في الإسناد عن مطر الوراق في قوله تعالى: «أو أثاره من علم»<sup>1</sup>، قال: «إسناد الحديث»<sup>2</sup>.

## القابض والفاظ تدور على السنة المحدثين:

### الحديث والتعبير من نقله

فالحديث لقوله تعالى: «وإذا أسرّ النبيء إلى بعض أزواجه حديثاً»<sup>3</sup>، وقوله: «فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين»<sup>4</sup>، وقوله: «وعلمتني من تأويل الأحاديث»<sup>5</sup> وقوله: «فأتبعنا بعضهم بعضاً وجعلناهم أحاديث»<sup>6</sup>.

و الحديث: اسم من التحديث، وهو الإخبار، ثم سمي به قول أو فعل أو تقرير نسب إلى النبي ﷺ. والحديث نقيض القديم؛ كأنه لوحظ فيه مقابلة القرآن.

### وقبي العبارة من النقل، بوجود الصالح والأخط

فقد جاء في النقل وفي قولهم في الإسناد: «حدثنا، أخبرنا، أنبأنا» بما يرجع إليه عن سعيد بن عمرو بن أبي سلمة التنيسي قال: «حدثنا أبي قال: سمعت مالك بن أنس يقول في قول الله عز وجل: «واته لذكر لك ولقومك»<sup>7</sup>؛ قال: قول الرجل: حدثني أبي عن جدّي»<sup>8</sup>.

1- الأحقاف: 04.

2- عن قواعد التحديث للقاسمي ص 201.

3- التحريم: 03.

4- الطور: 34.

5- يوسف: 101.

6- المؤمنون: 44.

7- الزخرف: 44.

8- أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله 180/2.

أ. حسان موهوبي ..... ملامح التفاصيل القرآني  
 كما احتج بعضهم بقوله: «الله نزل أحسن الحديث»<sup>1</sup>، ويقولون: «ومن أصدق من الله حديثاً»<sup>2</sup>، وهذا لما أطلق فيه لفظ "الحديث"، وأن الله تعالى قال: «يومئذ تحدث أخبارها»<sup>3</sup>، وقال: «قد نبأنا الله من أخباركم»<sup>4</sup>. يقول الإمام الذهبي<sup>5</sup>: «أنبأنا وأنسا - وهي اختصار للفظ أخبرنا- فصادقة على ما سمع من لفظ الشيخ أو قرأه هو أو قرأه آخر على الشيخ، وهو سمع، لكن غلبت في عرف المتأخرين على الإجازة -أي لفظ أنبأ وأنسا- وقوله تعالى: «قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير»<sup>6</sup>؛ دل على التساوي، فللحديث والخبر والتبأ مترادفان، ولقوله تعالى: «نبئوني بعلم إن كنتم صادقين»<sup>7</sup>».

### أما التخريج أو الإخراج

فمعناه الإبراز والإظهار، لقوله تعالى: «كترزع أخرج شطأه»<sup>8</sup>، أي كمثل زرع أبرز وأظهر خراجه، ومنه قول المحدثين عن الحديث: "أخرجه البخاري" مثلاً: أي أبرزه للناس وأظهره لهم؛ بيان مخرجه وذلك بذكر رجال إسناده الذين خرج الحديث من طريقهم، وكذلك "خرجه البخاري" بمعنى أخرجه - أي ذكر مخرجه وإظهار موضع خروجه بذكر رواة إسناده<sup>9</sup>.

1- الزمر: 23.

2- النساء: 87.

3- الزلزلة: 04.

4- التوبة: 94.

5- في الموقظة ص56، وانظر: الإلماع ص124، 130.

6- التحريم: 04.

7- الأنعام: 143.

8- الفتح: 29.

9- انظر: أصول التخريج ودراسة الأسانيد لمحمود الطحان ص9-10، وتاج العروس مادة (خرج) 38/2-42، ولسان العرب 249/2-254.

أ حسان موهوبي ..... ملامح التاصيل القرآني

### المنكر...

و يستعمل نقاد الحديث لفظة " المنكر " على معنى أن الحديث غير معروف عن مصدره؛  
إما بتفرد راويه مع المخالفة، وإما بتفرد من دون مخالفة.

و المنكر في اللغة بمعنى مجهول غير معروف، والنكرة ضد المعرفة. وقد جاء إطلاقه على  
هذا المعنى في مواضع من القرآن الكريم؛ كقوله تعالى: «وجاء إخوة يوسف فعرفهم وهم له  
منكرون»<sup>1</sup>، وقوله: «فلما جاء آل لوط المرسلون قال إنكم قوم منكرون»<sup>2</sup>، وقوله: «إذ  
دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون»<sup>3</sup>، وقوله: «يعرفون نعمة الله ثم  
ينكرونها»<sup>4</sup>.

### التجريح والتعديل

أما وهذا المجال، فلا يخفى على المشتغل بعلم الحديث أن أساس القبول والرد للأحاديث  
هو تعديل الرواة وتجريحهم؛ فالتعديل هو ذلك الحكم الإيجابي على الرجال بالتعوت الحميدة  
والأوصاف الجليلة التي تُفضي إلى التصديق بخبرهم عن غيرهم فيما يزوونه عن النبي ﷺ،  
والتجريح هو ذلك التقرير السلبي الذي يخص ما علق بالرجال الرواة من الشوائب والعيوب،  
أوصفات الدم والقبح من خلال خلل في الأثران أو الضبط، فهو عكس التعديل بالمعنى  
السابق.

و المرجى في هذا المجال هو سمعة الدين والشرع وتقية للرواية، ولذا نهض أهل هذا  
الاختصاص بغرلة الرواة وحملة الحديث استنادا لقوله تعالى: «وأقيموا الوزن بالقسط ولا  
تخسروا الميزان»<sup>5</sup>، وقد التزم القوم به؛ فنصبوا الموازين الصحيحة الدقيقة، ووزنوا بالقسط،

1- يوسف: 58.

2- الحجر: 62.

3- الذاريات: 25.

4- التحل: 83.

5- الرحمن: 09.

أ. حسان موهوبي ..... ملامح الناصيل القرآني  
ووضعوا كلاً في موضعه، وكلّ ذي وزن وزنه، لكنّهم أجمعوا على أنّه لا يجوز التّجاوز عن  
الحّد المطلوب، وقالوا: إنّ الإفراط في الجرح من أقبح القبائح التي حرّمها الشّارع، قال الله  
تعالى: ﴿يُحِبُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾<sup>1</sup>.

و إذا بحثنا عن نشأة التّقد أو الفحص، فإنّنا نجد أنّ القرآن الكريم كان منهاجاً في النقد  
للأخبار؛ حيث أشار إلى ذلك قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ  
فَتَبَيَّنُوا...﴾<sup>2</sup>، فالآية الكريمة تأمرنا بالتّثبت في قبول الأخبار، وهو ما قام به المحدثون، ولا  
شك أنّ التّثبت والفحص أحد مراحل التّقد الموضوعي والعلمي.

و إذا كان هناك من تعليق على هذه الآية الكريمة، فهو أنّه قد اتّضح أنّ القرآن الكريم  
أشار بأسلوبه الخاصّ إلى مرحلة من مراحل التّقد وهو الفحص، وقد استعمل أيضاً الخطوة  
الثّانية، وهي إصدار الحكم. والدّليل على ذلك وجود بعض ألفاظ التّعديل وألفاظ التّجريح  
في القرآن الكريم أيضاً، منها على سبيل الإشارة للتّعديل قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ  
الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالُهُمْ يُبْتَغُونَ فُضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ  
أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾<sup>3</sup>، وفي التّجريح قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾<sup>4</sup>  
فوصف المنافقين بأنّهم "كاذبون" وتجرّح لهم، ووصف الفقراء المهاجرين بأنّهم "هم  
الصّادقون" تزكية وتعديل لهم من الله تعالى.

ومن اللّطائف، إشارة نقاد الرّجال - وبأسلوب القرآن الكريم - إلى الجرح وعدم  
التّزكية في قولهم المقتبس منه في حيز الرّأي المجرّح عندهم بـ "الله المستعان"، والشّواهد  
كثيرة ومنتشرة في الميزان للذهبي ولسان الميزان وتهديب التهذيب لابن حجر وغيرهما.

1- المحررات: 12.

2- المحررات: 06.

3- الحشر: 08.

4- المنافقون: 01.

أ. حسان موهوبي ..... ملامح الناصيل القرآني  
و يشهد لاستعمال هذه العبارة في سياق التّجريح أو عدم التّركية، ما جاء في القرآن  
الكريم في سورة يوسف من قول الله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام حين أخبره أولاده بأن  
يوسف أكله الذّئب، قال: ﴿ بل سوّلت لكم أنفسكم أمرا فصير جميل والله المستعان على  
ما تصفون <sup>1</sup> ﴾، وما جاء في آخر سورة الأنبياء ﴿ قال ربّ احكم بالحقّ وربنا الرحمن  
المستعان على ما تصفون <sup>2</sup> ﴾. كما دلّل بذلك الشّيخ المرحوم عبد الفتاح أبو غدة في تعليقه  
الحافل على كتاب الرّفّع والتّكميل في الجرح والتّعديل للإمام اللّكنوي <sup>3</sup>، ثمّ ثنى عليه بما  
يشهد لاستعمال هذه العبارة من السّنة بالمعنى المذكور بما جاء في حديث الإفك الذي رواه  
الإمام البخاري في صحيحه في " باب تعديل التّساء بعضهنّ بعضا " من كتاب الشّهادات <sup>4</sup>،  
وفي باب ﴿لولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلّم بهذا...﴾ من تفسير سورة التّيسور،  
وفيه قول السيّد عائشة -رضي الله عنها- في دفع حادثة الإفك عنها، قالت: « والله ما  
أجد لي ولكم مثلا إلا قول أبي يوسف: ﴿ فصير جميل والله المستعان على ما تصفون <sup>5</sup> ﴾.  
و قال الشّيخ أبو غدة -رحمه الله-: « ولتحقق هذا المعنى -المشار إليه في عبارة " والله  
المستعان " - ترى المحدثين والمؤرّخين حين يذكرون خيرا كاذبا، أو راويا دجّالا، أو مدّعيّا  
الصّحبة لرسول الله صلى الله عليه وآله، أو التّعمرير في أزمان متأخّرة، يتبعون كلامهم عليه أو يخطّمونه بقولهم:  
" والله المستعان " أو " فالله المستعان "، إيدانا بكذبه، أو كذب ما ذكر قبل هذا الختام، أو بأنّه  
شبيه بالكذب <sup>6</sup> ».

1- يوسف: 18.

2- الأنبياء: 112.

3- انظر: ص 175 حاشية.

4- في باب 15، أنظر فتح الباري 272/5

5- من كتاب التفسير باب 6 راجع فتح الباري 454/8.

6- عن الرّفّع والتّكميل حاشية ص 175 وما بعدها.

أ. حسان موهوبي ..... ملامح التاصيل القرآني  
ثم إليك من الشواهد في مظان كتب التراجم والرجال ما جاء في تهذيب التهذيب لابن حجر<sup>1</sup> ( ترجمة مقاتل بن سليمان صاحب التفسير ): « قال وكيع: أردنا أن نرحل إلى مقاتل فقدم علينا، فأثينا فوجدناه كذابا، فلم نكتب عنه، وقال: سمعت من مقاتل، ولو كان أهلا أن يُروى عنه لروينا عنه، سمعت من مقاتل، فالله المستعان! ».

فقد جاء قوله: " فالله المستعان " معادلا لقوله في البداية: " كذاب " أو لقوله من بعد: " لو كان أهلا ... " والتي معناها أنه هالك تالف<sup>2</sup>.

و يقول الذهبي في ترجمة إبراهيم بن عثمان الكاشغري من ميزانه: « مات سنة 645، حدثونا عنه، وانفرد في زمانه بالغلو، فيه تشيع، وفي دينه رقة، والله المستعان »<sup>3</sup>.

و في ترجمة محمد بن عيسى القرشي، قال صالح بن محمد: « قال لي محمود ابن بنست محمد بن عيسى: هو -أي الحديث المتكلم فيه- في كتاب جدّي: عن إسماعيل بن يحيى عن ابن أبي ذئب، قال صالح: -و إسماعيل كان يضع الحديث- فحدثت محمد بن يحيى الذهلي بهذه القصة، فقال: الله المستعان! »<sup>4</sup>.

ثم من قولهم في الراوي الضعيف: " ليس بشيء " قال منه الحافظ ابن حجر في الفتح في باب: « قل أي شيء أكبر شهادة قل الله: » « والشيء يساوي الموجود لغة وعرفا، وأما قولهم: " فلان ليس بشيء " فهو على طريق المجاز والمبالغة في الذم، فلذلك وصف بصفة المدوم »<sup>5</sup>.

1- تهذيب التهذيب 283/10.

2- عن المرحوم أبو غدة في تعليقه على الرّفيع والتكميل ص174.

3- ميزان الاعتدال في نقد الرجال 48/1.

4- ميزان الاعتدال في نقد الرجال 678/3.

5- عن الرّفيع والتكميل ص142، وانظر فتح الباري 340/13-341.

أ. حسان موهوبي ..... ملامح التأصيل القرآني  
لكن من لطيف التوفيق في هذا التعبير - ليس بشيء - أنه جاء في لسان النبوة للجرح  
والتضعيف؛ فقد جاء مسندا إلى عائشة - رضي الله عنها - قالت: « سأل أناس رسول الله  
ﷺ عن الكهّان، فقال لهم رسول الله ﷺ: ليسوا بشيء »<sup>1</sup>.

و كما رُصدت اقتباسات أخرى من ألفاظ القرآن الكريم للتوهمين في ميدان تجريح الروايات؛  
كناية عن الكذب والوضع في الحديث، كان قد جمعها الأستاذ الدكتور سعدي المشمي في  
كتابه المتبع " شرح ألفاظ التّجريح التّادرة ... " <sup>2</sup> كمثّل قوّمه: فلان " هو عصا موسى  
تلقف ما يأفكون "، قال: وهو لفظ توهمين انفرد به مُطّين أبو جعفر محمّد بن عبد الله  
الحضرمي ( ت 297هـ ) في تجريح محمّد بن عثمان بن أبي شيبة به؛ فقال عنه: « هو عصا  
موسى يتلقف ما يأفكون »<sup>3</sup>، فهو لفظ تجريح؛ كناية عن الكذب والوضع في الحديث، وقد  
أخذ هذا المعنى من القرآن الكريم؛ من وصف الله تعالى لعصا موسى بقوله: « فألقى  
موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون »<sup>4</sup>؛ فكما أن عصا موسى لما ألقتها بوحي من  
الله ﷻ انقلبت إلى أفعى كبيرة تلقف ما يأفكون، أي: تحطّفه وتجمعه من كلّ بقعة وتبتلعسه،  
فلم تدع منه شيئا<sup>5</sup>، وكانت تحطّف وتجمع ما صنعه السحرة من كذب وباطل<sup>6</sup> وتضليل،  
كما وصف الله تعالى ذلك بقوله في سورة " طه " ( الآيات من 66 إلى 69 )، فكذلك محمّد  
بن عثمان بن أبي شيبة، كان يتلقف - على قول التّقاد - كلّ حديث بساطل وكذب،  
واللقف: تناول الشيء يُرمى به إليك، ورجل لَقَف ثَقْف، أي: سريعا الأخذ لما يُرمى إليه  
باليد...<sup>7</sup>

1- عن المرحوم أبو غدة في تعليقه على الرّفع والتكميل ص 1

2- راجع: ص 83 إلى 90.

3- انظر: سير أعلام النبلاء 22/14.

4- الآية من سورة الشعراء: 45.

5- كما ورد ذلك عن ابن كثير في تفسيره 647/2.

6- وهو المعنى اللغوي الوارد في لسان العرب 390/10.

7- راجع هذه المعاني في لسان العرب 320/9. وتاج العروس 248/6.



أ. حسان موهوبي ..... ملامح التفاصيل القرآني  
 و منه أيضا قولهم: " حمالة الخطب "، حيث استعمل هذا اللفظ يحيى بن معين في تخریج  
 التضر بن منصور الباهلي أبي عبد الرحمن الكوفي؛ قال عثمان بن سعيد الدارمي: « قلت -  
 أي ليحيى بن معين - : التضر بن منصور العتزي، تعرفه؟ يروي عنه ابن أبي معشر، عن أبي  
 الجنوب عن عليّ رضي الله عنه، من هؤلاء؟ فقال: هؤلاء حمالة الخطب <sup>1</sup>. وبين ابن أبي حاتم السبزي  
 في كتاب الجرح والتعديل مراد يحيى بن معين في قوله هذا -حمالة الخطب-، فقال بعد  
 روايته الخير: « يعني أنهم ضعفاء <sup>2</sup> ».

و يرجع المعنى من " حمالة الخطب " إلى أم جميل بنت حرب؛ امرأة أبي لب وأخت أبي  
 سفيان التي ذكرها الله تعالى في سورة " المسد"، كما يضرب به المثل في الخسران؛ فيقال: "  
 أخسر من حمالة الخطب "، أما مراد ابن معين بهذا التعبير القرآني فواضح بين من أنه في  
 تضعيف الراوي المنعوت بهذا التعت. اهـ . وهو كذلك حيث رصد النقاد لابن معين تخریجه  
 لهذا النظر بأقوال أخرى منها: "منكر الحديث" <sup>3</sup>.

### العرض: وهو القراءة على الشيخ حفظا أو من كتابه

و كانت الرواية بما سائفة عند أهل العلم والمحدثين مع اشتراطهم أن يكون المحدث حافظا  
 لما يقرأ عليه من مروياته أو يقابل بما يقرأ عليه أصله، ويجوز أن يكون الأصل بيد أحد  
 التلاميذ، إلا أنه دون السماع من لفظ الشيخ.

وروى الحاكم في " معرفة علوم الحديث" <sup>4</sup> من طريق مطرف بن عبد الله قال: «صحبت  
 مالكا سبع عشرة سنة، فما رأيته قرأ الموطأ على أحد، وسمعته يأبى أشد الإباء على من  
 يقول: " لا يجزيه إلا السماع"، ويقول: كيف لا يجزيك هذا في الحديث ويجزيك في القرآن

1- انظر: تاريخ عثمان الدارمي عن يحيى بن معين ص220، 221 ترجمة رقم 828 وكتاب المجرحين لابن  
 حبان 50/3، ومذهب التهذيب 445/10، والجرح والتعديل للرازي 479/8.

2- الجرح والتعديل 479/8

3- حكاية الساجي في الضعفاء عن ابن معين، انظر مذهب التهذيب، 10 / 445

4- معرفة علوم الحديث للحاكم 259، وأخرج التصحيف أيضا: الخطيب البغدادي في الكفاية 306 وما بعدها.

أ. حسان موهوبي ..... ملامح التفاصيل القرآني  
 والقرآن أعظم؟!». وهذا احتجاج بجواز المحدثين لطريق التَّحَمُّل للحديث بالقراءة على  
 الشيخ أحاديثه؛ فقد انتهجوا هذا الوجه من أنواع التَّحَمُّل الثمانية، وعملوا به في أخذ  
 الحديث وتبليغه، وشاع عندهم في القرن الثاني شيوعاً من منذ عهد الأئمة: الزهري، مالك بن  
 أنس والشافعي، وبتوا معهودهم به حتى فضله مالك من بين أضرب السَّماع الأولى  
 المختلفة، وكل ذلك بالاحتجاج في جواز القراءة بعرض القرآن الكريم قياساً<sup>1</sup>.

### الفسق: سلبه للعدالة

أصل الفسق: الخروج عن الاستقامة، والجور، وبه سمي العاصي فاسقاً.  
 ولقد دلَّ القرآن على نفي خير الفاسق، وفي الشرع: العصيان والتَّرك لأمر الله يُذِّدُ ،  
 والخروج عن طريق الحقِّ وقد يكون الفسوق شركاً وإثماً.  
 وقال ابن حبان: « من المجروحين المعلن بالفسق والسَّفه، وإن كان صدوقاً في روايته؛  
 لأنَّ الفاسق لا يكون عدلاً، والعدل لا يكون مجروحاً، ومن خرج عن حدِّ العدالة لا يُعتمد  
 على صدقه وإن صدق في شيء بعينه في حالة من الأحوال، إلا أن يظهر عليه ضدُّ الجرح،  
 حتى يكون أكثر أحواله طاعة الله يُذِّدُ فحينئذ يُحتجَّ بخبره، فأما قبل ظهور ذلك عنه فلا»<sup>2</sup>.  
 ويقول مسلم في مقدِّمة صحيحه: « إنَّ خير الفاسق غير مقبول، وإنَّ شهادة غير العدل  
 مردودة، والخبر وإنَّ فارق معناه معنى الشَّهادة في بعض الوجوه، فقد يجتمعان في أعظم  
 معانيها؛ إذ كان خبر الفاسق غير مقبول عند أهل العلم، كما أنَّ شهادته مردودة عند  
 جميعهم »<sup>3</sup>.

1- راجع تفاصيل هذه المسألة في رسالتنا: مالك بن أنس وآراؤه الحديثية -رواية ودراسة- ص119-125.  
 2- كتاب المجروحين 79/1. وراجع مقدِّمة ابن الصَّلاح 94، والكفاية 135 وما بعدها، وتوضيح الأفكار  
 118-117/2.  
 3- مقدِّمة صحيح مسلم 09.

## الإرسال والمرسل من الحديث: <sup>1</sup> إطلاق وإهمال

يُجمع " المرسل " على مراسيل ومراسل، ويمكن رصد معاني هذا اللفظ بالنظر إلى اشتقاقاته المختلفة؛ حيث وردت مادة " رسل " على عدة معان؛ منها:

### 1-الإطلاق والإهمال:

و هذا المعنى وارد في مثل عبارة " أرسل الشيء "، كقوله تعالى: ﴿ ألم تر أننا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزّهم أزاً <sup>2</sup> ﴾، قال الزجاج: « في قوله: " أرسلنا " وجهان؛ أحدهما: أنا خلقنا الشياطين وإياهم فلم نعصمهم من القبول منهم»، قال: « والوجه الثاني - وهو المختار-: أنهم أرسلوا عليهم، وقبضوا لهم بكفرهم كما قال تعالى: ﴿ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقبض له شيطاناً <sup>3</sup> ﴾، ومعنى الإرسال هنا: التسليط <sup>4</sup> .

و هذا الإطلاق وعدم التقييد، والإهمال، يمكننا أن نلمسه في " الحديث المرسل "؛ فكأن من أرسله أطلق الإسناد، ولم يقبده براو معروف.

### 2-القطع من كل شيء: قطع بعد قطع:

و هذا ما يفيدُه لفظ " المرسل "؛ بفتح الراء والسين، جمعه أرسل.

و المرسل: قطع من الإبل قدر عشر، يرسل بعد قطع.

و أرسلوا إبلهم أرسلالا، أي: قطعاً.

و جاءوا برسلة رسالة، أي: جماعة جماعة. وإذا أورد الرجل إبله متقطعة، قيل: أوردوها

أرسالا، فأما إذا أوردوها جماعة، قيل: أوردوها عمراً <sup>5</sup>. وهذا الورد بالكيفية المذكورة، يدلّ

1 - في المرسل والمراسيل بحوث عديدة، وللذكور مكّي اقلاية بحث طيّب في موضوع هذه المعاني؛ اعتمدنا عليه هنا، راجعها في كتابه: " المراسيل وموقف الأئمة منها "

2- مرجم 83

3- الزحرف: 36.

4 - كما في لسان العرب لابن منظور: 285/11.

5- كما في لسان العرب: 281/11.

أ. حسان موهوبي ..... ملامح التأصيل القرآني  
 على عدم اتصال الجماعتين ببعضها ببعض؛ فكأنه تُصوّر من هذا اللفظ الانقطاع، ف قيل  
 للحديث الذي قُطع إسناده وبقي غير متصل: "مرسل"؛ أي أنّ الراوي لم يلق المروي عنه  
 ولا لحقه أهـ.

وصفوة القول، وبعد هذه اللمحات القرآنية والاستلهام من مصادر هذا البحث أن الجلل  
 الدائر من المفاهيم في مباحث هذا الفن ومصطلحاته على ألسنة أربابه هناك ما يؤصلها من  
 لغة القرآن وآي الكتاب المجيد.

وهذا ما يلمسه المتبع لثنايا الموضوع الذي نأمل أن يكون إلتفاتة طيبة ونواة خير في  
 ميدان التأصيل القرآني للموضوعات الإسلامية والشرعية.

المكتبة الرقمية  
 عبد القادر للعلوم الإسلامية  
 جامعة الأمير عبد القادر



البنية السردية ودلالاتها في القصة

القرآنية - قصة موسى أنموذجا

أ. عائشة رماش

جامعة باجي مختار - عنابة

إن الموضوعات العديدة التي يحتويها القرآن الكريم من قصص وأحكام وعقائد... جعلته لا يخل على طلابه مهما تعددت منابعهم واختلفت مشاربهم ورغباتهم وحاجاتهم، فالأدباء وعلماء النفس يستكشفون من خلاله عالم النفس، وتداعي المعاني، وكذا علماء الأخلاق، والتشريع والمفكرون، كل يجد في القرآن ضالته. ويكفي القرآن فضلا كونه أعظم نص وتراث أدبي ولغوي وعلمي، فالقرآن إذن يسع الجميع ما وسعت السماوات والأرض. ولذلك قررت أن أخوض في موضوع القصص القرآني بتطبيق أحدث المناهج وهو البنية الشعرية، وقررت أن أسلك هذا المنحى على وعورته في البحث والدراسة، زد على ذلك الأهمية التي تكتسيها القصة القرآنية حيث شغلت القسم الأكبر من كتاب الله تعالى (ما يقارب الربع إن لم يزد عليه) ولا غرو في ذلك؛ إذ القصة القرآنية لم تأت لتقرر هدفا واحدا، بل كانت لها أهدافها العديدة، من تربية للنوع الإنساني، وترسيخ العقيدة في النفوس، والسمو بالإنسان، وتقرير الكثير من الحقائق العلمية المتعلقة بالكون والإنسان، والتركيز على ما يكفل للحياة الاجتماعية سعادتها وسلامتها في معاشها ومعادها، عدا ما فيها من رونق الأسلوب، وبديع النظم، وجمال الصورة.

أ. عائشة رماش..... البنية السردية  
"ولقد حدد القرآن الكريم فضاء دلاليا خاصا للفعل قص، وضمن هذا الفضاء السدي تحول إلى معيار قيمة نظمت شؤون القص بوصفه فعالية إخبارية عند العرب ... فهو الخبر المقيد بالدقة والصواب والحق واليقين والاعتبار والتدبير والحسن. هذا هو القص السدي أسس القرآن وجوده في الأدب العربي وأصبح هذا الفضاء الدلالي هو الذي يحدد القيمة الاعتبارية للقص"<sup>1</sup>.

فالقصص هو مجموع الكلام المشتمل على ما يهدي إلى الدين ويرشد إلى الحق ويأمر بطلب الفوز والنجاة، وقد أشتمل القصص القرآني على كثير من أخبار البلاد والعباد، وتتبع آثارهم، فحكى صورة ناطقة لما كانوا عليه.

وبهذا فإن القصص القرآني ليس كما زعم بعض المستشرقين ومن منح فهمهم، من أنه عبارة عن خيالات مصطنعة وملفقة مختلفة، بل هو حقائق واقعية وأحداث ذكرها القرآن الكريم كما حدثت بالفعل. وينطوي القرآن الكريم على العديد من القصص منها: قصص الأحداث الغابرة، قصص السيرة النبوية، وقصص الأنبياء السابقين.

وترد قصص الأنبياء في القرآن كجزء من نسيجه الديني "بمعنى أن القصة في القرآن ليست عملا فنيا مستقلا في موضوعه، وطريقة عرضه، وإدارة حوادثه، شأن القصة الفنية الحرة. إنما ترد القصة في القرآن مقيدة بغرض ديني، وترد أساسا للدعوة أو الدعاية لهذا الغرض الديني. ولقد كان المفروض طبقا لهذا التقيد أن تجيء القصص خالية من القيمة الفنية<sup>2</sup>؛ إلا أننا نرى العكس، فالقرآن حين يقوم بعرض قصص الأنبياء نراه " يأخذ مواد القصص من أحداث التاريخ ووقائعه، ولكنه يعرضها عرضا أدبيا، ويسوقها سوقا عاطفيا؛ يبين المعاني، ويؤيد الأغراض، ويؤثر بها التأثير الذي يجعل وقعها على الأنفس وقعا استهوائيا، يستثير منها العاطفة والوجدان"<sup>3</sup>. وللقصص القرآني بعد هذا كله فوائده وأغراض كثيرة منها،

1- عبد الله إبراهيم، السردية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت ط1 سنة 1992ص 25.

2- أحمد مجت، أنبياء الله، دار الشروق بيروت ط11 سنة 1983ص 49.

3- محمد أحمد خلف الله، الفن النقصي في القرآن الكريم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3ص 122.

أعائشة رماش.....البنية السردية  
العبرة والعظة، إيضاح أسس الدعوة إلى الله وسيرة النبيين وأساليبيهم مع أقوامهم، مقارعة  
أهل الكتاب بالحجة الدامغة، تثبيت فؤاد الرسول(ص) وأمته بعده، وإظهار صدقه في  
دعوتيه ورسالته. والقصص القرآني بعد هذا كله أيضا ضرب من ضروب الأدب  
والبيان الرفيع اتبعه الله سبحانه وتعالى لتبليغ أوامره ونواهيه عن طريق الوحي، فعرض  
أحداث الماضي المتتالية في قالب سردي رائع يضيء لنا جانبا من حياة الأقسام الأولين  
وطباعتهم وطريقة تعاملهم، في حيز زمكاني يذكر صريحا أو يفهم ضمنا وأحيانا يكون ذكر  
المكان منعما ليترك الفرصة للقارئ كي يتخيل المكان الذي يصبح أية فسحة مكانية من  
الكون. كل هذا ضمن ترتيب حدثي تحركه شخصيات في جو من الصراعات المتكررة  
والمختلفة مضية عليه طبيعة خاصة، فالصراع هو الذي يتحكم في سير الأحداث وهو الذي  
يتحكم في المنطق السردى القصصي، ثم يأتي الجانب الشكلي اللغوي الذي يتدخل بدوره في  
تحديد الأسلوب السردى القصصي للأحداث وصراع الشخصيات.

### - المنطق السردى في القصص القرآني:

بعد دراستنا لمجموعة من القصص القرآني خرجنا بما يلي:

- أن القرآن لا يتناول القصة من جميع أطرافها وأنه لا يتسلسل في إيراد حدوثها منظمة  
مرتبة ويتضح من ذلك أن البنية الكبرى للنص ترتبط بموضوعه الكلي؛ إذ تتجلى في ضوئها  
تلك الكفاءة الجوهرية لتكلم ما، والتي تسمح له بأن يجيب عن سؤال مثل: عم كان  
الكلام؟ أو ماذا كان هدف هذا الحوار؟ حتى بالنسبة لنصوص طويلة ومعقدة. هذه الكفاءة  
في استنتاج الموضوعات ووصف أهداف النص أو تقديم ملخصات له هي التي تسهم في  
كشف أبنيته<sup>4</sup>. فالقرآن يأخذ من القصة ما يحقق غرضه من التهذيب والوعظ والإرشاد.

4 - صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، صفر 1413 هـ - آب 1992 المجلس  
الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ص 260.

أ. عاتشة رماش..... البنية السردية  
 والمتصفح لكتاب الله تعالى يرى أن القصة القرآنية لم تلتزم طريقاً واحداً من حيث الطول  
 والقصر والإجمال والتفصيل، فهناك القصة المفصلة، كما في قصة موسى -عليه السلام- في  
 سورة الأعراف، وقصة نوح -عليه السلام- في سورة هود. وهناك القصة المجلدة كما في  
 قصة نوح -عليه السلام- في سورة الأعراف، وقصة موسى في سورة هود فلقد أجملت كل  
 من السورتين ما فصلته الأخرى. وهاتان تقنيتان معروفتان في السرد وهما تقنية التلخيص أو  
 الحذف، وتقنية التصوير المفصل. "ويلاحظ أن مستوى الزمن والصيغ يتصلان بالعلاقة بين  
 القصة والحكاية، أما الصوت فهو يشير إلى العلاقة بين القصة والحكاية والقصة. وتحليل البنية  
 الزمنية على مستويين: أحدهما زمن الشيء المحكي، والثاني زمن القصة ذاته، أي زمن المدلول  
 وزمن الدال. وهذه الثنائية ليست مسؤولة فحسب عن جميع الانحرافات الزمنية الملاحظة في  
 القصص، حيث لا تستغرق عدة سنوات من حياة البطل مثلاً أكثر من جملتين في القصة بل  
 تدعونا إلى التحقق من أن إحدى وظائف السرد كما يقول بعض النقاد -هي تحويل الزمن  
 إلى زمن آخر-"<sup>5</sup>.

والقصة القرآنية سواء أكانت جملة أم مفصلة، قصيرة أم طويلة جاءت تفي بالغرض  
 الذي سبقت من أجله، وقصر القصة لا يشعر القارئ بشيء من النقص بل ربما وجدت في  
 القصة القصيرة ما لم تجده في غيرها، ولعل خير مثال على ذلك قصة نوح -عليه السلام- في  
 سورة العنكبوت.

- عند قراءتنا للقصص القرآني نتبادر إلى أذهاننا ملاحظة جديرة بالتسجيل ألا وهي: أن  
 القصة القرآنية تختلف من قصة إلى أخرى فمنها ما لم يذكر إلا مرة واحدة ومنها ما ذكر  
 أكثر من مرة. "ومع احتمالات تكرار الأحداث المروية في زمن الحكاية، وتكرار الأقوال  
 القصصية في زمن القصة فإنه من الممكن استخلاص أربع إمكانيات بشكل رياضي هكذا:  
 (حدث مكرر أم لا × قول مكرر أم لا)، أي أن القصة يمكن أن تروى مرة واحدة ما حدث



أ. عائشة رماش..... البنية السردية

ذات مرة أو مرات عديدة، ويمكن أن تروي مرات عديدة ما حدث مرة واحدة أو مرات عديدة<sup>6</sup>. "ومن الواضح أن الفرق بين هذه الأحوال لا تخضع لمجرد إمكانيات التعميم والتجريد، بقدر ما تؤدي من وظائف أسلوبية في بنية القصة ذاتها، فتشير إلى تغيير في المنظور أو اختلاف في التفاصيل وإيقاع الأحداث بالنسبة لما يقابلها من مساحات سردية"<sup>7</sup>.

من مرة في كتاب الله كانت ذات صلة وثيقة بقضية الدعوة والدعاة لله تعالى، أما التي ذكرت مرة واحدة فمع سمو الحقائق التي قررتها وما فيها من مناهج تربوية وغايات رائدة، إلا أنها لم تكن تتحدث عن مجال الدعوة وعمما كان بين الأنبياء - عليهم السلام - وأممهم وما لاقاه هؤلاء من أولئك، إنما كان حديثها في مجالات اجتماعية وجوانب إنسانية، وقسم خلقية تمد الباحثين والعلماء بقبس لا يخجو على مدى الدهر"<sup>8</sup>.

وقد يظن البعض لأول وهلة، أن القصص الذي لم يذكر كثيرا في كتاب الله تعالى، قليل إذا ما قيس بغيره مما ذكر مرات عديدة، لكن الأمر على عكس ذلك، فقصة يوسف عليه السلام ذكرت مرة واحدة، وقصة موسى مع العبد الصالح والتي جاءت في سورة المسائدة، ومع قومه في ذبح البقرة، ومن هذا القبيل ما جاء في شأن يحيى وعيسى عليهما السلام حيث ذكرتا مرتين إحداهما في سورة مريم والأخرى في سورة آل عمران، وما جاء في شأن يونس، وما كان من خير أيوب وداود وسليمان، فلقد ذكر خير أولئك مفرقا على عدة سور حيث خصت كل سورة بجانب يتلاءم مع موضوعها وشخصياتها. إلا أن هناك قصة واحدة خرجت عن هذه القاعدة، وذكرت أكثر من مرة وليس لها صلة مباشرة بالدعوة والدعاة، وهي قصة آدم، لكننا إذا عرفنا أن القصة جاءت تكلمنا عن النواحي الفطرية والجوانب الرئيسية في حياة الإنسان، وعن الاستعدادات والغرائز التي تتكون منها طبيعته أدركنا سر ورودها في أكثر من سورة.

6- المرجع نفسه ص 305.

7- المرجع نفسه ص 305.

8- فضل حسن عباس، القصص القرآني إبحاره ونفحاته، شركة الشهاب، د. ط سنة 1989 ص 23.

أعائشة رماش..... البنية السردية  
والملاحظة التي يمكن تسجيلها على القصص القرآني أيضا هو أن الأنبياء الذين لاقوا  
العنت من قومهم وتعملوا المشاق كإبراهيم ونوح وصالح وهود وشعيب وموسى وعيسى  
-عليهم السلام- هم اللذين ذكرت قصصهم أكثر من مرة. كما أن هناك قصصا لغير  
الأنبياء أو لمن اختلفوا في نبوءتهم، وهذه لم تذكر إلا مرة واحدة كقصة ذي القرنين ولقمان  
ونبأ بني آدم وقصة أهل الكهف وخير المائدة التي طلبها الحواريون وأصحاب الجنة ومع ما  
تعطيه هذه القصص من قيم ومع ما فيها من عظات وفوائد من تربية، وسياسة واجتماع  
وحكم وغير ذلك من المجالات الحيوية المفيدة إلا أنه اكتفى بذكرها مرة واحدة لأنها تؤدي  
الغرض الذي وظفت من أجله من غير أن تذكر مرة ثانية.

بالإضافة إلى هذا كله فإننا نلاحظ أن بعض السور القرآنية التي لم تذكر إلا مرة واحدة،  
ذكر فيها أكثر من قصة، نجد هذا في سورة الكهف مثلا، فلقد انفردت بثلاث قصص لم  
تذكر في سواها وهي قصة أهل الكهف، قصة موسى مع العبد الصالح، وقصة ذي القرنين،  
إلا أن الشيء الذي يمكن تسجيله على القصص التي ذكرت أكثر من مرة أنه لا توجد قصة  
واحدة ذكرت في سورتين اثنتين بنفس الطريقة، بل نجد في القصة ما لم يجيء في الأخرى،  
ففي كل قصة من المشاهد والجزئيات والأحداث ما انفردت به السورة التي ذكرت فيها هذه  
القصة، والقضايا المشتركة التي اقتضاها السياق لم تأت على أسلوب واحد وفي معظم  
الأحيان يأخذ من القصة بعضا لأن في هذا البعض ما يستغني به عن الإطالة اعتمادا على أن  
القصة معروفة مشهورة. "فالمعلومات السردية عديدة الدرجات، والقصة يمكن أن تقدم  
للقارئ كل أو بعض هذه المعلومات بشكل مباشر أو غير مباشر أي مع المحافظة على  
مسافات تختلف في قربها أو بعدها من حالة إلى أخرى، كما يمكن تدرج هذه المعلومات تبعا  
لدرجة معرفة الشخصيات المشاركة في الحدث بها، حيث تقوم "رؤيتها" أو "نقطة رصدها"  
و"وجهة نظرها" بتحديد منظور الأحداث المروية مما ينتج لدينا مصطلحين في صيغ السرد

أعائشة رماش..... البنية السردية

هما "البعد DISTANCE" و"المنظور PERSPECTIVE" تتحدد على أساسهما المعلومات التي يقدمها النص السردى"<sup>9</sup>.

وستتناول فيما يلي أتمودجا تطبيقيا تتجلى فيه بوضوح النقاط التي سبق ذكرها ويتمثل في قصة موسى - عليه السلام -:

### البنية السردية ودلالاتها في قصة موسى عليه السلام:

إن المنهج المطبق في تحليل القصة هو منهج الشعرية النبوية وهو منهج تودوروف "الذي استلهمه من "جاكوبسون". والمنهج ينظر إلى النص كبنية كلية ثم يقسم النص إلى مستويين:

**مستوى سردي هيكلي:** ويسمى مستوى القصة: وهذا المستوى ينظر إلى القصة على أنها أحداث متتالية متتابعة سواء أكانت واقعية أم متخيلة وهو ما اصطلح عليه "متتالية حديثة" كما يرى القصة أحداثا مروية قد تتألف من خلال مقطوعة واحدة أو من خلال مجموعة من المقطوعات التي يربطها خيط معين. وسواء تكونت من مقطوعة واحدة، قصيرة أم طويلة فالمقطوعة تشكل وحدة موضوعاتية أي أن كل مقطوعة تقدم موضوعا بعينه تتسلسل عبرها الأحداث.

والتحليل على مستوى القصة ينقسم إلى قسمين:

**الأول:** مستوى منطق الأحداث أي طريقة تركيب الأحداث.

**الثاني:** مستوى الشخصيات وعلاقتها.

**مستوى الخطاب:** ويعتبر تودوروف السرد من حيث هو خطاب وحسب كلام واقعي موجه من طرف السارد إلى القارئ، ويفصل في طرائق الخطاب بين مجموعات ثلاث: زمن السرد الذي يتم التعبير من خلاله عن العلاقة بين زمن القصة وزمن الخطاب؛ ومظاهر السرد

9- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص ص305.

أ. عائشة رماش..... البنية السردية  
أو الكيفية التي تدرك بها القصة من طرف السارد؛ وأتماط السرد التي تتوقف على نوع  
الخطاب المستعمل من طرف السارد من أجل إبلاغنا القصة<sup>10</sup>.

وقصة موسى لا تعتبر عملاً فنياً مستقلاً في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه، كما  
هو الشأن في القصة الفنية البشرية، إنما هي كغيرها من القصص القرآني، وسيلة من وسائل  
القرآن الكثيرة في التعبير عن غرضه الديني، فإذا نظرنا إلى القرآن نجد كتاب دعوة دينية قبل  
كل شيء وما القصة إلا وسيلة من وسائله لإبلاغ هذه الدعوة.

ونتيجة لذلك نجد قصة موسى قد خضعت في موضوعها وإدارة حوادثها وشخصيتها  
إلى هذا الغرض الديني، ولكن هذا الخضوع والانقياد المطلق للغرض الديني، لا يعني خلو  
القصة من الخصائص الفنية في عرضها، فالسرد القرآني يؤلف بين الخاصيتين (الديني، الفني)  
إذ إلى جانب غرضها الديني نرى أنها تخضع لمنهج فني، فهي قصة فنية تحوي حكمة معجزة.

#### 1- الشخصيات وعلاقتها:

الشخصية هي المحرك الأساسي للأحداث، وقد تقوم الأحداث نفسها بتحريك  
الشخصيات؛ إذ أن "معنى القصة لا يقوم أو يتضح في جزء من أجزائها دون الأجزاء  
الأخرى"<sup>11</sup>، فكلاهما يعرض جزءاً من الفكرة العامة صاعداً بما نحو الغاية المحددة.

ويفترض في الشخصية أن تتلاحم مع الفكرة العامة، وهذا ضمن علاقتها بالشخصيات  
الأخرى. وهذا ما يبرز جلياً في قصة موسى؛ إذ في إطار ما يسمى بالرغبة والتواصل رأينا  
الشخصية تمارس صفاتها وسلوكها صاعدة بالفكرة العامة إلى غايتها، فالشخصية وفعالها  
وعلاقتها تتلاحم مع الفكرة العامة وتكونان حبكة فنية رائعة.

والشخصية في حقيقتها ليست إلا مجموعة من العلاقات اللغوية يثها الكاتب في القصة  
بحسب تدبيرها، لذلك رأينا القصة قد أمدتنا بتصوير جديد في بناء الشخصية، لا سيما

10 - تزييطان تودوروف، مقولات السرد الأدبي، ترجمة، الحسن سبحان، فؤاد صفا مجلة آفاق، العدد 8  
سنة 1988/1989 ص42.

11 - رشاد ثابت، فن القصة القصيرة، دار العودة، بيروت ط2 سنة 1975 ص50.

أعائشة ومامش..... البنية السردية  
ملاحظتها الفنية. فالشخصيات كلها ناضجة ومركبة من حيث الأداء الفني، ومعنى ذلك أننا  
احتوت على أكثر من ظاهرة فنية منها: خروج الشخصية عن حيز إطارها الذاتي البشري،  
إلى محيط أدائها الفني في التركيب النبوي للقصة.

ومنها ما قدمته الشخصية بالإيجاءات الفنية من عظمة نافعة أو تصوير للبيئة أو رصد  
للظاهرة الحضارية، عمرانية كانت أم فكرية، ومنها ما كانت تنوره هذه الشخصية من السوان  
العاطفة المغروسة في النفس البشرية بصفة عامة، و تتميز الشخصية بخاصيتين مهمتين:  
الأولى: هي الحركية والثانية: هي التشيؤ والتعلق، أما التشيؤ Chosification فهو الحد من  
قيمة الشخص النفسية والاجتماعية وتقليص دوره في نظام القصة. في حين أن التعلق هو  
بروز الشخصية وتفاعلها ضمن شبكة من العلاقات الإنسانية (مع الشخصيات الأخرى)  
من جهة ومع الأشياء في القصة من جهة أخرى، فقيمة الشخصية لا تبرز من خلال تميزها  
وفرديتها بل تبرز ضمن علاقات ثنائية أو جماعية، ضدية أو متألقة توضح الشخصية وتذهب  
عنها اللبس، فشخصية موسى المؤمنة اتضحت أكثر عندما قوبلت بشخصية كافرة وهو  
فرعون، وشخصية موسى العصبية المندفعة اتضحت أكثر عندما قوبلت بحلم وهدوء الرجل  
الصالح وهكذا، ويرى تودوروف أن علاقات الشخصيات في كل سرد يمكن أن تقتصر  
دائما على عدد صغير، وأن شبكة العلاقات هذه تلعب دورا أساسيا في بناء العمل الأدبي

ويشارك جميع شخصيات القصة "في أن القرآن لم يقم وزنا لصفاتهم" ومميزاتهم الحسية،  
فلا طول ولا عرض، ولا لون بشرة، ولا ملامح ولا قسامات من كل تلك الصفات التي تميز  
الشخصية عن أخرى، والتي يلجأ إليها الباحث لجعل منها معالم يهتدي بها بين الأجسام  
والعقول<sup>12</sup>. وهذا لا يعني الغياب الكلي لصفات الشخصيات، بل هناك بعض الصفات  
والإيجاءات إلى هذا الجانب من مثل قوله تعالى: "واحلل عقدة من لساني"<sup>13</sup>.

12 - محمد أحمد خلف الله، الفن القصصي في القرآن الكريم ص 270.

13 - سورة طه الآية 27.

أ. عائشة رماش..... البنية السردية

و قوله تعالى "ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين"<sup>141</sup> من حيث دلالتها على لكتة موسى وغيرها من الأمثلة الإيحائية على هذه الصفات كثيرة.

إن تصرفات الأشخاص حيال الأحداث التي تلم بهم، تدلنا على عقليتهم ومزاجهم، مما جعلنا نلاحظ فروقا بين هذه الشخصيات، على هذا الأساس يعرفنا السرد القصصي على عدة نماذج إنسانية يرسمها في سهولة واختصار فما هي إلا جملة أو جملتين حتى يمثل النموذج الإنساني شخصا من خلال اللمسات وينتفض مخلوقا حيا خالد السمات.

ومن أهم ما تتميز به هذه النماذج الإنسانية المصورة في قصة موسى، الشمولية: حيث لا تبدأ من شخص بل من فكرة تصدق على نمط معين من الناس، إلى جانب هذه السمة هناك سمة ثانية وهي الصدق الواقعي والذي يظهر جليا في الواقعية الدقيقة للقرآن في تصوير الناس وكشف دخالهم وتحليل فكرهم وسلوكهم انطلاقا من معطيات الواقع لا من العلم الإلهي فقط. والملاحظ أن هذه النماذج في علاقاتها ببعضها تنقسم إلى باين كبيرين هما:

\*علاقات الصراع والتضاد، \*علاقات المساعدة والتناغم

**يندرج ضمن الباب الأول:** علاقة موسى بفرعون، علاقة موسى ببني إسرائيل، علاقة موسى بمامان وقارون، علاقة بني إسرائيل بفرعون، علاقة فرعون بزوجته.

الملاحظ أن هذه النماذج يغلب على علاقاتها ببعضها التنافر المستمر إلا أن رغبة كل واحد منهم في جذب الآخر إليه ووضع تحت سيطرته وبالتالي الخضوع لعقيدته، جعل هذه النماذج على اتصال مستمر يغلب عليه الصراع.

**يندرج ضمن الباب الثاني،** علاقة موسى بهارون، علاقة موسى بامرأة فرعون، علاقة موسى بالفتاتين وأبيهما، علاقة موسى بالعبد الصالح وهذه النماذج يبدو في علاقاتها مع بعضها الانسجام والمساعدة والتكامل حيث ظهرت بعض هذه الشخصيات في صورة

أعاشة رماش..... البنية السردية

المخلص المنقذ، وظهرت أخرى في صورة الحليم الرزين الذي يجنب موسى السقوط إثر الفشل ويبعث فيه الأمل بعد اليأس ويشد أزره في المواقف الصعبة (أخوه هارون، أب الفتاتين) وبرزت أخرى في صورة المعلم المرشد (العبد الصالح) وظهرت أخرى في صورة الأم الرؤوم (زوجة فرعون). ومن خلال تفاعل هذه النماذج مع بعضها البعض ومن خلال علاقاتهما استطعنا أن نقف على ثلاثة مستويات المستوى الأول في دراستنا هو مستوى العقائد.

1- **مستوى العقائد:** المجتمع لا يعيش تحت عقيدة واحدة بل اختلفت العقائد وتوعدت بين الكفر والإيمان والنفاق فبرزت بذلك ثلاث نماذج متصارعة هي كالتالي:

أ- **نماذج مؤمنة:** وتمثل في الشخصية الرئيسية موسى عليه السلام وشقيقه هارون والرجل المؤمن من آل فرعون، السحرة الذين نجروا لموسى ساجدين "فالتقى السحرة سجدا قالوا آمنا برب هارون وموسى"<sup>15</sup> ثم أم موسى وأخته وامرأة فرعون، كل هذه الشخصيات تتلاقى في مميزات مشتركة أهمها أنها نماذج طيبة شجاعة، كريمة، صابرة، باذلة، فاعلة، ثابتة، إيجابية.

ب- **نماذج منافقة:** وعلى رأس هذه النماذج تبرز شخصية بني إسرائيل، وهي من الشخصيات الجماعية التي آمنت برب موسى، ولكنها في كل مرة تنقلب على أعقابها لمريض في قلوبهم وزعزعة في نفوسهم وهذا النموذج يطلق عليه تسودوروف مصطلح "الظاهر والكائن" في مستوى العلاقات بين الشخصيات.

ج- **نماذج كافرة:** وتمثل لها بشخصية فرعون، هامان وقارون، وأتباعهم اللذين طغوا في الأرض وكفروا برب موسى، ولم يكتفوا بهذا بل ادعوا الربوبية وأقموا موسى بالسحر "ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر

أ. عائشة رماش..... البنية السردية  
كذاب<sup>16</sup> وهذا نموذج للتكبر والتجبر من قبل الكفار، كما يمثلون حالة العناد السخيف والكفر البغيض والطغيان. والملاحظ كما سبق وأن ذكرنا أن هذه النماذج يغلب على علاقاتها التنافر إلا أن رغبة كل واحد منهم في جذب الآخر إليه والسيطرة عليه وبالتالي الخضوع لعقيدته جعل هذه النماذج على اتصال مستمر يغلب عليه الصراع، أما إذا تركنا مستوى العقائد وحاولنا كشف علاقات الشخصيات من جانب أو على مستوى آخر وجدنا المستوى الاجتماعي خير من يبرز لنا علاقات الشخصيات ببعضها.

2- **المستوى الاجتماعي:** أول ملاحظة نسجلها على الشخصيات حسب هذا المستوى أنها تنقسم إلى ثلاث طبقات اجتماعية كل طبقة تربطها بالأخرى علاقات سنعمل على كشفها في حينها وهي كالآتي:

**الطبقة الأولى:** الطبقة العليا وتضم فرعون وملئه.

**الطبقة الثانية:** الطبقة الوسطى: ويمثلها موسى وهارون ومن تبعهما.

**الطبقة الثالثة:** الطبقة الدنيا: وهي الطبقة التي تعيش عيشة الذل والهوان ويمثلها بنو إسرائيل.

وهذه الطبقات تربطها فيما بينها علاقات جدلية، تراوحت بين الاستضعاف والسيطرة، الإذلال والاستعلاء، النصح والعتو، الطيبة والجحود...

فبنو إسرائيل نموذج للشخصيات الجماعية وأعني بها جماعة بشرية تتفق في جميع النواحي، في الأفكار والأحاسيس، والخطوات والأفعال فنجدها تتحرك عبر الأحداث وكأنها فرد واحد، فمن خلال تتبعنا لحركة هذه الجماعة عبر السياق السردى نجد أنها تنبؤنا بما ستكون عليه هذه الشخصية من حال في المستقبل، وهذا عبر الإحالات الفكرية والعلاقات الاجتماعية سواء أكانت هذه العلاقات مع فرعون وملئه، أو مع موسى وهارون.



أعائشة رماش..... البنية السردية  
 فلقد وصفت هذه الجماعة بأنها ذليلة، مستضعفة، استمرأت الذلة والندية، وقبلت أن  
 تسلب كل مقومات الشخصية وهذا من قبل فرعون من خلال علاقته بهم، وأراد الله مسن  
 خلال هذه العلاقة أن يبين أن الله خلق البشر جميعا من طينة واحدة وأودعهم عنصرا واحدا  
 فلم يجعلهم طائفتين، طائفة أعطيت من العناصر ما يجعلها قوية لها حصانة من الاستضعاف،  
 وطائفة حرمت من هذا، إنما هذا الاستضعاف ينشأ من المجتمع، مكتسبا يختاره بعض الناس  
 لأنفسهم، رغم مرارته، وقسوته فهم يستمرئون الاستضعاف كما يستمرئ المريض مرارة  
 الدواء، مع ما بينهما من فرق بعيد. ولقد أدرك موسى حقيقة العلاقة القائمة بين فرعون  
 وبني إسرائيل لذلك نجده قد وقف من قومه موقف الناصح، المخذر، يصارعهم ويقارعهم  
 محذرا حيناً، ومذكرا أحيانا، ولكن في آخر المطاف فشل في مهمته فوقف مناجيا ربه فاقتدا  
 الأمل فيهم يقول: "رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك"<sup>17</sup> فقد تبرأ موسى وهو يعتذر  
 لربه، فلئن ضاع جهده وسعيه مهم فالجزاء عند الله أعظم وأوفى.

ورغبة فرعون في إزاحة موسى عن طريقه، ولد صراعا بلغ أشده في علاقة موسى  
 بفرعون، فنرى أن فرعون رغم إقامة الحجج عليه ورؤيته للخوارق التي تبهر الأبصار، وتغير  
 العقول، إلا أنه لم يرعو ولم ينته، ويرجع عن غيه، بل ظهرت فيه صفات خبيثة منها أنه عال  
 في الأرض أي جبار عنيد مشتغل بغير الحق، وإنه لمن المسرفين أي في جميع أموره وشؤونه  
 وأحواله فهو لذلك جرثومة حان استئصالها ومثمة خبيثة آن قطافها<sup>18</sup> ولذلك أغرقه الله وملكه  
 في اليم جزاء له. أما إذا ما تركنا هذه الفئات الثلاث (بنو إسرائيل، فرعون وملكه، موسى  
 وهارون) والتفتنا إلى فئة واحدة من هذه الفئات ورصدنا علاقات أفرادها ببعض، نجد أن  
 شخصية هارون مناقضة لشخصية موسى، فإذا كان موسى نموذج الزعيم المندفع العصبي

17 - سورة الأعراف الآية 151.

18 - ابن كثير، قصص الأنبياء دار الشهاب، الجزائر سنة 1981 ص 348.

أ.عائشة رماش.....البينة السردية  
المزاج، فهارون نموذج الرجل الرزين الحكيم، فهو يتحلى في مواجهة المواقف بالرزانة والتأني  
والحكمة، ونتيجة لهذه الصفات أحبه بنوا إسرائيل.

لقد أحس موسى بضرورة وجود هارون معه في كل خطوة يخطوها في سبيل الرسالة  
لأنه رأى أنه يكمله ولتحقيق هذه الرغبة قال: "رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري  
واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي أشدد به  
أزري وأشركه في أمري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا إنك كنت بنا بصيرا"<sup>19</sup> فعلاقة  
هارون بموسى كعلاقة الوزير بالرئيس، يساعده في كل أموره، وجاءت شخصيته في السرد  
مخابة الرادع الذي يضع حدا لانفعالات موسى، فهو شخصية مساعدة مكملة لشخصية  
موسى.

ومن خلال تطواننا في القصة مع الآيات الكريمة في سورها الكثيرة وقعنا على شخصيات  
جديرة بالتراث هي الشخصيات النسوية التي لعبت دورا بالغ الأثر في هذه القصة، إلا أن  
البيئة قيدت حركة هذه الشخصيات وفرضت وجودها من حيث التقاليد، ويتجلى ذلك في  
علاقة المرأة بالرجل إذ تظهر المرأة في هذه القصة تابعة للرجل، كما أننا لم نعثر في هذه  
القصة على اسم صريح للمرأة، بل اكتفى السرد بلفظ "امرأة" سواء أكانت متزوجة أم لا.  
لقد أمدنا السرد بنموذج للمرأة من حيث نفسياتها وقدراتها العقلية وعملها الاجتماعي،  
وحكمها على الأشياء فكانت أم موسى نموذجا للأم المنفطرة القلب، إذ صور القرآن  
عواطفها وحبها لأولادها وشغفها وخوفها عليهم... الخ، من هذه الصفات المغروسة في  
قلب كل أم تتضح العلاقة بين موسى وأمه.

أما إذا ما تركنا أم موسى، والتفتنا لأخته وجدنا القرآن يشير إلى بصيرتها وتقديرها  
للأمور، وحسن المخرج في التغلب على المصاعب وذكائها، وفي مقابل هذه الفتاة وجدنا  
امرأة تالفة تفيض رحمة وحنانا مع عقل راجح واستعطاف مؤثر، مع ما تخفيه من تدين

19 - سورة طه الآية 24، 25... 35.

أعاشة وماش.....البينة السردية  
صادق غير مفتعل، وهنا ندرك ما للمرأة من تأثير في حياة الرجل حتى ولو كان جبارا متسلطا، نلاحظ ذلك من موقفها مع موسى حينما أبدت رغبتها في تبيته "وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون"<sup>20</sup> لقد استطاعت المرأة أن تؤثر، واستطاع الجبار أن يستجيب، إنها تحاول استعطافه بكلمة "قرة عين لي ولك" فكأنما تقول عندك من الجنود والعمل والملك ما تشغل به وقتك أما أنا فليس لي من ذلك شيء، فمن أجلي أولا ثم من أجلك، ومن يدري فلعلها لو قالت "قرة عين لك" أولا لقال أنا أجد ما تقر عيني به فلا أريد، ولكن حصافة المرأة المؤمنة وذكائها أرسداها إلى المدخل المحدد.

وأخيرا تأتي شخصية ابنتا الشيخ الكبير، ولقد سرد علينا القرآن الشيء الكثير من صفاتهما، فهما لا تراحمان الرجال أولا فبتبعدان بغنمهما حتى ينتهي الرعاة من السقي، ثم تبيان بأدب ولباقة السبب الذي جعلهما يمتهان هذه المهنة، رغم أنهما تخص الرجال، وقد نفى القرآن عنهما صفة الثرثرة، فلم يحدثنا عن شيء بعدما سقى لهما موسى. والعلاقة التي تربط موسى بهذه الشخصيات النسوية هي علاقة أسرية بحمة.

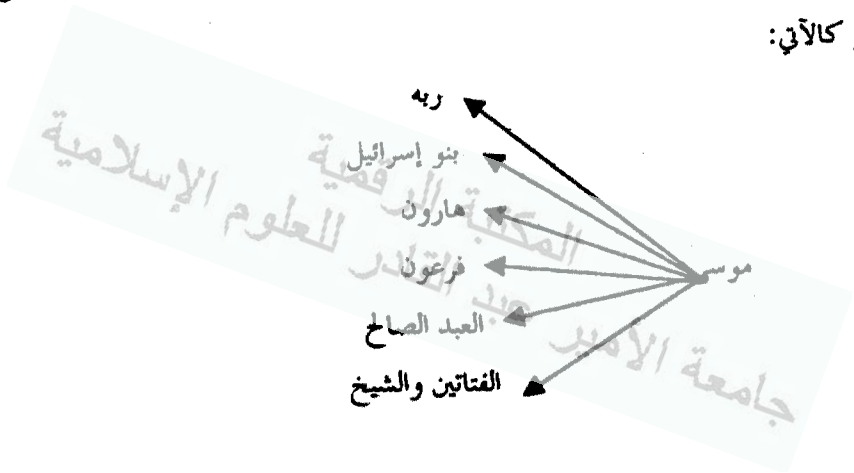
ومن الشخصيات الطارئة على الأحداث شخصية الخضر التي انفردت بميزات عديدة نذكر منها العلم الإلهي، الاتزان والرزانة، التواضع وكانت علاقتها بموسى علاقة المعلم بالمعلم، إذ من خلال هذه العلاقة نستشف قصة التواضع في طلب العلم! «علاقة موسى بالخضر تعطينا دروسا عن كيفية تعامل المعلم مع المعلم والعكس.

والملاحظة التي يمكن تسجيلها بعد الانتهاء من دراسة هذه الشخصيات وعلاقاتها، أن هذه الشخصيات ليست على مستوى واحد إذ بينها رغم اتحادها في بعض الخصائص اختلافات.

أ. عائشة رماش.....البنية السردية

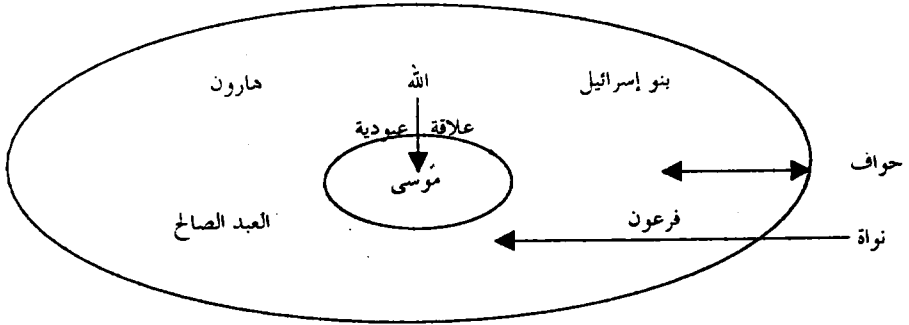
أولها: أن هذه الشخصيات لا تستغرق نفس المساحة الزمنية في القصة، ففي حين يستغرق موسى وفرعون القصة بأكملها، يكتفي الأشخاص الآخرون بالبروز والاختفاء (امرأة فرعون، الخضر، الشيخ الكبير...) كما أننا نسجل ملاحظة أخرى وهي أنه على كثرة الأشخاص تبقى هويتهم دائما مجهولة لا يعرف السياق عنها، بل اكتفى بالتلميحات والإشارات التي من خلالها استطعنا معرفة الصفات التي تتميز بها كل شخصية.

فموسى إذا هو الشخصية المحورية والأساسية في القصة، وقد كان إشعاعه على مجموع الشخصيات واضحا فهو المتحاور معها جميعا وتكون الظاهرة المهيمنة على مستوى توزيع الحوار كالاتي:



أ.عائشة رماش.....البنية السردية

على عكس الشخصيات الأخرى التي تظهر في إطار زمني ثم تمحي -والتي سبق وأن أشرنا إليها -فشخصية موسى استغرقت القصة بأكملها مما يجعلها الشخصية المحورية



والآخرون بمثابة الخواف.

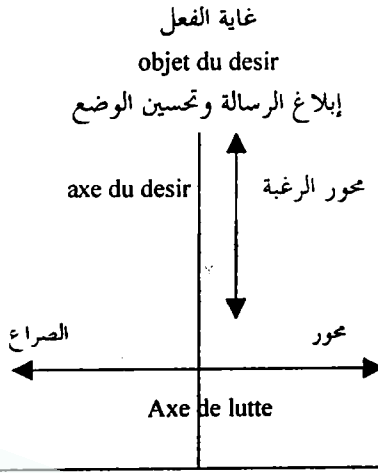
العلاقات بين الشخصيات تنقسم إلى باين كبيرين إذن هما:

- علاقات الصراع والتضاد.

- علاقات المساعدة والتناغم.

لقد أمدنا المنهج الفني لقصة موسى بطريقة مثلى في تحريك الشخصيات داخل القصة ضمن علاقات مختلفة وحملها من الإشعارات الفنية واللفات والمعلومات العامة، ترسلها إلى المتلقي يستقرئ بها مستقبل الحدث، وخطوات الشخصية واتجاهاتها نحو نقطة الوضوح، التي يدفع السرد ذهن المتلقي إليها، من خلال الإلحاح عليها بمختلف الصور.

وفي الأخير ترسيمة للشخصيات وعلاقتها على ركح القصة حسب البابين المذكورين آنفا وهما الصراع والتضاد، والمساعدة والتناغم.



مساعدون	مضادون
Adjuants	opposants
- هارون	- فرعون
العبد الصالح	بنو إسرائيل
امرأة فرعون	- هامان
- الشيخ الكبير	- قارون
- الأخت	( من الكافرين )

2 - الأحدث: لقد لعب الحدث في قصة موسى عليه السلام دورا مهما في شدد الحكبة الفنية للحكاية، والجدير بالذكر أن أحداث هذه القصة حقيقة ثابتة من حقائق الخيلة المخلوقة، ولقد رتب هذه الأحداث ترتيبا منطقيا، يتماشى مع غاية القصة، فكانت بدايتها بذكر عاقبة القصة ومغزاها ثم تبدأ القصة بعد ذلك من أولها وتسير بتفصيل خطواتها، نأخذ مثلا على ذلك قصة موسى عليه السلام في سورة بعينها وهي سورة القصص، حيث تبدأ هكذا: "نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون، إن فرعون علا في الأرض، وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم، وإنه

أعاشة وماش..... البنية السردية  
كان من المفسدين، ونريد أن نمن على اللذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة  
ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا  
يخفون"<sup>21</sup>. ثم تمضي في تفصيلات قصة موسى عليه السلام، مولده -نشأته- رضاعته -  
كبره- قتله للقبطي-خروجه... الخ فكانت هذه المقدمة التي تكشف الغاية من القصة،  
تمهيدا لمعرفة الطريقة التي تتحقق بها الغاية المرسومة، فالقصة عبارة عن مجموعة من  
المقطوعات أو كما اصطلح عليه "متتاليات حدثية" متألفة يربطها خيط واحد، وسواء  
تكونت القصة من متتالية حدثية واحدة قصيرة أم طويلة فالمتتالية تشكل وحدة موضوعاتية  
أي كل مقطوعة تقدم موضوعا بعينه تتسلسل غيرها الأحداث.

وقصة موسى حينما ندرسها دراسة أولى نجدها تنقسم إلى خمس متتاليات حدثية:

**الأولى:** قصة المولد والنشأة وما يتصل بهما.

**الثانية:** قصة الرحلة.

**الثالثة:** قصته مع فرعون.

**الرابعة:** قصة موسى وقومه في شبه جزيرة سيناء.

**الخامسة:** قصة الانتقال من شبه جزيرة سيناء بحرا إلى البر الآسيوي.

**القصة الأولى:** قصة المولد والنشأة وما يتصل بهما وتنقسم هذه القصة بدورها إلى

حدثين بارزين الأول: ما قبل المولد: وهي أحداث أغفلها السرد القصصي ولم يوليها اهتماما  
لأنها لا تخدم الغرض الرئيسي أو غاية القصة ككل، والثاني: المولد والنشأة وما يتصل بهما،  
وهو الحدث الأساسي في هذه القصة والذي ركز عليه القرآن وفصل فيه الحديث، واعتقادي  
أن هذا التركيز يرجع لخطورة الميلاد وأثره الموحى، إذ جاء مولده في عصر يذبح فيه  
الفرعون كل مولود ذكر يولد لبني إسرائيل فيشأ الله أن ينجي موسى بلجونه وهو رضيع

أعاشة رماش.....البيبة السردية  
إلى قصر الفرعون ذاته، وهو مصدر الخطر وبذلك يولد الأمن في أحضان الخطر، ويتم تدبير  
الله وتنفيذ مشيئته وتصعد بذلك الأحداث، وتسير إلى الغاية التي حددت، بأن يكرز موسى  
القبطي فيقتله ويفر إلى مدين وهنا تأتي القصة الثانية لتكمل بقية الأحداث.

**القصة الثانية:** وتنقسم أيضا إلى حدثين بارزين الأول: الرحلة نفسها والمسافة التي  
قطعها موسى عليه السلام من مصر إلى أن وصل إلى مدين، وهذه مر عليها السرد مرارا  
خفيفا. والثاني وصوله إلى مدين، والتقاؤه بالفتاتين، وزواجه بإحداهن، ودامت مدة إقامة  
موسى بمدين 10 سنوات طبق فيها القرآن الكريم تقنية الاختصار أو ما يسمى بالتلخيص.  
وفي طريق العودة إلى مصر كلف موسى بالرسالة وكان هذا الحدث معبرا للمرور إلى القصة  
الثالثة.

**القصة الثالثة:** وتدور أحداثها في مصر، وتنقسم بدورها إلى حدثين رئيسيين: الأول:  
عرض موسى معجزاته على فرعون ومحاولة فرعون له، هذا الحدث تولد عنه الحدث الثاني:  
وهو المباراة التي دارت بين موسى والسحرة، والتي أسفرت يتفوق موسى. عندها أخذ  
موسى بني إسرائيل ورحلوا عن مصر، فلاحق بهم فرعون وخصمهم عند البحر وأمر من الله  
ضرب موسى البحر وانطبق البحر على فرعون ومات غرقا، ونجا بنو إسرائيل من كيده  
واستقروا بشبه جزيرة سيناء وهنا تأتي القصة الرابعة.

**القصة الرابعة:** قصة موسى وقومه في شبه جزيرة سيناء وتتضمن هي الأخرى حدثين  
بارزين الأول: ذهاب موسى لميقات ربه في وادي طوى، وهناك حدث ما حدث وبعد  
أربعين ليلة قضاه موسى عليه السلام في جبل الطور، فقل عائدا بألواحه إلى قومه فوجدهم  
عاكفين على ثور يعبدونه، صنعه لهم السامري وهذا هو الحدث الثاني.

**القصة الخامسة:** وفيها تم الانتقال من شبه جزيرة سيناء بجرا إلى البر الآسيوي، وهناك  
أمرهم الله بالدخول إلى أرض المقدس، فرفضوا الانصياع لخوفهم من العمالقة القاطنين بها،



أ.عائشة رماش..... البنية السردية  
فحل غضب الله عليهم وضرب عليهم الذلة والمسكنة يتيهون في الأرض أربعين سنة ولم  
يدخل بنوا إسرائيل بيت المقدس إلا بعد وفاة موسى -عليه السلام-.

وقد يبدو للمتسرع أن هذه القصص الخمسة مفككة لا يربطها رابط، إلا أننا لو دققنا  
النظر لوجدنا أن الانتقال من قصة لأخرى تم عن طريق حدث رئيس ربط القصة بالأخرى،  
فرؤية فرعون أثارَت القصة الأولى، وأثار قتل القبطي القصة الثانية وهكذا فالقصص الخمسة  
ربطها منذ البداية خيط متين لعب دوره الكبير في النسيج الفني لحكايتها، فجاءت هذه  
القصص قصة واحدة لعبت الأحداث فيها دورها المرسوم لها في حيز السرد القصصي، وكان  
أداؤها منظما متلاحما قويا لا يعتره أي خلل ولا تخرجه عن مركز الحكايات أية هنة.  
فالأحداث تسير في تسلسل حيث كل حدث ينتهي بنهاية مفتوحة تسمح بتولد حدث آخر  
منه، حيث يولد الحدث من نهاية الحدث الذي سبقه، وهذا ما اصطلاح على تسميته "بنظام  
العلية السببية"، هكذا رتبت الأحداث على شكل السبب والنتيجة، فالحدث الأول أثير من  
سبب والثاني كان نتيجة له وهكذا حتى نهاية القصة"<sup>22</sup>. فسبب إيمان فرعون بأن ذكرا يولد  
في بني إسرائيل يكون زوال ملكه على يديه أدى إلى نتيجة، وهي قتل كل مولود يولد في بني  
إسرائيل، السبب الذي أدى إلى رمي موسى -عليه السلام- في اليم، نتيجة لذلك تربي في  
البلاط الفرعوني. وهكذا تجري الأحداث حيث كان كل حدث سببا ونتيجة في نفس  
الوقت.

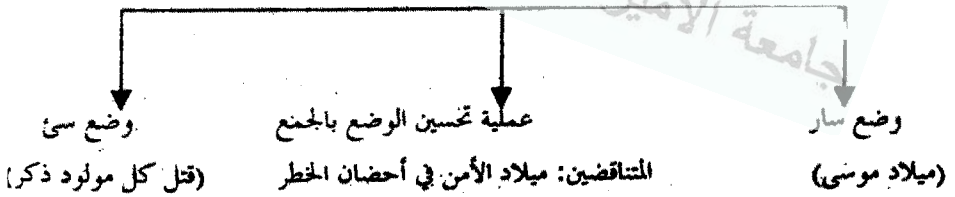
فالأحداث بواسطة هذا النظام، لعبت دورا كبيرا في تنمية الفكرة العامة، فكانت هي التي  
تحكي لنا عن موسى (ما بعد مولده - مولده - نشأته)، حتى إذا انتهى القسم الأول من  
القصة استخدمت الشخصية نفسها لكي تسعى بدورها للوصول بالقصة إلى نقطة الوضوح،  
وهو القسم الثاني من القصة.

22 - خالد أحمد أبو جندى، الجانب الفني في القصة القرآنية، دار الشهاب للطباعة والنشر، الجزائر

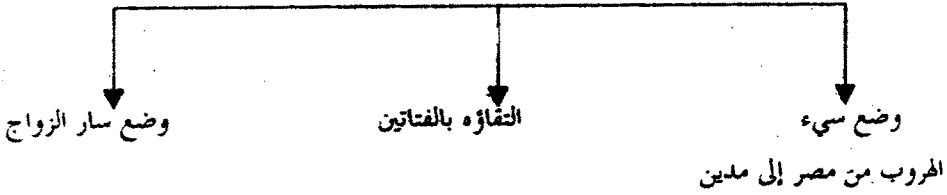
أ. عائشة رماش..... البنية السردية  
 فالأحداث عبارة عن مشاهد أو مقاطع استعراضية للحكاية، يحمل كل حدث منها جزءاً من الحكاية متمماً لما قبله. ومن ثم كان من الصعب إهمال أي حدث من الحكاية؛ حيث يترتب على ذلك سقوط جزئية من القصة، رغم الانفصال الذي قد يبدو لنا نتيجة تكرار بعض المفاصل.

فمثلاً الاستغناء عن حادثة قتل القبطي يترتب عليه عدم الانتقال إلى مدين، ومن ثم عدم تامة القصة كلها. ولو أسقطنا حادثة رمي موسى في اليم، لما كانت تربية موسى في بيت فرعون، وإذا أسقطنا هذا الجزء من الحكاية فإننا لن نجد الإجابة عن السؤال: كيف وصل موسى إلى قصر فرعون؟. وهذا التلاحم والتداخل، أصبح من المستحيل الاستغناء عن حدث أو إسقاط حدث، دون تآثر أجزاء الفكرة العامة للقصة، وهذا يدل على قوة شد الحيزك الفني ومتانة بناء هيكل القصة.

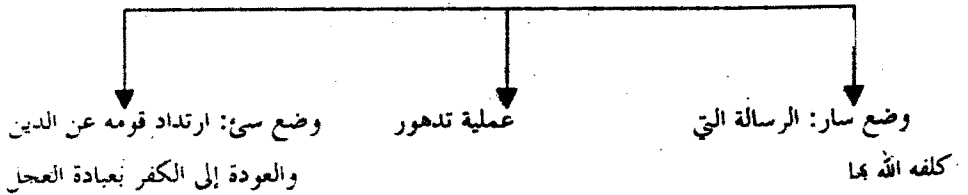
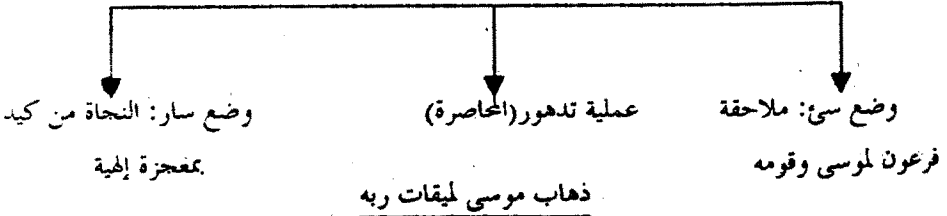
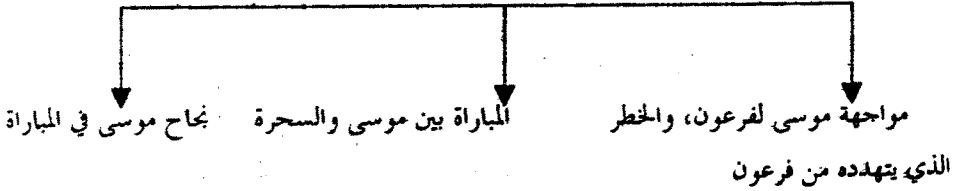
وهذه الترسمة تبين بوضوح تشعب المتتاليات الحديثة وترابطها في الوقت نفسه



قتل القبطي



العودة: (التكليف بالرسالة)



### أمر الله بالدخول إلى أرض



لقد اتسمت الأحداث في مجملها بحبوية التصوير وحركته مما جعلنا نرى المشهد يتمثل أمام أعيننا، ونرى السياق يمضي هادئ الخطو، سهل الإيقاع، تقريرى الأسلوب، وكأننا هو الوصف المصاحب لمسيرة بني إسرائيل وتقلها من مكان لآخر في سيرها المديد، خطوة خطوة، ومرحلة مرحلة. وقد يشتد الإيقاع أحيانا في مواقف التعقيب، ولكنه سرعان ما يعود ليساير الأحداث في الخطو الوئيد الرتيب. **مكتبة العلوم الإسلامية** لقد لعبت الأحداث دورها المهم من حيث هي أدوات ترغيب وترهيب وموعظة وعبرة وهداية وإرشاد إلى جانب ذلك فقد تجاوز الحدث حيز الأداء الفني إلى جوانب البيئة المكانية، فأعطى من الدلالات الحضارية والاجتماعية والنفسية ما جعلنا نقف على حالة المجتمع الاجتماعية والنفسية التي كان يعيشها في ذلك الوقت.

### 3- التكرار:

إن خضوع القصة للغرض الديني، ولد آثارا واضحة المعالم في طريقة عرضها في المادة نفسها، وكان أول أثر لهذا الخضوع، أن ترد القصة في معظم الحالات مكررة في مواضع شتى. وهذا نوع من التماسك الوظيفي "وفي الحديث اليومي كثيرا ما يلجأ المتكلمون إلى هذا النوع من التماسك الوظيفي خاصة لأسباب استراتيجية. وهذه الطريقة فإنه يمكنهم العودة لتناول ما قالوه، إما لتصويبه أو لتأكيديه أو تظليله أو غير ذلك من الأغراض"<sup>23</sup>.

أ.عائشة رماش.....البنية السردية

والتكرار هو أن ترد القصة الواحدة مكررة في أكثر من موضع وقصة موسى خضعت لهذه الخاصية -التكرار- أكثر من غيرها، واستحوذت على قسم كبير من كتاب الله تعالى إذ كان الحديث على سيدنا موسى -عليه السلام- أكثر من غيره من الأنبياء، فقند وردت قصته في حوالي الثلاثين موضعا.

إلا أن التكرار الذي ورد في هذه القصة، لا يتناول القصة كلها، وإنما هو تكرار لبعض أجزائها، أو حلقاتها، حيث تصور الحادثة الواحدة بأشكال مختلفة، ويعبر عنها بعبارات متفاوتة، حسب الظروف والمناسبات. من هنا ظهر الاختلاف؛ لأن اختلاف المقاصد يدفع لا محالة إلى اختلاف الصور الأدبية، ويطلق على هذه الخاصية في الزمن السردى بعلاقات معدلات التكرار أو التواتر "FREQUENCY"؛ أي احتمالات تكرار الحكاية في القصة بأشكال مختلفة". ومع تعدد درجات الاختلاف بين الزمنين، وحرص النصوص الروائية الكلاسيكية على الإشارة لأوجه هذا التخالف، وصعوبة ضبط هذه العلاقات في نصوص الروايات الجديدة؛ فإن تحليل هذه الوجوه هو الوسيلة الوحيدة لتحديد بنية النص الزمنية، وطريقة قيامه بوظيفته السردية. فبدون تحليل هذه العلاقات الزمنية المتشابهة لا تتجاهل النص فحسب، بل نقتله كما يقول "جنيت"<sup>24</sup>.

وتكرار القصة يقع بغير إخلال بالقيم الفنية، بل إنه يتضمن قيما فنية كامنة، ويبرز قيما فنية خافية، هذا إلى جانب عدم تكرار جسم القصة كله اللهم إلا نادرا وفي مقامات خاصة، إذ عندما يقرأ الإنسان هذه الحلقات المكررة، ويتابع السياق الذي وردت فيه يجدها ملائمة لهذا السياق ويجدها منطقية وموحية بما يوحي به، وملتحمة بمعانيه تمام الالتحام، ودالة عليه، شيء تحسبه ظلا فإذا أمعنت النظر وجدت نفسك تمتلي بتأثير جديد مدهش موح أعظم الإجماء.

أعائشة رماش.....البنية السردية  
 على أن هناك ما يشبه أن يكون نظاما مقررا في عرض الحلقات المكررة لهذه القصة  
 -قصة موسى- فهي تبدأ أولا بإشارة مقتضبة ثم تطول هذه الإشارات شيئا فشيئا، ثم تستمر  
 فيما بين عرض هذه الحلقات الكبيرة عند المناسبات، حتى إذا ما استوتفت القصة حلقاتها  
 عادت هذه الإشارات، هي كل ما يعرض منها.<sup>25</sup>  
 وفيما يلي جداول مفصلة بالسور التي تحدثت عن موسى والجوانب التي اختصت بها كل  
 سورة مع عرض للجوانب المكررة والجوانب التي ذكرت مرة واحدة.

الرقم	السورة	أرقام الآيات	الجوانب التي اختصت بها كل سورة
7	الأعراف	162، 104، 103	عرضت لجانبين: موسى مع فرعون، وموسى مع بني إسرائيل
20	طه	96...11، 10، 9	مبدأ الرسالة، موسى مع فرعون، موسى مع بني إسرائيل
26	الشعراء	68، 12، 11، 10	ذكر فيها جانب واحد وهو خير فرعون
27	النمل	14...9، 8، 7	ذكر فيها جانب واحد وهو خير الرسالة
28	القصص	40...6، 5، 4، 3	ذكر فيها ثلاث جوانب: الميلاد، الرسالة، فرعون.
10	يونس	92...77، 76، 75	ذكر فيها خير فرعون.
37	الصفافات	122...115، 114	تكريم وامتنان
40	عافر	55...25، 24، 23	ذكر فيها نبأ فرعون
43	الزعراف	56...48، 47، 46	ذكر فيها نبأ فرعون.
44	الدخان	33...19، 18، 17	ذكر فيها نبأ فرعون.
18	الكهف	82...62، 61، 60	جانب خاص بالعبء الصالح.
21	الأنبياء	49، 48	المنن الإلهية
14	إبراهيم	8، 7، 6، 5	خبره مع بني إسرائيل
	الأحزاب	69	" "" "

25- سيد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم دار الشروق بيروت ط8 سنة 1983 ص156.

25	الفرقان	36،35	خبره مع فرعون
79	النازعات	26،17،16،15	نبأ فرعون
2	البقرة	96،49،48،47	أنباء مع بني إسرائيل
5	المائدة	26،22،21،20	مع بني إسرائيل
23	المؤمنون	48،47،46،45	خبر موسى مع فرعون
61	الصف	5	خبره مع بني إسرائيل
17	الإسراء	103،102،101	موسى مع فرعون
4	النساء	156،155،154،153	خبره مع بني إسرائيل
19	مريم	53،52،51	جانب المنن الإلهية
<b>الجوانب التي ذكرت مرة واحدة</b>			
رقم السورة	السورة	أرقام الآيات	
الميلاد وما يتصل به			
28	القصص	28.....4،3	
نبأ موسى مع العبد الصالح			
18	الكهف	82.....61،60	
<b>جانب المنن الإلهية</b>			
37	الصفات	122.....115،114	
21	الأنبياء	49 - 48	

<b>إشارات عن موسى في بعض السور</b>			
رقم السورة	السورة	أرقام الآيات	
73	المزمل	16 - 15	
87	الأعلى	19 - 18	
89	الفجر	13،12،11،10	
50	ق	113	

أ. عانسة رماش..... البنية السردية.

54	القمر	41 - 42
38	ص	12

والملاحظة التي نسجلها عند دراستنا للتكرار في قصة موسى عليه السلام أن أسلوب القرآن يختلف في هذه القصة من موطن لآخر، فتارة يجيء أسلوبه في موطن عن طريق الإطناب، وفي موطن أخرى عن طريق الإيجاز مع اختلاف الفواصل من موطن لأخرى، ومع التنوع بالعبارات البليغة، والألفاظ العذبة، تتجلى بلاغته وفنونه الرفيعة في التعبير، إذ يستحيل على كاتب قصة بشري مهما كانت درجة كفاءته ونبوغه ككاتب أن يحكي لك نفس القصة ثلاث أو خمس أو قل عشر مرات، ويحفظ بنفس قدرته ومستواه في المرات العشر، فلا بد أن يتزل أسلوبه ويهبط مستواه ولا بد أن يكرر بنفس التأثير ما قاله، فلا يمكن بذلك أن يأتي بجديد.

إن كل ما في هذه القصة بشري، فأبطالها من البشر، كلما تأملنا تلفظها للبشر، أحداثها وقعت في تاريخ البشر، كل ما فيها بشري، إلا أن فيها شيء لا يمت للبشر بصلصة، وهي الرؤيا التي تناولتها والطريقة التي تقدم بها، والأسلوب الذي تحكى به، ثم تركيب هذا الأسلوب وسبكه، هذا هو الشيء الإلهي فيها.

ولهذا السبب كانت القصة تعرض مرارا وفي كل مرة يعطي الله سبحانه وتعالى تأثيرا معنا، ويملأنا بإحياء خاص يختلف عما سبق أن أعطاه لنا، وهذه من معجزات السرد القصصي في الكتابة لا تضاهيها أي كتابة.

وهنا نعرض صيغ القرآن في العنصر القصصي الواحد حين يختلف وصفه في الأقسام المختلفة التي تدور حول شخصية واحدة فيختلف بالتالي البناء والتركيب وطريقة العرض باختلاف القصد والغرض وظروف البيئة وتقلبات الزمن.

قال تعالى: "وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غممي ولي فيها مآرب أخرى، قال ألقها يا موسى، فألقاها فإذا هي حية تسعى، قال



خذاها ولا تخف سنعيدها سيرقما الأولى واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى لتريك من آياتنا الكبرى"<sup>26</sup>. "فألقي عصاه فإذا هي ثعبان مبين"<sup>27</sup>. "وأن الق عصاك فلما رآها تهمتر كأنها جان ولي مدبرا ولم يعقب"<sup>28</sup>.

عندما قال الله تعالى في الآية 34 من سورة الشعراء "ثعبان مبين، كان ذلك لموضوع آخر، ذلك أن الموقف يختلف عنه في الموقفين السابقين، فمسألة انقلاب العصا ثعبانا، كانت بمحض من فرعون حينما طلب البينة من موسى ومسألة انقلابها حية واهتزازها كالجنان كانت بين يدي الخالق سبحانه وتعالى، وحدثت حين رأى النار بعد أن سار بأهله.

إن الصورة التي يرسمها القرآن من سورة القصص صورة يبدو فيها الخوف من كل جانب، وهو خوف مفزع وقد كان اللفظ الذي يلائم هذا الخوف ويجعل موسى يهرول خائفا فارا من الميدان، هو أن يحضر اللفظ في الذهن صورة لشيء مخيف مرعب ومن هنا جاء لفظ الجان، وهناك فرق شاسع بين الحية والجان". فالأولى لا تدفع الإنسان إلى أن يفر هاربا بل الذي يدفع إلى ذلك حتما هو الجان. أما قصة طه فقد نزلت تسلية للنبي عليه السلام وتخفيفا عنه وإزالة ما بنفسه من هم وكرب وقلق، ومن هنا قال تعالى في أول سورة طه "طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى" ولذا جاء عرض الأحداث في القصة عرضا لطيفا، لينا يعث الظمأنينة والثقة في النفس ويدفع عنها الهم والحزن والقلق .

ولذا كان لفظ الحية أليق بالمقام، وقد قالت العرب قديما "لكل مقام مقال". فقد تجلّى هذا المثل بأوضح صورة في قصة موسى وتكرار حلقاتها، حيث وجدت كل حلقة في المقام الذي يناسبها لا تتبو عنه، ولا تخرج عن المعنى العام للسورة. أما لفظ الثعبان المبين الذي جاء للدلالة على العصا في سورة الشعراء فالموقف كان موقف تحد وتعير وطلب بيعة، ومن هنا

26 - سورة طه الآية 67 .

27 - سورة الشعراء الآية 34 .

28 - سورة القصص الآية 31.

\* - الجان: صغار الحيات وهو سريع الحركة. الحية: تشمل الصغير والكبير من الحيات. الثعبان: وهو الثعبان الضخم فهي ثعبان وحية في ضخامتها وجان في خفة حركتها.

أعاشة ورماش.....البنية السردية  
كان لا بد للعصا أن تتحول إلى ثعبان ولا بد للثعبان من أن يكون مبينا، ليسهل الإقناع والتصديق، بالإضافة إلى هذا اختلاف هناك اختلاف آخر في القصة تجدر الإشارة إليه.

تأمل لقاء موسى بكلمات ربه، تأمل موقفه أمام النار المقدسة في وادي طوى، يحكي الله هذه الحادثة أكثر من مرة يملؤه مرة بالخوف والرهبة والجلالة ويحكيه مرة أخرى فيملؤه بالحلب والحنان والأمل، نفس القصة أبطالها هم موسى وعصاه، لم يحدث أي تغيير في الحوادث التاريخية ولا في الشخصيات والأبطال، كل ما حدث أن أسلوب العرض والتقديم الإلهي هو الذي أعطاك تأثيرا مختلفا، رغم أن الأبطال هم كما هم لم يتغير فيهم شيء ولم يزد عليهم شيء.

لكن الملاحظة التي يمكننا تسجيلها من هذين المثالين أن التكرار الذي تضمنته قصة موسى تكرر نسي، إذ نلاحظ أن الغرض الديني هو الذي يفرض إعادة وتكرار القصة إلا أنه في هذه الإعادة تلبس القصة ثوبا جديدا بهدف خاص لم يرد في موضع آخر، حتى لكاننا أمام قصة جديدة لم نسمع بها من قبل.

هكذا نأتي إلى خاتمة هذا البحث المتواضع الذي حاولنا قدر المستطاع أن نلسم أطرافه المتشعبة، ونتج دائما نحو الهدف المرسوم، الذي لاحظنا من خلاله أن المنهج الفني لهذه القصة قدم لنا معطيات نظرية للقصة؛ إذ عندما نمنع النظر في جمال هذا المنهج نجد فيه النموذج التام لكمال البناء الفني وتمام التلاحم والحبك القوي بين أجزاء القصة.

هذه القراءة الفنية لقصة موسى — عليه السلام — لا تتعارض مع كون القصة الكريمة قصة قرآنية حقيقية تهم بإصلاح المجتمع وتربية الإنسان وإصلاح الفرد والحياة .

ذلكم هو القصص القرآني في حلاوته وطلاوته، في جماله وروعته، في عظاته ونفحاته، في أهدافه وغاياته، في مشاهدته ومواقفه، نرجو أن يكون لنا فيه قيس يضيء لنا الطريق.

وتبقى في قصة موسى جوانب كثيرة تاريخية وجغرافية ونفسية واجتماعية وعسكرية لا يتسع لها المجال في هذا البحث.



# الريف والمدينة في استراتيجية الأمير عبد القادر

د. عمير اوي حميده

جامعة الأمير عبد القادر

مُكَلِّمًا

تشكل كل من المدينة والريف محور الاستراتيجية الحربية في الدولة الجزائرية عهد الأمير عبد القادر. ونحاول في هذه المداخلة أن نتحدث عن الريف والمدينة في هذه الاستراتيجية من خلال النقاط الثلاث الآتية:

1 - مدخل

2 - العلاقة بين المدينة والريف عهد الأمير عبد القادر

3 - بناء المدن

4 - استراتيجية ومعارك الأمير عبد القادر

1 - مدخل

ليس من السهولة بمكان للتحدث عن الريف والمدينة بلمحة متناهية. وأن الحديث عنهما في رأيي يتطلب الاطلاع على أهم المصادر والتي أراها في أساسين. الأول: في الكتابات بمختلف اللغات. خاصة وأن الجزائريين كانوا يكتبون فقط ولم

يرسموا.

المكتبة الرقمية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

د. عمير اوي حميده ..... الريف والمدينة في استراتيجية

**الثاني:** فيما تركه الرسامون من لوحات جسدوا من خلالها ملامح للريف والمدينة. وعلى هذا الأساس يتطلب الاستعانة بالإيكونوغرافيين والأثريين. لتتقارب ولم لا لتكتمل القراءة التاريخية والفنية والأثرية.

وعلى هذا الأساس يكون ميدان البحث لتحديد معالم الريف والمدينة ينحصر في ما تركه الكتاب من مادة خيرية مدونة. وفي ما أبدعه الرسامون من إيجاءات من دون كتابة. وفيما تمكن الأثريون من اكتشافه في باطن الأرض.

وفيما يتعلق بالجانب الفني لنا أن نبدي ملاحظتين.

**الأولى:** أن الحملة الفرنسية والتوسعات العسكرية في الجزائر صاحبها جيش من الرسامين سواء من المحترفين الموظفين الرسميين أم من الهواة المغامرين. فالموظفون منهم كانوا جواسيس ومخبرين برتب مثل مهندس جغرافي إذ كانت أعمالهم فائدة كبيرة بتعريفهم لجيش الاحتلال بتضاريس المنطقة. وبدويتهم لأهم الأحداث من معارك وغيرها مثل ما هو الحال لمعركة المقطع وللزمالة. وهذا يفسر سر وجود أهم اللوحات التي رسمها هؤلاء أثناء التوسع الفرنسي في قصر فرساي وليس في متاحف كاللوفر مثلا.

**الملاحظة الثانية:** تمثل في وجود صعوبة في توظيف وقراءة هذه اللوحات. لأنه من خلال القراءة تكون الحيرة بين مطابقة هذه الصورة للواقع آنذاك وبين ذاتية الرسام وما يريد توصيله. وعلى هذا الأساس تكون الصورة ذات وجهين لحقيقتين؛ حقيقة الواقع وحقيقة ذات الرسام. وهو ما يفسر في رأينا الإيجاء الدائم بعظمة فرنسا في أغلب اللوحات ولنأخذ أمثلة:

## 2 - العلاقة بين المدينة والريف عند الأمير محمد القادر

يشكل الريف أغلب مساحة الأرض وقاعدة الهرم الاجتماعي الجزائري. وتشكل القبيلة والأسر الموسعة أساس سكانه. ويتميز عن المدينة بكونه قائم على ملكية الأرض الشاسعة

د. عمراوي احمدية.....الريف والمدينة في استراتيجية

المساهمة في اقتصاد البلاد. وعلى التضاريس المركبة من حيث توفر الرعي والأخشاب والحصانة. وعلى الطرق الصوفية التي تسيّرُ حيوات الناس. هذه الطرق الصوفية ذات السلطة الروحية والدينية والمدنية والقضائية. لهذا كان لها من الولاء الشعبي ما يضاهاى بل يفوق الولاء العام لنظام الحكم آنذاك<sup>1</sup>. ومن ثمة كان لها دور هام في إقرار التوازن الاجتماعي بين الريف والمدينة أكثر مما كان للنظام السياسي العثماني من دور في هذا التوازن، بموازاة مع ما كان يقوم به العامل الاقتصادي الحرفي والفلاحي والتجاري. ومع ما كانت تقوم به الأرض بإنتاجها من دور بارز في استمرار العلاقة بين الريف والمدينة. وكان لهذا البعد الممتد في عمق الأرض وللطريقة والريف موقعٌ في الاستراتيجية الحربية للأمير عبد القادر.

إذ كانت القبيلة بنوعها الزراعية والرعية، المستقرة والمتقلة الأساس الثالث بعد الطريقة والأرض للحياة الاجتماعية في الريف. وبناء عليه تكون الطريقة والأرض والقبيلة الأسس السائدة والمحددة لمصير أغلب الجزائريين بما فيها زعماءهم وعلى هذا الأساس يكون الأمير عبد القادر وغيره نتاج الريف والطرق الصوفية وليس نتاج المدينة بالأساس.

وكانت القبيلة لا تتكون من أفراد ينحدرون بالضرورة من جد واحد؛ برغم أن الجسد كان المرجعية بالنسبة لأفراد القبيلة — عن حقيقة أو عن وهم — فالقبيلة أو العشيرة غالبا ما تكونت من تجمعات ذات مصلحة مشتركة امتصت ذاتية الفرد بولائه لتلك القبيلة أو العشيرة. ومن ثم لمصلحته كان على الفرد أن يلتزم بضرورات أخلاقية ودينية واقتصادية مقابل حصوله على حماية وأمن ومورد رزق من الأرض. وتكون الأرض هنا محل النشاط والقاعدة الأساس لتلك القبيلة أو العشيرة. مثلما للسلالة من أساس، وإن كان اسم الجسد يُرفع كشعار لتعزيز الأبوة الذكورية وللتخفيف من حدة النزاعات داخل القبيلة ولتعاضد

1 - كانت أهم الطرق الصوفية في الوسط والغرب والشرق الرحمانية التيجانية والقادرية. لمزيد من المعلومات يراجع:

Cour (A.), « Recherche sur l'état des confréries religieuses musulmanes », in R.A. 1862 , p-p.291-334

د. عمرواي حميد ..... الريف والمدنية في استراتيجية أفرادها<sup>1</sup>. ولكن الذي حدث مع الأمير كفرد هو أنه لم يذب بولائه لقبيلته بني هاشم ولم يتفوق في الريف، بل حاول توسيع قوة القبيلة بتوحيد صفوفها للدفاع عن الجزائر. وبهذا الأمير يكون الأمير قد وضع مسار الحركة الوطنية الجزائرية في الطريق الصحيح. وقد أخذ منه هذا العمل وقتا كبيرا وجهدا مضنيا إلى درجة يمكن القياس بما ضعف الأمير وانتمائه في النهاية بفعل ميل كثير من هذه القبائل إلى الصف الفرنسي ضده. وتعتبر هذه العلاقة العدائية في بعض الصفوف الجزائرية من النقاط الفاعلة التي شغلت الأمير عبد القادر، إذ كان يجارب على جبهتين الأولى فرنسية في المدينة والريف والثانية جزائرية في الريف.

ومن غير المستبعد أن يكون هدف الأمير من محاولة توحيد الصف القبلي الجزائري تطوير الوضع الاجتماعي والاقتصادي للبلاد لقناعته في أن سمة الحياة الاقتصادية والاجتماعية للريف الجزائري لا تتحدد في شكل مطلق بالقبيلة والعلاقات فيما بينها فقط (رغم أنها الإطار لهذه الحياة) إنما كانت تتحدد أيضا بالنظام العقاري/الأرضي/وبالأدوات الفلاحية وبالأسواق في إطار نظام دولة قوية قائم على وحدة الصف القبلي. يمثل ما تقابلها من نمط لسمة الحياة في المدينة بالذكاكين والحرف<sup>2</sup>. لأن الأرض بالنسبة لسكان الريف فهي هوية بقدر ما هي مورد مادي أيضا. وفي الغالب كانت النزاعات بين الأفراد داخل القبيلة أو الأسرة الواحدة تقل بفعل الانتماء إلى الجد الواحد. وغالبا ما تكون أسباب هذه النزاعات بين قبيلة وأخرى سواء من أجل الأرض وما عليها من أكل وماء أم من أجل التجارة. وكان من استراتيجيات الأمير التخفيف من حدة هذه النزاعات والنزاعات بين شيوخ القبائل بالزمهم الولاء له وقبول المبايعه. ولهذا كانت المواجهة الحربية بينه وبين قبائل رفضت الولاء

1 - للمزيد ينظر: عدي، الهواري، الاستعمار الفرنسي في الجزائر، ترجمة جوزيف عبد الله، ط.1، دار الحدائق، بيروت 1983، ص. 18 وما بعدها.  
2 - للمزيد من المعلومات ينظر: ابن اشنهو، عبد اللطيف، تكون التخلف، ش.و.ن.ت. الجزائر، 1979، ص. 25.

لأسباب كثيرة يضيق المجال لذكرها. وإن كان ولا بدُّ أن تذكر في مقدمتها النعرات القبلية والاعتداد الذاتي لشيخ القبائل والطرق.

والدارس لنفسية الأمير عبد القادر يتأكد له أنه أحبَّ الريف وفضله عن المدينة ونلمس هذا في شعره:

يا عاذرا لا امرئ قد هام في الحضر      وعاذلا لمحج البسود والقفر  
لا تاذمن بيوتا خف حملها      وتمدحن بيوت الطين والحجر  
لو كنت ما في البدو تعذرني      لكن جهلت وكم في الجهل من ضرر  
أو كنت أصبحت في الصحراء مرتقيا      بساط رمل به الحصباء كالدرر  
أو جلت في روضة قد راق منظرها      بكل لون جميل شيق عطر  
تستشغن نسима طاب متنشقا      يزيد في الروح لم يسر على قذر  
أو كنت في صبح ليل هاج هاتنه      علوت في مرقب أو جلت بالنظر  
رأيت في كل وجه من بسائطها      سرىا من الوحش يرعى أطيب الشجر  
بناكر الصيد أحيانا فنبغته      فالصيد منا مدى الأوقات في ذعر

\*\*\*\*\*

الحسن يظهر في بيتين رونقه      بيت من الشعر أو بيت من الشعر  
أنعامنا إن أتت عند العشي تخل      أصواتها كدوي الرعد بالسحر  
سفائن البر بل أنجى لراكبها      سفائن البحر كم فيها من الخطر

\*\*\*\*\*

شراهما من حليب ما يخالطه      ماء، وليس حليب النوق كالبقر  
أموال أعدائنا في كل آونة      نقضي بقسمتها بالعدل والقدر  
ما في البداوة من عيب تدم به      إلا المروءة والإحسان بالبدر  
وصحة الجسم فيها غير خافية      والعيب والساء مقسوم على الحضر

من لم يمت عندنا بالطعن عاش مدى فنحن أطول خلق الله في العمر  
فيكون الأمير أحبّ الريف شعرا وحياة وأحبّ المدينة مدنية واستراتيجية.

لأن الريف في هو المكان الذات لأغلبية الجزائريين بينما المدينة هي المكان الموضوع بالنسبة لهم؛ وعلى هذا الأساس يكون المكان للجزائري هوية أكثر مما هو مكان عيش مادي. وقد لا يستبعد أن يكون المكان/الريف عند الأمير هو المكان الجامع بين المحدود واللامحدود؛ بين المادي والروحي. أي أن المكان/الريف في شخص الأمير هو الفضاء الروحي والوجداني المتصل بعوالم أخرى تتجاوز الموقع الحيز كعالم التاريخ الممتد عبر كل الزمان وعالم التصوف المتسع إلى ما بعد أفق الإنسان. وهذا يفسر لنا أمرين في شخص الأمير؛ من خلال الأمر الأول يتبين لنا أن الأمير تقليدي في شعره حين يرتبط بالمكان الحيز ويحاكي البادية والسيف والخيمة والمرأة وهي صور فنية وردت عند شعراء العصر الجاهلي. ولكن الأمر الثاني يتبين من خلاله الأمير أنه يتجاوز هذا المكان الحيز إلى فضاء لا متناهي وهو الذي طفح في تصوف الأمير عبد القادر فصار المكان هلاميا ودالا ومدلولاً.

إذن يمكن استخلاص أهم العلاقات التي كانت تربط بين الريف والمدينة بوجود عمقٍ روحي طرقي يمتد من الريف إلى المدينة. وابتشار الأسواق الأسبوعية في القرى والمدن. وبتملك بعض الأسر الحضرية لأراض بأحواز المدن الملاصقة للريف والمتداخلة فيه. وبوجود أصول سكانية ريفية تتوطن في المدينة. وبوجود قبائل محزنية تتوطن في الريف وموالية للنظام العثماني.

وكان الريف الجزائري يساهم في تمويل المدينة بما تحتاج من المواد الضرورية. وبناء على ما ذكره حمدان خوجة فإنه كانت بالريف قرى كثيرة؛ وكانت هذه القرى المنتشرة في جبال فليسة وزواوة وبني عباس وبجاية والغرب الجزائري تشبه المدن حيث سطوحها مغطاة بالقرميد، وعمساجدها مآذن. وهذه القرى مراكز لصناعة الأسلحة والدخيرة. وكان سكان هذه الأرياف على دراية جيدة بطرق استخراج المعادن، خاصة الحديد والرصاص وملح



البارود، بجانب إجادتهم لصناعة الأعطية والبرانس من الصوف. ولهم مهارة فائقة إلى درجة أنهم تمكنوا من صناعة النقود. وذهبت بهم المهارة إلى ضرب وتقليد النقود الأجنبية، بالإضافة إلى معرفتهم الجيدة لطرق متطورة، مثل كيفية حفظ الحبوب بباطن الأرض لمدة سنوات طويلة<sup>1</sup>. وعلى هذا الأساس يمكن القول أنه كان للريف نظام محكم (إداري واقتصادي واجتماعي) يتميز عما كان في المدينة. وقد استغل الأمير عبد القادر هذه المعارف بالريف ووظفها في استراتيجيته الحربية.

وكان للتجارة دور هام في حياة الجزائريين. وكان نشاطها يتم داخليا وخارجيا. فالنشاط الداخلي كان بين المدن والقرى بواسطة الأسواق الأسبوعية المنتشرة في أنحاء البلاد أولا. وثانيا بواسطة القوافل التي كانت من وإلى: الغرب - الشرق. ومن وإلى: الشمال - الجنوب؛ كطريق: تونس - قسنطينة - الجزائر - تلمسان. وطريق عين صالح - متليلي - ورقلة.

أما النشاط التجاري الخارجي كان يتم بين الجزائر وكل من تونس والمغرب وأوروبا حيث كانت المواد الأساسية المصدرة هي: الحبوب والزيوت والصوف والمرجان والشموع والجلود وريش النعام. وكانت المواد المستوردة هي: العطور والمصبرات والأسلحة والأقمشة و مواد البناء والسكر والقهوة والورق والحديد. وكان للتجار اليهود المتجولين دور فاعل في رواج المنتجات الأوروبية التي عرفت إقبالا كبيرا من طرف الجزائريين وكان ذلك على حساب المنتجات الجزائرية<sup>2</sup>. بجانب رواج المنتجات الصناعية المغربية والصحراوية في الجزائر.

والسؤال الذي يمكن طرحه هو كيف تعامل الأمير عبد القادر مع هذه الشبكة التجارية

الريفية-المدنية؟

1- Hamdan (B. O. K.), *Le Miroir*, traduit de l'Arabe par H.D.Goetschy, Paris 1833. chapitre 3.

2 - ابن اشنهو، عبد اللطيف، تكون التخلف في الجزائر، ص 42.

د. عمراوي حميد .....الريف والمدينة في استراتيجية

من المؤكد أن الأمير عبد القادر تفتن إلى أهمية هذه الطرق واستغلها في حروبه. إذ ربط أهم مدنه بالساحل حيث جعل لتلمسان مرفأ رشكون. ولمليانة مرفأ شرشال. ولمعسكر مرفأ أرزيو<sup>1</sup>. مثلما ربط مدن التل بمدن الصحراء. وفتح باب الاتصال مع كل من المغرب وتونس؛ إذ أن الأمير عبد القادر بعث وفدا برئاسة محمد الصغير بن الحاج خليفته على بسكرة برفقة محمد كانون مزودا بمدية معترة آنذاك ولقي الوفد الجزائري من الترحاب وكرم الضيافة بما يليق بالمقام مراعاة لشخص الأمير برّد باي تونس على هدية الأمير بمدية معترة دلالة على التجاوب والاستعداد للتعاون<sup>2</sup>.

ومن غير المستبعد أن يكون هدف الأمير من هذا العمل هو توحيد الصف المغاربي العربي الإسلامي لمواجهة التحديات الأوروبية. ولعلّ هذا يفسر اتصال الأمير بكل مسن نظامي المغرب وتونس، من دون الاتصال بالسلطنة العثمانية الذي لم يحدث إلا في سنوات متأخرة أي منذ عام 1840.

ومهما يكن فإن وجود المدن ساعد على تطوير هذه التجارة الداخلية والخارجية، مثلما ساعدت التجارة والأسواق هي الأخرى على نمو المدن، فمدينة العثمانية مثلا في الشرق الجزائري تمت بفضل سوقها المشهور.

### 3- بناء المدن

بعد إقرار البيعة. وتعيين رجال الدولة الأكفاء. وتأسيس جيش نظامي شرع الأمير عبد القادر في بناء المدن؛ على الرغم من أن المتعارف عليه أنه ريفي المولد والنشأة والذاكرة. لكن الواقع فرض عليه أن يهتم بالمدينة وينفق شيئا كبيرا من الأموال والجهد والوقت. وهو ما نلمسه في ما بناه من مدن وحصون. ومن خطابه للفرنسيين حين قال: "لقد أقيمت على

1 - ينظر ملحق رقم 1

2 - محمد باشا بن عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج. 1، المطبعة التجارية، الإسكندرية 1903، ص. 139.

حدود التل عددا من الحصون كلفني أموالا طائلة بينما كنت أواجه صعوبات همة، وكان الهدف من إقامتها هو إشعار قبائل الصحراء المضطربة بالسلطة، والابتعاد عن هجماتكم، ولكن حطمت هذه الحصون فيما بعد. لقد كنت مقتنعا أنه متى استأنفت الحرب فإنه علي أن أترك لكم كل المدن الواقعة في الخط الوسط للأطلس، ولكن يكون من المستحيل عليكم على الأقل لمدة طويلة أن تصلوا الصحراء"<sup>1</sup>. فموقع المدينة في مخيال الأمير كبير جدا ولكن قناعته كانت في تأسيس مدن داخلية من دون تأسيس مدن ساحلية لأسباب حصرها الأمير نفسه في أنه ليست له سفن. إذ قال في هذا الأمر: "ولو أنكم راضون حقيقة بهذه المدن (الساحلية) لتركتمكم تعانون منها، لأن البحر ليس من شأني، وليس لي سفن"<sup>2</sup>.

وكان هدفه الكبير من بناء هذه المدن تأسيس دولة إسلامية جزائرية قوية بتوحيد الشعب الجزائري وحماية أرضه وعرضه، إذ قال في هذا الأمر: "إن الإرادة الإلهية اختارتني لتوحيد شعب يحكمه من ليس له من الإسلام سوى الاسم. إننا نحارب من أجل أرضنا وأطفالنا ونسائنا وكل ما يتعلق بديننا"<sup>3</sup>. ويكون الأمير عبد القادر قد ربط هذا العمل بركن الجهاد.

ويمكن حصر أهداف الأمير عبد القادر الأخرى من بناء المدن والحصون في الآتي:

- لأهميتها في التجارة وفي الصناعة وفي نشر المدينة.

- لتثبيت وتقوية الدولة الجزائرية الفتية

- لحماية المدن الكبيرة، مثل معسكر ومدن وحصون أخرى

1 - مزيان عبد المجيد، "عبقرية متكاملة" الثقافة، عدد 75، وزارة الثقافة، الجزائر 1985، ص.7. وللمزيد من التفصيل يراجع: فريدة قاسي، الدولة في فكر الأمير عبد القادر، ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة 1999، ص.ص. 246-248

2 - هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس 1974، ص. 139

3 - فريدة قاسي، الدولة في فكر الأمير عبد القادر. المرجع السابق. ص. 111. نقلا عن:

د. عمر اوي احمده.....الريف والمدينة في استراتيجية

- لمواجهة فرنسا بدولة وبسلطة وبجيش وبحاكم وبمدينة مقابل دولة وسلطة وجيش وحاكم ومدينة.

- لجمع السُّكَّان والمشردين والأسرى في مراكز حضرية لتسهيل إدارة شؤونهم

- لربط الصحراء بالساحل

- للسيطرة على القبائل النائرة ضده

- لتخزين المواد الضرورية بما وتنشيط الصناعة الحربية والمدينة. وكذلك التجارة سواء بين الأسواق الداخلية أم الخارجية.

وبفضل هذه الاستراتيجية ببناء المدن والحصون تمكن الأمير من الصمود بقوة 30000

محارب فقط بين نظامي وغير نظامي أمام قوة فرنسا ذات العدد 106000 محارب.

مثلما سبق القول أنه بعد تأسيس أركان الدولة شوع الأمير عبد القادر في بناء المدن والحصون خلال فترة زمنية دامت أربع سنوات في المقاطعات الثمانية التي تشكلت بالتسلسل وعلى النحو الآتي:

مقاطعة تلمسان/تلمسان. ومقاطعة معسكر/معسكر. ومقاطعة مليانة/مليانة. ومقاطعة التيطري/المدينة. ومقاطعة مجانة/سطيف. ومقاطعة الزيان/بسكرة. ومقاطعة الجبال/برج حمزة. ومقاطعة الصحراء جهة الغرب/الأغواط<sup>1</sup> من دون أن تكون لهذه المقاطعات حدود ثابتة<sup>2</sup>. وبداخل هذه المقاطعات كانت أهم المدن والتحصينات التي تم بناؤها هي:

1 - لمزيد من التفصيل ينظر ملحق رقم 2. وراجع:

\* محمد بن عبد القادر الجزائري، نخفة الزائر، دار اليقظة العربية، بيروت 1964، ص-ص. 306-311. وقد عين الأمير عبد القادر على هذه المقاطعة قُدور بن عبد الباقي من الأغواط الذي استشهد في معركة سيدي يوسف. يراجع: مذكرات الأمير عبد القادر، تحقيق محمد الصغير بناني وآخرين، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1995، ص. 170.

\* أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر، ج.2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1983، ص-ص. 46-52

2 - من الصعوبة الحديث عن الحدود في هذا التاريخ إنما يمكن الحديث عن التخوم. للمزيد من المعلومات يراجع ما كتبناه في أطروحة دكتوراه الدولة بعنوان: السياسة الفرنسية في الشرق الجزائري (1830-1858)، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة 1999 الفصل الأول.

د. عمير اوي حميده .....الريف والمدينة في استراتيجية

\* **معسكر**: وتعد من المدن العريقة التي وصفت في القرن السادس عشر على أنها من المدن الهامة<sup>1</sup> بسوقها وبمدها للأمرء. وبسهول غريس. مثلما كانت إشعاع علم بعلمائها أمثال: أحمد بن عبد القادر بن علي الراشدي الحسني الإغريسي، وأبو راس المعسكري وأحمد بن أحمد المعسكري<sup>2</sup>. والحاج مصطفى الغريسي<sup>3</sup>.

وتمكن الأمير عبد القادر من تحصينها وجعل لها مرفأ هو أرزيو<sup>4</sup>. وتمكن الفرنسيون من احتلالها نهائيا أواخر شهر ماي عام 1841 بقوة 6 آلاف محارب.

وصف سانت آرنوا مدينة معسكر عام 1841 بقوله: يعتبر احتلال معسكر أكثر أهمية من احتلال تاقدامت. لأن معسكر تعد المعقل لقوة الأمير، فهي مدينته الناشئة. إنها مدينة جميلة زادها مسجدها جمالا، فهي مدينة تشبه شرشال وعنابة ومستغانم. بل هي أكثر إستراتيجية، تحيط بها بساتين جميلة ذات الأشجار المثمرة والخضر من كل نوع. وأنه في حالة ما إذا تمكنا من احتلال معسكر نهائيا فإنها ستعلن القبائل خضوعها لنا. ستكون قسنطينة الغرب. وأن كلا من معسكر ومستغانم وهران تشكل رؤوس مثلث، بواسطتها يمكن أن نخضع كل البلاد<sup>5</sup>. وهذا ممكن جدا خاصة بعد أن تمكنا من تحطيم أهم المدن مثل بوغار وتاقدامت ومعسكر وهي المدن التي كانت تمثل قوة الأمير.

1-Jean (L. l'Africain), Description de l'Afrique, tr. de l'Italien par Epaulard (A. ), Maisonneuve. Paris 6. 1956, p. 338.

وعموما كانت منطقة معسكر هامة بجانب المناطق الأخرى أمثال ندرومة ومازونة. وقد حظيت بدراسات علمية منها التي قدمها

Djilali (S. ), Les villes précoloniales de l'Algérie occidentale, S. N. E. D. Algérie 1978.

2 - يراجع: عادل نويهض، أعلام الجزائر. ص. 306.  
3 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985. ص. 520.  
4 - ينظر ملحق رقم 1.  
5 - وهي نفس الاستراتيجية التي طبقتها فرنسا في كل من الوسط والشرق الجزائريين. إذ احتلت الجزائر العاصمة ثم وهران وأخضعت التيطري. وفي الشرق استولت على كل من عنابة وقسنطينة ونجاية. ينظر ملحق رقم 3.

\* **تلمسان:** وهي مدينة رومانية. اهتم بها الأمير وجعلها مدينته الثانية وربطها بمرفأ رشكون<sup>1</sup>. وبذل جهدا كبيرا لتكون مدينة مدافعة ضد الفرنسيين لكن الفرنسيين تمكنوا من احتلالها.

\* **تاقادامت:** وهي مدينة تاريخية تبعد عن تيهرت العتيقة بـ 20 كلم<sup>2</sup>. وعن وهران جنوبا بـ 90 كلم. شرع الأمير في ترميمها وتوسيعها عام 1836 واتخذها الأمير عاصمة له إلى عام 1838. ووصفها سانت آرنو حين دخلها يوم 20 ماي 1841 بقوله: بها أكثر من 600 منزلا مبنية بالحجر والخشب. يتوسطها منزل واسع مربع الشكل مخصص لإقامة الأمير عبد القادر. وبالمدينة دكاكين وسجن ومعمل لسك النقود ومصنع كبير يتواجد على النهر وأكثر من ورشة معدة لكل أنواع المصنوعات ومن غير هذا تعد ضواحي المدينة صحراء مهجورة. وبعد احتلال المدينة سرنا في الشارع الكبير ووصلنا دار القاضي<sup>3</sup>.

وجاء في كتاب أديب حرب أن الفرنسيين عندما دخلوا مدينة تاقادامت: "وتوزعوا بين منازلها المهدامة... فأمر (بيجو) بهدم ما كان صالحا للاستعمال منها كمصنع الأسلحة والمنشرة وبعض المخازن"<sup>4</sup>. في حين ذكر سانت آرنو<sup>5</sup> أن العرب أشعلوا النار في المنازل المبنية بالخشب ودمروا التي بالحجر. مثلما حطموا المصنع وفجروا الحصن. والراجح أن المدينة دمرت قبل وصول الفرنسيين إليها. لأنه لا يعقل أن يتركها الأمير عامرة وبها أكثر من

1 - ينظر ملحق رقم 1.

2 - موقع تيهرت ليس هو موقع تيارت.

3 - يراجع ما كتبناه بعنوان: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، مطبوعات جامعة منتوري - قسنطينة 1999، ص-ص. 68-71.

4 - أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر، ج. 2، ص. 402.

5 - ذكر هذا في تاريخ 23 ماي 1841، يراجع ما كتبناه بعنوان: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، ص. 68.

ورشة صناعية<sup>1</sup>. وقد أكد هذا الأمير نفسه في مذكراته "فهدمناها وحرقناها قبل وصوله إليها"<sup>2</sup>.

وكان هدف الأمير من بناء هذه المدينة واضحا فيما أورده تشرشل بالقول: "ثم استأنف (الأمير) حديثه معي قائلا بحموية: إنني ما زلت آمل أن أعيد إلى تاقدمات ماضيها المجيد. وأنتي سوف أجمع القبائل فيها حيث سنكون في مأمن من هجومات الفرنسيين. وعندما تكون كل قواي قد اجتمعت فإنني سوف أنزل من هذه الصخرة السماء، كما يتزل النسر من عشه، لكي أظهر مدن الجزائر وعنابة ووهران من المسيحيين. ولو أنكم راضون حقيقة بهذه المدن لتركتكم تعاون فيها، لأن البحر ليس من شأني، وليس لي سفن، ولكنكم تريدون أيضا الامتلاء على سهولنا ومدننا الداخلية. بل أنكم طمعتم حتى في خيلنا وخيامنا وابلنا ونساتنا. أنكم تركتم بلادكم الخاصة وأتيمم لتأخذوا الأرض التي وضع فيها محمد (عليه الصلاة والسلام) شعبه. ولكن سلطانكم ليس فارسا ولا مرابطا، وإن خيولكم ستعثر وتسقط عن جبالنا لأنها ليست ثابتة الأقدام كخيولنا، وإن جنودكم سيموتون مرضا، وحتى أولئك الذين سينجون من المرض سيسقطون برصاصنا"<sup>3</sup>.

\* **هليانة** وهي المدينة الثالثة التي جعلها الأمير مركز المقاطعة وجعل لها مدينة شرشال مرفأ لتطلّ به على البحر<sup>4</sup>.

\* **الصحية** وجعلها مركز مقاطعة التيطري. ثم هجرها الأمير عبد القادر ودخلها الفرنسيون فوجدوها "مهجورة ونصف محروقة"<sup>5</sup>.

1 - كانت في دولة الجزائر الأميرية أكثر من ورشة لصناعة المنسوجات وغيرها. ينظر H228. A. M. G.

2 - مذكرات الأمير عبد القادر، ص. 161

3 - هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ص-ص. 138-139

4 - ينظر ملحق رقم 1

5 - هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ص. 189

د. عمير اوي حميد ..... الريف والمدينة في استراتيجية

\* **بومار** بناها الأمير كحصن لصناعة بعض المواد الحربية والتجارية الهامة لتكون قاعدة لحماية ظهر مدينة المدية.

\* **سعيدة** وكانت مستودعا للحبوب وملجأ للمهاجرين من تلمسان ومعسكر.

\* **سبدو** جنوب تلمسان بحوالي 35 كلم. وهي أحد مراكز الدعم من أعماق الجزائر للأمير.

\* **تازة** أو طازة بناها الأمير عام 1838. ويتشكل مجموع سكانها من حوالي 50 عائلة. وكان

يصنع بها البارود. وسقطت بيد الفرنسيين عام 1840

\* **برج حمزة** وهي في جبال الوسط. وقد كانت دعما كبيرا للأمير عبد القادر في حروبه ضد الذين رفضوا البيعة وضد الفرنسيين.

\* **هازونة** وهي من المدن التي اهتم بها الأمير عبد القادر

\* **بسكرة** وهي مدينة قديمة كانت بيد خليفة الأمير وسقطت بيد الفرنسيين عام 1844

\* **الأخواط** وهي المدينة التي أدت الدور الكبير لصالح الأمير عبد القادر في غرب الصحراء.

#### 4 - استراتيجية ومعارك الأمير محمد القادر

من الأسس التي قامت عليها استراتيجية الأمير عبد القادر تأسيسه لجيش نظامي. إذ فتح باب التجنيد والانخراط فيه بحرية من دون إكراه. حيث وظف وسائل الدعاية لإقبال الناس على التزام الخدمة العسكرية في هذا القطاع بأن كلف من ينادي في الأسواق بالقول: "ليبلغ الشاهد الغائب: أنه صدر أمر من ملانا ناصر الدين بتجنيد الأجناد. وتنظيم العساكر من كافة البلاد. فمن أراد الدخول تحت اللواء المحمدي ويشمله عز النظام فليسارع إلى دار الإمارة (معسكر) لتقييد اسمه في الدفاتر الأميرية"<sup>1</sup>. وقد أقبل الناس طواعية برغبة صادقة في الجهاد لتحرير البلاد وحيا في الأمير عبد القادر.

1 - محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، ص. 191



وأخضع هؤلاء المجنودون إلى نظام عسكري وإلى تدريب صارم على أيدي جزائريين وأجانب. وحسب ما أورده يحي بوعزيز كان الأمير عام 1840 يتصرف في جيش قوامه 58960 ثمانية وخمسون ألفاً وتسمعاثة وستون جندياً، منهم خمسة آلاف وستون جندي فقط من الفرق المنظمة<sup>1</sup>. وكانت هذه الفرق مقسمة إلى ثلاثة صفوف هي:

الخيالة

المشاة

والمدفعية<sup>2</sup>

وبالرغم من بناء هذه المدن بقي الأمير ومن معه يحاربون الفرنسيين خارج المدينة وبخاصة في المضائق والمسالك الريفية، من ذلك أن من بين حوالي 30 معركة خاضها كلنت 5 منها فقط في المدن والباقي كان خارج المدن مثلما هو موضح في الآتي:

1. معركة خنق النطاح الأولى قرب مدينة وهران في ماي 1832.

2. معركة خنق النطاح الثانية.

3. معركة برج رأس العين غرب وهران.

4. معركة قرية فليته المتمردة.

5. معركة وهران الأولى.

6. معركة واصل ناحية تلمسان.

7. معركة مستغانم ضد الدوائر والزماله.

8. معركة المقطع 1836

9. معركة تلمسان الأولى في جانفي 1837.

10. معركة سكاك في جويلية 1837 بالقرب من تلمسان.

<sup>1</sup> - Marcel Emerit: L'Algérie à l'Epoque d'Abdelkader. (Larose.1951). pp.277-280.

<sup>2</sup> - لمزيد من التفصيل يراجع: فريدة قاسي، الدولة في فكر الأمير عبد القادر. المرجع السابق. ص-ص. 234-217

11. معركة الغزوات بضواحي نهر الشلف بالمدينة ضد محمد بن عبد الله البغدادي.
12. معركة عين ماضي ضد محمد التيجاني.
13. معركة موزاية قرب المدينة.
14. معركة مليانة.
15. معركة ضد بيجو بضواحي مليانة.
16. معركة مضيق عقبة حدة.
17. معركة عين طاقين.
18. معركة الجعافرة جرت بضواحي معسكر.
19. معركة سيدي يوسف.
20. معركة بني عامر الثانية.
21. معركة الغزوات الثانية.
22. معركة هونت بين معسكر وناقدامت
23. معركة أبي الشطوط في ضواحي الشلف.
24. معركة نهر يسر بضواحي الجزائر.
25. معركة تافريست ببلاد المغرب الأقصى.
26. معركة بني عامر الثالثة جرت بضواحي فاس.
27. معركة سلوان ببلاد المغرب ضد جيش السلطان المغربي.

بجانب المعارك الأخرى التي خاضها خلفاؤه مثل معارك خليفته علي بسكرة.

وفيما يتعلق بالاستراتيجية فمن المتعارف عليه أنها كلمة يونانية (Stretegos) وتعني فن قيادة الجيوش. وكانت تسمى في عهد الأمير بالسوقية، وهو تعبير عسكري يقصد به مجموعة الترتيبات والتدابير الواجب اتخاذها والتقيدها بما بغية سوق الجيش إلى أمام العدو. والسؤال المطروح هو ما هي الترتيبات والتدابير التي اتخذها الأمير عبد القادر في معاركه؟

أولاً أن استراتيجية الأمير عبد القادر العربية قامت على ثلاثة قوى هي:

- جيش نظامي جزائري خفيف

- مدن دفاعية محصنة

- قبائل موالية له

ثانياً أن استراتيجية العدو قامت على ثلاثة صفوف هي:

- جيش فرنسي نظامي ثقيل تحصن في مدن دفاعية وهجومية

- قبائل جزائرية مالت إلى السلطة الفرنسية

- قبائل نائرة ضده من دون أن تميل للجيش الفرنسي

ثالثاً: كان الأمير يعمل بما قال به الله تعالى: "انفروا خفافاً وثقلاً وجاهدوا

بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون"<sup>1</sup>. أو

كما قال في كتابه العزيز الحكيم: "يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثباتاً أو انفروا

جميعاً"<sup>2</sup>. وكان حريصاً على ألا يتناقل في الجهاد خوفاً من غضب الله الذي خاطب المتناقلين

بقوله تبارك وتعالى: "يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثناقلتم

إلى الأرض"<sup>3</sup>. وكان الأمير عبد القادر لا يخوض المعارك إلا في أماكن يختارها مسبقاً

كالمضايق وأعالي المرتفعات. ويركز على المناوشات والمضايقات والهجمات الخاطفة. ويشرك

القبائل الموالية له في محاصرة مدن العدو ومضايقته بقطع المؤونة عليه.

1 - سورة التوبة آية 41

2 - سورة التوبة آية 38

3 - سورة النساء آية

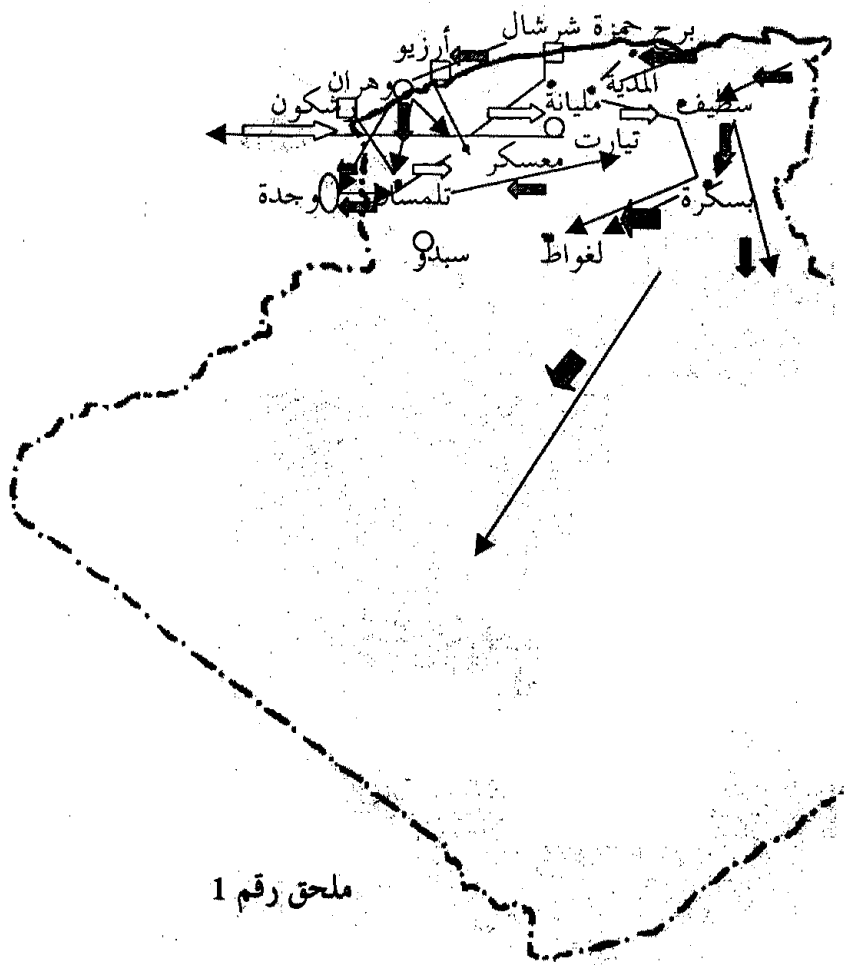
د. عمراوي حميده.....الريف والمدينة في استراتيجية

وصفوة القول يتبين مما سبق أن الأمير عبد القادر اهتم بالريف وبالمدينة لبناء دولة الجزائر برغم أنه ريفي المولد والنشأة. وأنه بمثل ما انطلق من القرية بالريف انتهى به الأمر إلى الريف وحتى إلى المدينة الريفية المتنقلة المتمثلة في ازالة.

والله الموفق

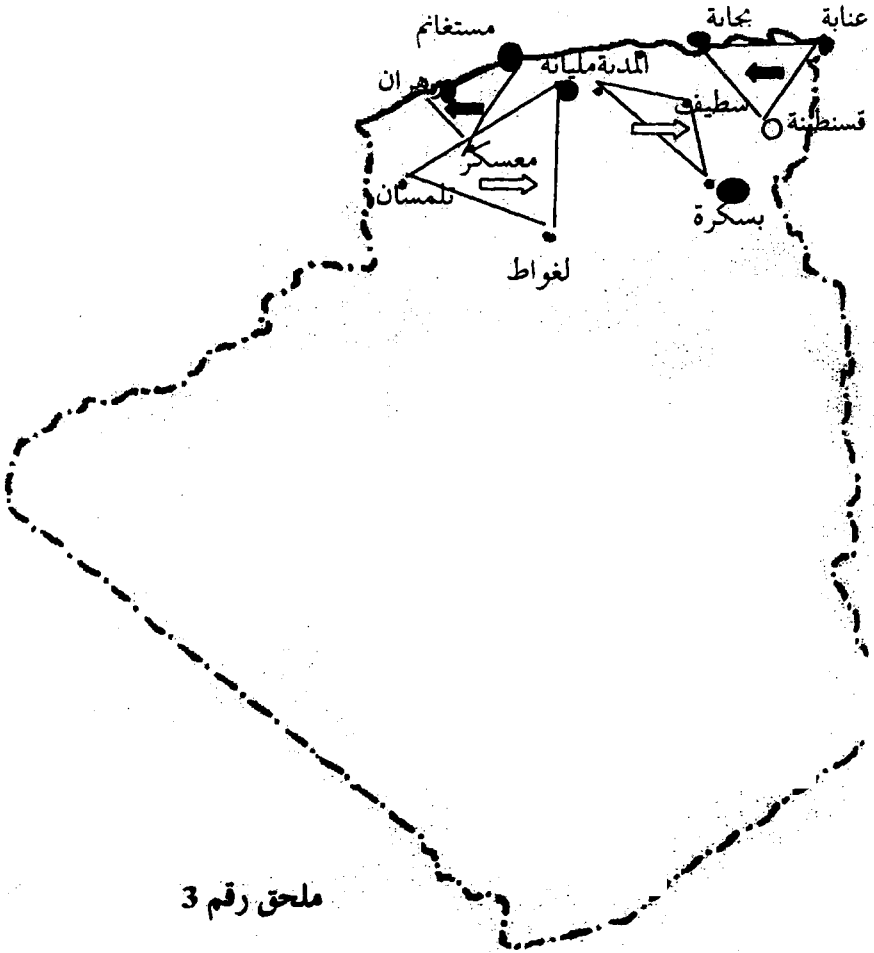
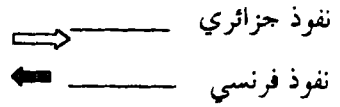
المكتبة الرقمية  
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- ⇒ بيان مجال المناورة للأمير عبد القادر ←
- ⇐ بيان مجال المناورة للسلطة الفرنسية ←
- مرفأً بحري تابع للأمير عبد القادر



## مقاطعات إدارية أسسها الأمير عبد القادر





ملحق رقم 3



## الترجمة عن اللغة التركية في الجزائر

تاريخها وواقعها

أ. خليفة حماش

جامعة الأمير عبد القادر

ترتبط حركة الترجمة عن اللغة التركية في الجزائر ارتباطا وثيقا بالعلاقات السياسية التي كانت قائمة بين الجزائر والدولة العثمانية منذ عام 1520م. ومن ثمة فإن تلك الترجمة قد اقتصر على الجانب التاريخي وما يتعلق به من وثائق ومؤلفات تخص تاريخ الجزائر في الفترة العثمانية دون أن تتجاوز ذلك إلى ميادين ثقافية وعلمية أخرى. وحركة الترجمة تلك على الرغم من أن آثارها لا تلمس في واقعنا الثقافي، إلا أنها موجودة فعلا، وهي قديمة قدم العلاقات الجزائرية التركية، ومستمرة حتى عصرنا الحديث. ولكي أوضح مسيرة تلك الحركة وأبين واقعها اليوم، فإني رأيت أن أتناولها في العنصرين الآتيين: التاريخ والواقع.

أولاً: التاريخ:

تعود حركة الترجمة عن اللغة التركية في الجزائر بجذورها التاريخية إلى العهد العثماني الذي يشكل مرحلتها الأولى، وبقيت مستمرة في عهد الاحتلال الفرنسي الذي يشكل مرحلتها الثانية، وتواصلت في عصرنا الحديث الذي يشكل مرحلتها الثالثة. وبخصوص المرحلة الأولى التي يمثلها العهد العثماني فقد تم فيها ترجمة أول عمل تاريخي يتعلق بالجزائر آنذاك وهو الكتاب المعروف باسم "غزوات عروج وخير الدين" الذي يذكر



المؤرخون ويكادون يتفقون حول ذلك، بأن خير الدين باشا الملقب "بارباروسا" السذي تم على يديه إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية في عام 1520م، هو الذي أملاه بنفسه باللغة التركية وبأمر من السلطان سليمان القانوني (1520 — 1566م)، على واحد من كتاب السير آنذاك وهو سنان جاووش. وقد كتبت تلك السيرة نثرا باسم "غزوات خير الدين باشا" ونسخت في نسخ عديدة ووزعت على مجالس القصاصين لروايتها<sup>1</sup>، كما كتبت شعرا أيضا على يد سيد مرادي بالعنوان نفسه، أو باسم "فتحنامه"<sup>2</sup>، ونشرت باستنبول عام 1965م<sup>3</sup>. وبخصوص ترجمتها إلى اللغة العربية في الجزائر فإن ذلك تم على يد أحد كتاب الإدارة العثمانية آنذاك بطلب من المفتي الحنفى سيدي محمد بن علي القلقلي (قول أوغلي) الجزائري الذي كان لا يعرف اللغة التركية، كما ذكر الناسخ -وهو محمد بن رمضان الدلسي- في الصفحة الأخيرة من المخطوط المحفوظة نسخة منه اليوم في المكتبة الوطنية بالجزائر تحت رقم 1622<sup>4</sup>، لأن المفتي المذكور كان -كما يبدو- من مواليد الجزائر، ولا نعرف نحن اليوم متى تولى وظيفة الإفتاء، وبالتالي فإننا لا نعرف تاريخ إنجاز الترجمة المذكورة، إلا أن ذلك قد تم قبل عام 1177هـ/1763م حيث حدث نسخ المخطوط مرة ثانية على يد محمد بن أحمد بن قاسم.

1-Babinger (Franz). Osmanli tarih yazarlari ve eserleri, çeviren Coskun Üçok, Ankara, T. T. K. Basimevi, 1982, s 86 - 87

2- المصدر نفسه، ص 88. يذكر بعض المؤرخين الأتراك بأن هناك قصيدة أخرى تروي غزوات خير الدين باسم "لجة الأخبار"، كتبها المؤرخ "علي" سماعا عن خير الدين.

3-Uzunçarsili (I. H), Osmanli tarihi, 2 ci cilt, 4 cü baski, Ankara, T. T. K. Basimevi, 1983, s 363, n 1).

4-Öztuna (Yilmaz). Osmanli Devleti tarihi, 2ci cild, İstanbul, Faisal Finans Kurumu, 1986, s 399.

وحسيما ورد في المصدر نفسه فإن كاتب الغزوات سواء بالنثر أم بالشعر هو شخص واحد، وهو مرادي سيد سنان جاووش.

4- راجع كذلك:

l'agnant (E). catalogue général des manuscrits de la Bibliotheque Nationale d'Alger, 2° edit., B. N. A. 1995, p 451.

وتوجد نسخة منه في المكتبة الوطنية في باريس تحت رقم 878 عربي. وقد نشره الأستاذ نور الدين بن عبد القادر في القاهرة عام 1934.

ويبدو أن تلك الترجمة صارت متداولة بين بعض علماء مدينة الجزائر في تلك الفترة، لأننا وجدناها ضمن قائمة من الكتب التي كانت تشكل مكتبة أحدهم<sup>1</sup>. وكما يبدو فإن حركة الترجمة عن اللغة التركية في الجزائر خلال هذه المرحلة قد اقتصرت على السيرة المذكورة دون غيرها، وذلك لأسباب ترتبط بالظروف السياسية والثقافية التي كانت سائدة آنذاك، وهي ليست محل حديثنا هنا.

وأما في المرحلة الثانية التي يمثلها عهد الاستعمار الفرنسي ابتداء من عام 1830م وحتى عام 1962م، فإن حركة الترجمة عن اللغة التركية في الجزائر قد عرفت بعثا قويا، وذلك لأسباب رئيسية ثلاثة، أولها الفضول العلمي الذي امتاز به بعض رجال التاريخ الفرنسيين آنذاك والذي دفعهم إلى حب البحث في تاريخ الجزائر العثماني من خلال مصادره العثمانية، ثم مؤسسات النشر النشطة التي أسسها الفرنسيون في الجزائر، من مطابع وجمعيات تاريخية ومجلات علمية اهتمت بنشر الأبحاث المنجزة، وأخيرا وجود رصيد ثري من الوثائق والسجلات التي تعود إلى الإدارة الجزائرية في العهد العثماني، وهي التي كانت بمثابة المادة الخام لحركة الترجمة المذكورة.

ومن ثمة فقد كان من الطبيعي أن تنشأ حركة ترجمة أوسع مما كانت عليه في العهد العثماني، ولكن ليس إلى اللغة العربية، وإنما إلى اللغة الفرنسية. وكان الرائد الأول لتلك الحركة ألبير دوفو Albert Devoulx الذي عينته الإدارة الفرنسية في عام 1848م محافظا للأرشيف الجزائري، فاستغل روحه العلمية وثقافته الشرقية التي ورثها عن والده الذي تعلم اللغة العربية في الجزائر من جهة، وكثافة الوثائق والسجلات الإدارية التي صارت بين يديه والمقدرة بعشرات الآلاف من جهة ثانية، وراح يخطط لمشاريعه العلمية المتعلقة بتاريخ الجزائر في العهد العثماني والقائمة على الترجمة والتأليف. وبخصوص تعامله مع الوثائق والسجلات

1 الأرشيف الوطني بالجزائر، قسم وثائق المحكمة الشرعية.

التركية فإنه كان يوكل ترجمتها إلى اللغة العربية لبعض الجزائريين الذين كانوا يعملون في الإدارة الجزائرية في العهد العثماني أو كانوا على صلة بها، ومنهم محمد بن مصطفى وبن عثمان خوجة كما وجد مسجلا في بعض أعمال دوفو، ومن الترجمة العربية تلك كان دوفو يقوم بإعداد الترجمة الفرنسية لتلك الأصول. وبذلك المنهج المزدوج قام بترجمة عدد من السجلات ومئات من الوثائق، وقد نشر بعضا منها وبقي بعضها الآخر، وهو الجزء الأكبر، محفوظا في مقر الأرشيف. وقد كان من حسن حظ المكتبة الوطنية في الجزائر أن ترسل إليها إحدى الفرنسيات قسما معتبرا من تلك الوثائق المترجمة، وتقدر ببضع مئات، وتشكل من الترجمة العربية التي أعدها كل من محمد بن مصطفى وبن عثمان خوجة، ومعها الترجمة الفرنسية التي أعدها دوفو عن الترجمة العربية تلك. ولكن الأصول التركية لتلك الوثائق بقيت مفقودة<sup>1</sup>. وظلت الترجمات التي أعدها دوفو لتلك الوثائق والسجلات التركية ونشر بعضها إما منفردة أو في المجلة الإفريقية، تشكل حتى عصرها الحديث مصادر مهمة للباحثين في تاريخ الجزائر العثماني. ومن تلك الترجمات:

-Tachrifat: recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne Régence d'Alger. Alger, imp. du gouvernement. 1852. B.N. Alg. 58.794.réserve.

وسجل التشريفات المذكور هو واحد من سجلات الإدارة العثمانية في الجزائر، وبه تسجيلات رسمية لعمليات التعيين والعزل في الوظائف، وأخبار عن الأحداث العسكرية والسياسية التي شهدتها الجزائر في ذلك العهد. ونظرا إلى تلك الأهمية التي يكتسبها ذلك السجل فإنه يعد من أبرز المصادر المعتمدة في كتابة تاريخ الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي. وقد احتفظت المكتبة الوطنية الجزائرية بالنسخة التركية الأصلية لهذا السجل، وهو موجود بما اليوم تحت رقم 1649.

1 حول تفاصيل ذلك راجع عملنا: كشاف الوثائق عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين بالجزائر وتونس، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، تونس، مؤسسة التميمي للبحث العلمي، 136 - 1996/14، المقدمة، ص 286 - 310.

أ. خليفة حماش..... الترجمة عن اللغة

- le registre des prises maritimes, tr. d'un document authentique et inédit concernant le partage des captures amenés par les corsaires algériens. Alger, typographe A. Jurdan, 1872. B.N. Alg. 56.266.

وهذا العمل هو ترجمة لسجل الغنائم البحرية التي كان الجزائريون يأخذونها من السدول العدوة لهم في عرض البحر، ويقومون باقتسامها وفق القوانين التي كانت سائدة آنذاك. والأصل التركي لهذا السجل يعد مفقودا.

-Ahd Aman, in: R. A., vol. 47/ 1859 - 60.

وعهد الأمان المذكور هو وثيقة تشبه الميثاق تتعلق بالنظام العسكري في الجزائر.

-Coopération de la Régence d'Alger à la guerre de l'indépendance grecque, in: R. A., vol. I et II/ 1856 et 1857.

وهو بحث نشر دوفو ضمنه ستا وعشرين وثيقة تتعلق بدور الجزائر في الحرب اليونانية العثمانية التي اندلعت عام 1822م، وكانت ثمان عشرة منها هي ذات أصول تركية، والوثائق الثماني الباقية ذات أصول عربية<sup>1</sup>. ذلك بغلاوة على أعمال أخرى تتجنب ذكرها مخافة الإطالة.

وأما الشخصية الفرنسية الثانية التي أسهمت بعد دوفو في دفع حركة الترجمة عن اللغة التركية في الجزائر في المرحلة التي نحن بصدها فهو عالم اللغويات والأكاديمي الشهير جان ديني Jean Deny الذي يعتبر واحدا من ألمع المستشرقين في القرن العشرين، وأبرز المختصين في الدراسة التركية بما كان يملكه من معرفة واسعة باللغة التركية ولهاجتها المختلفة، وما يتعلق بها من قواعد وأساليب ودلالات لفظية، فاستغل المعرفة تلك في البحث والتأليف في تاريخ الأتراك ولغتهم معتمدا على الأصول التاريخية من وثائق ومؤلفات، واستطاع أن ينجز بخصوص ذلك أعمالا رائدة ظلت إلى عصرنا هذا تشكل مصادر معرفية مهمة للباحثين<sup>2</sup>.

1- حول تفاصيل ذلك راجع: المصدر نفسه، ص 290 - 291.

2- نذكر من ذلك:

وبمخصوص حركة الترجمة عن اللغة التركية في الجزائر فإن أهم عمل أسهم به فيها هو ترجمته لأناشيد الجنود الإنكشارية التي عثر عليها مستسخة في مخطوط بالمكتبة الوطنية بالجزائر. وقد أرفق تلك الترجمة بالنصوص الأصلية للأناشيد محققة ومصححة. وهي أناشيد تتطرق إلى حياة الجنود الإنكشارية وسط عائلاتهم وفي المجتمع وفي ميادين القتال أثناء المواجهات العسكرية ضد لأوروبيين. ويوجد ذلك المخطوط اليوم في المكتبة الوطنية بالجزائر تحت رقم 1817. وعنوان تلك الترجمة هو:

*Chansons des janissaires turcs d'Alger, in: Mélanges René Basset. Paris. Ernest Leroux, 1925.*

وإلى جانب الترجمة المذكورة فقد أعد ديني دراستين حول وثائق الجزائر التركية هما في غاية الأهمية للباحثين، إحداهما حول سجلات رواتب الجنود الإنكشارية المحفوظة في المكتبة الوطنية، وهي ثمانية وعشرون دفترا ضخما. وتعد تلك الدراسة مفتاحا لا غنى عنه لأي باحث في دراسة الموضوعات المتعلقة بالجيش الجزائري في العهد العثماني. وتلك الدراسة هي: *Les registres de solde des janissaires conservés à la bibliothèque nationale d'Alger, in: R. A., vol. 61/1920.*

وأما الدراسة الأخرى فتتعلق بأرشيف الجزائر في الفترة العثمانية بشكل لعام، وهي:

*-A propos du fond arabo - turc des archives du gouvernement général de l'Algérie, in: R. A., vol. 62 / 1921.*

ومن الأساتذة الذين أسهموا في حركة الترجمة التي نحن بصددنا نذكر كذلك المستشرق

غابريال كولين Gabriel Colin (ولد عام 1893 م)، وكان مثل جون ديني، أستاذا في مدرسة

---

وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة التركية نفسها على يد علي علوي أوفه Ali Ulvielove، ونشر متفرقا في عدة أجزاء بمطبعة المعارف Maarif Matbaasi باستنبول في سنوات متفرقة، إذ نشر الجزء الثاني منه عام 1942، والجزء الثالث عام 1943، وهكذا ...

أ. خليفة حماش..... الترجمة عن اللغة

اللغات الشرقية بباريس، كما كان عضواً في مجمع اللغة العربية بدمشق<sup>1</sup>. وكان العمل الذي أسهم به في الموضوع محل حديثنا هنا هو:

-Corpus des inscriptions arabes et turques d'Algerie, Paris, Ernest Leroux; 1901.

وهو مؤلف جمع فيه الكتابات الأثرية الموجودة في الجزائر من عربية وتركية وترجمتها إلى اللغة الفرنسية.

والأستاذ الرابع الذي يجدر ذكره هنا هو أوتو كار دو شليكتا Ottocar de Schlehta، وهو من جنسية لا نعرفها، وتمثل عمله في ترجمة تقرير للحاج أحمد أفندي الذي كان مفتياً في الجزائر قبل الاحتلال، حول أحداث النزاع بين فرنسا والجزائر والحملة العسكرية التي نتجت عن ذلك في عام 1830م. وقد أرفق المترجم ترجمته بالنص التركي لذلك التقرير، كما فعل جون ديني بخصوص أناشيد الجنود الانكشارية، ونشر ترجمته تلك في المجلة الآسيوية، وهي:  
-La prise d'Alger racontée par un algérien, in: J. A., vol. 20 /1862.

وأما الأستاذ الخامس الذي أسهم في حركة الترجمة عن اللغة التركية بخصوص تاريخ الجزائر، فهو المؤرخ التركي أرجمند قوران Ercüment Kuran الذي ترجم رسالة من حسين باشا آخر ولاية الجزائر العثمانيين إلى الصدر الأعظم باستنبول حول أحداث النزاع بين فرنسا والجزائر وأسبابه المباشرة، وقد أرفق ترجمته الفرنسية بصورة للرسالة الأصلية المكتوبة باللغة التركية، ونشر عمله ذلك في المجلة الإفريقية، وذلك كما يأتي:

-La lettre du dernier Dey d'Alger au Grand Vezir de l'Empire Ottoman: in: R. A. /1952.

وأما المرحلة الثالثة التي تمثلها الفترة المعاصرة الممتدة بعد عام 1962م فقد مثل حركة الترجمة عن اللغة التركية فيها بخصوص الجزائر مجموعة من الأساتذة أغلبهم ليسوا من فرنسا أو البلدان الأوروبية الأخرى كما كان الحال عليه في المرحلة الثانية، وإنما من البلاد العربية، ويأتي في مقدمة هؤلاء الأساتذة الباحث والعالم التونسي عبد الجليل التميمي الذي دفعه

<sup>1</sup> راجع بخصوصه: نجيب العقيقي، المستشرقون، ج 1، القاهرة، دار المعارف، 1980م ص 291 - 292.

اهتمامه بتاريخ المقاومة الجزائرية ضد الفرنسيين على يد الحاج أحمد باي، إلى الاهتمام بوثائق الجزائر في العهد العثماني بشكل عام، والموجودة في الجزائر وفرنسا واستنبول. ومما ميز أعمال هذا المؤرخ بخصوص وثائق الجزائر أنه لم يكتف بنشرها باللغة العربية أو الفرنسية فقط، وإنما بكلتا اللغتين. ونذكر من تلك الأعمال:

- موجز الدفاتر العربية والتركية بالجزائر، تونس، منشورات المعهد الأعلى للتوثيق، 1983.

وهو عمل رتب فيه أقسام السجلات الإدارية الموروثة عن الإدارة العثمانية بالجزائر، وبين أماكن حفظها، وشرح مضمونها.

- بحوث ووثائق في التاريخ المغربي، الجزائر وتونس وطرابلس (1816 - 1871م)، تونس، الدار التونسية للنشر، 1972م.

وهو كتاب تناول فيه أربعة موضوعات حول الجزائر، أحدها يتعلق بموقف الدولة العثمانية من ثورة الشرق الجزائري عام 1871، والثاني يتعلق بكتاب المرأة لحمدان بن عثمان خوجة، والثالث بالعلاقات بين الأمير عبد القدر والباب العالي، والرابع بالحملة الإنكليزية على الجزائر عام 1816م. وقد ألحق بتلك الدراسات الأربع جميعا سبعا وعشرين وثيقة، منها إحدى عشرة ذات أصول تركية قام بترجمتها إلى اللغة العربية والفرنسية.

- أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول، المجلة التاريخية المغربية، ع6/ جويلية 1977.

وهي الرسالة التي طلب فيها الجزائريون من السلطان العثماني إحقاق بلادهم بالدولة العثمانية من أجل حمايتها من الاعتداءات الإسبانية. وقد كُتبت تلك الرسالة في أصلها باللغة العربية، ولكن عملية البحث لم تسفر سوى على العثور على ترجمتها التركية التي قُدمت للسلطان سليم. وقد ترجمها الدكتور عبد الجليل التميمي مرة أخرى إلى العربية، وكذلك إلى

الفرنسية، وألحق بها نص ترجمتها التركية. وتعد تلك الرسالة في غاية الأهمية لأنها تحدد لنا تاريخ إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية والدواعي التي كانت وراءه والطريقة التي تم بها ذلك. - الخلفية الدينية للصراع الإسباني العثماني على الأيالات المغربية في القرن السادس عشر، المجلة التاريخية المغربية، تونس، ع 10-11/ جانفي 1978، ص 5 - 44.

وبه نشر الباحث ثماني عشرة وثيقة عثمانية مترجمة إلى اللغة العربية، أربعة منها تتعلق بالجزائر، وهي ذات الأرقام 5، 7، 8، 9.

- السياسة لعثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر (1828 - 1848م)، مؤلفه المؤرخ التركي ارجمنت قوران الذي سبق الإشارة إليه، ونشر الكتاب في تونس في طبعته الثانية علم 1974.

أما الأستاذ العربي الثاني الذي أسهم في حركة الترجمة عن اللغة التركية بخصوص الجزائر في هذه المرحلة من تاريخ الحركة فهو الجامعي السنوري الدكتور محمود علي عامر أستاذ التاريخ بجامعة دمشق، وكان إسهامه ذلك بأن شارك في ترجمة واحد من أهم المؤلفات التركية الحديثة حول تاريخ الجزائر والبلاد المغاربية عامة في العهد العثماني، ونقصد به الكتاب الذي أنجزه عزيز سامح إلتير Aziz Samih Ilter بعنوان "الأترك في شمال أفريقيا Simali Afrika'da Türkler" الذي صدر في لغته التركية وبجزئيه الأول والثاني، باستنبول عامي 1936-1937. وما يمتاز به هذا الكتاب أن صاحبه اعتمد في إنجازه على الوثائق العثمانية المحفوظة بالأرشيف التركي باستنبول، وقد أورد كثيرا منها بشكل كلي أو جزئي ضمن فصول الكتاب، تارة في المتن، وتارة أخرى في الحواشي. كما اعتمد أيضا على مؤلفات حول الجزائر وبلاد المغرب عامة أنجزها فرنسيون وألمان. ويتعلق الجزء الأول من الكتاب بتونس وطرابلس، وقد ترجمه إلى العربية عبد السلام أدهم، ونشر في طرابلس عام 1969م. أما



الجزء الثاني منه فيتعلق بالجزائر والمغرب الأقصى، وهو الذي ترجمه الدكتور محمود علي عامر، ونشر في بيروت على مطابع دار النهضة العربية عام 1409 هـ/1989م.

وأما الأستاذ العربي الثالث الذي أسهم في حركة الترجمة عن اللغة التركية في الجزائر فهو صاحب هذا العمل المتواضع، وذلك من خلال ثلاثة أبحاث أنجزتها الأستاذة التركية الدكتورة مينا أرول Mine Erol أستاذة التاريخ بجامعة قونيا، حول: العلاقات بين الأيالات المغاربية (الجزائر وتونس وطرابلس) وبين الولايات المتحدة الأمريكية في العهد العثماني، ونشرت لي تلك الترجمة في المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، في عددها 11 - 12/1995، ص 43-123. وما ميز البحث المتعلق بالجزائر أن به الترجمة العربية للنص التركي للمعاهدتين اللتين عقدتهما الجزائر مع الولايات المتحدة عامي 1795 و1816م.

وهناك أستاذ آخر ينبغي ألا نغفط حقه هنا في موضوعنا وهو الأستاذ التركي فكري طونة المتخرج في كلية العلوم الدينية بجامعة استنبول، والذي أحضره الشيخ توفيق المدني رحمه الله إلى مركز الدراسات التاريخية في عام 1978م واسند إليه ترجمة الوثائق التركية التي تتعلق بالجزائر في العهد العثماني، وكان الشيخ قد أحضرها على شكل صور فوتوغرافية من الأرشيف التركي باستنبول، وعددها 3300 وثيقة عبارة عن مراسلات بين ولاء الجزائر والباب العالي وتقارير مختلفة عن الجزائر قدمت من جهات متعددة للسلطان باستنبول. وقد انكب الأستاذ المذكور على عمله مستغلا معرفته باللغتين العثمانية والعربية، واستطاع حتى عام 1985م أن يترجم ألف وثيقة<sup>1</sup>. وقد رجع الأستاذ المذكور بعد ذلك إلى بلاده دون أن يكمل مهمته. وتوجد الوثائق المذكورة اليوم في الأرشيف الوطني بالجزائر، ويعتبر القسم المترجم منها مادة أولية ثمينة للباحثين في تاريخ الجزائر.

1 راجع: فكري طونة، الوثائق العثمانية وأهميتها عند الشيخ أحمد توفيق المدني، مجلة التاريخ، الجزائر، مركز الدراسات التاريخية، ع198/18، ص 49 - 75.

## ثانياً - الواقع:

إن لفظه "الواقع" التي حددنا بما عنوان هذا العنصر هي واسعة المعنى، وهي تقسرت في ذلك من كلمة "التقويم". ولكي نتحدث عن واقع حركة الترجمة التي نحن بصدددها أو تقويمها فإنه يتحتم علينا تحديد الجوانب التي يقوم عليها ذلك الحديث، وهي في جميع الحالات كثيرة وأكبر من أن يستوعبها عمل مختصر مثل عملنا هذا، ومن ثمة فقد اخترنا أن يكون حديثنا يهدف إلى توضيح عنصر واحد فقط هو إسهام الجزائريين في حركة الترجمة موضوع حديثنا وموقفهم منها في عصرنا الحديث ومدى الإمكانيات العلمية التي يتوفرون عليها لكتابة تاريخ الجزائر العثماني، وفهم تاريخ العالم الإسلامي جملة في خلال القرون الستة الماضية. ولكي أفلح في ذلك فإني رأيت أن يكون حديثي من خلال النقاط الآتية:

1- كما اتضح لنا من القسم الأول من هذا العمل فإن إسهام الجزائريين في حركة الترجمة المتعلقة ببلادهم هي قليلة جدا بحيث تكاد لا تذكر، ومرد ذلك إلى عوامل عديدة وفي مقدمتها قلة الاهتمام باللغة التركية في جامعاتنا، وهجرة العلماء المختصين من بلادنا، وضعف حركة التأليف والنشر عندنا.

2- إن الأعمال المترجمة التي أعدها دوفو، وهي أهم الأعمال جميعا حجما وقيمة علمية على امتداد المراحل الثلاث، لا تزال تعد المصدر الأساس في حركة البحث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، وذلك على الرغم من أن دوفو ثبت عنه بما لا يثير أي شك أن ترجمته كانت في كثير من الأحيان غير سليمة ولا تطابق نصوص الوثائق التركية الأصلية، بل أنه كان يضيف عبارات وينقص أخرى ويخطئ في فهم عبارات غيرها. وهو ما اكتشفه عنه

1 نذكر منهم الزميل شكيب بن حفري الذي أعد رسالته للماجستير بجامعة استنبول، ورسالة الدكتوراه بإسبانيا. وقد حدثني يوما بأنه ينوي ترجمة دفتر التشریفات إلى العربية عن نسخته التركية الأصلية، ولكن ذلك العمل لم يتم.

الأكاديمي الفرنسي جون ديني الذي سبق الإشارة إليه، فقل عنه في بحثه حول سجلات مرتبات الجنود الانكشارية:

"إنه كان مرغما [بسبب عدم معرفته اللغة التركية] على ترجمة الوثائق إلى العربية وبعدها إلى الفرنسية، ومن ثمة فإنه فتح المجال لنفسه لكي يقع في خطأين بدل خطأ واحد، ومن ثمة فقد جاءت الأخطاء كثيرة في أعماله المترجمة، ويمكن اكتشاف ذلك بسهولة عند مقارنة النص الأصلي من دفتر التشريفات المحفوظ في المكتبة الوطنية بالجزائر، بنص الترجمة التي أعدها له ونشرها بعنوان Tachrifat.

"ونحن نشعر بالحزن عندما نرى البعض يعتقدون بأن ذلك الكتيب [المترجم] يشكل مصدرا للبحث ويؤخذ على أنه مطابق للأصل.

"وعندما يتعلق الأمر بالكتاب المذكور فإنه بإمكاننا الرجوع إلى الأصل عندما نكون في الجزائر، ولكن في مقابل ذلك ما عسانا أن نفعل بخصوص الأعمال الأخرى التي أنجزها المؤلف المذكور ولم يذكر الوثائق الأصلية التي اقتبس منها المعلومات الواردة فيها"<sup>1</sup>.

وقد التفت المستشرق الفرنسي هنري دو كاستري (1848 — 1927) إلى تلك الملاحظة التي أوردها جون ديني حول أعمال دوفو المترجمة عن اللغة التركية، عندما أراد أن ينقل ما ورد في دفتر التشريفات من معلومات عن الحرب التي اندلعت بين الجزائر وسلطنة فاس علم 1103 هـ/1691م بسبب الحدود بين البلدين، وقاد الجيشان فيها الداي الحاج شعبان على الجانب الجزائري، والسلطان مولاي إسماعيل على الجانب المغربي. وهدف دو كاستري من ذلك أن يورد تلك المعلومات في الجزء الثالث من كتابه الشهير حول "مصادر المغرب الأقصى غير المنشورة" والذي صدر بباريس عام 1927. فقام بتصوير الفقرات التركية المتعلقة بتلك المعلومات من دفتر التشريفات الأصلي المحفوظ في المكتبة الوطنية بالجزائر، وحملها إلى

<sup>1</sup> Deny (Jean). Les registres de solde des janissaires. in R.A / vol. 61 / 1920, p 21.

جون ديني في باريس ليترجمها له رأساً إلى الفرنسية. ولكي يمكن دو كاستري القارئ من المقارنة بين الترجمتين: ترجمة دوفو من جهة، وترجمة جون ديني من جهة أخرى، للفقرات المذكورة، فإنه أورد في كتابه المذكور الترجمتين معاً، علاوة على النص التركي للفقرات المترجم عنها (صورة ونسخاً). وبقراءة بسيطة للترجمتين ومقارنتهما بالنص التركي الأصلي، يمكن بسهولة معرفة الترجمة السليمة، وهي التي أعدها جون دوبي، من الترجمة غير السليمة، وهي التي أعدها دوفو. ودن أن نذكر ذلك هنا فليراجع في مصدره<sup>1</sup>.

وعلاوة على ذلك كله فإنني شخصياً قمت في عملي المتواضع حول وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني المحفوظة في المكتبتين الوطنيتين الجزائرية والتونسية، بمقارنة الترجمة العربية التي وضعت بطلب من دوفو للوثائق التركية، بالترجمة الفرنسية التي أعدها بعد ذلك دوفو عن تلك الترجمة العربية، وتمكنت من اكتشاف عدد كبير من الأخطاء التي ارتكبها دوفو في ترجمته الفرنسية لتلك الوثائق، وأشرت إلى ذلك في مقدمتي للعمل المذكور حتى أنه الباحثين إلى مدى الحذر الواجب اتخاذها في أثناء تعاملهم مع أعمال دوفو<sup>2</sup>.

ولكن مع ذلك كله فإن أعمال دوفو المترجمة بقيت وستبقى في مقدمة المصادر الأولية المعتمدة لدى باحثينا في تاريخ الجزائر العثماني، وذلك لسببين رئيسيين، أولهما عدم معرفة هؤلاء الباحثين باللغة التركية<sup>3</sup> التي تسمح لهم بالرجوع إلى المصادر التركية الأصلية وفي مقدمتها سجل التشريفات الأسير الآن بين جدران مخزن المخطوطات بالمكتبة الوطنية تحت

<sup>1</sup>Castries (H. de). Les sources inédites de l'histoire du Maroc, 2 é série, T. III, Paris. Gueuthner. 1927. pp 499 - 513.

<sup>2</sup> راجع الهامش رقم 6 أعلاه.

<sup>3</sup> لقد بينت بعض مظاهر الخطأ التي يقع فيها باحثونا في تاريخ الجزائر في العهد العثماني أثناء تعاملهم مع المصطلحات التركية في بحث هو: أهمية اللغة التركية في دراسة مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، عدد خاص: تحية وتقديري للأستاذ خليل ساحلي أوغلي، تونس، مركز التميمي للبحث العلمي والمعلومات، أكتوبر 1977.

وطأة تأثير العوامل الطبيعية، والسبب الثاني هو فقدان أغلب الأصول التركيبية أو ترجمتها العربية التي أعد عنها دوفو ترجمته الفرنسية.

3 — وقد كان ذلك بخصوص الترجمات التي أعدها دوفو، أما بخصوص الترجمات التي أعدها غيره ومنهم جون ديني، فإن ما تعكسه بخصوص واقع الترجمة عن اللغة التركيبية في بلادنا يتمثل في أن سجلات مراتب الجنود الانكشارية التي أنجز حولها جون ديني دراسته، على الرغم من وجودها حالياً في المكتبة الوطنية الجزائرية، فإن شأنها شأن دفتر التشريفات، هي حبيسة جدران أحد مخازن المكتبة، فلا أحد من الباحثين لجأ إليها في دراسته على الرغم من أهميتها، خصوصاً في الموضوعات المتعلقة بالجوانب العسكرية، وقد تأكلت أجزاء منها بفعل الأوضة والرطوبة والغبار وغيرها من عوامل الطبيعة المؤثرة.

4- إن الرسالة الأولى التي بعث بها سكان مدينة الجزائر إلى السلطان العثماني سليم الأول وطلبوا منه فيها قبول انضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية، لم تعرف لدى باحثينا إلا بعدما ترجمها الدكتور عبد الجليل التميمي ونشرها في المجلة التاريخية المغربية عام 1977 م، مع أن اكتشافها في أرشيف طوب قاي سراي Top Kapi Sarayı باستنبول قد حدث - كما يبدو لي - قبل ذلك بنحو أربعين سنة على يد المؤرخ التركي إسماعيل حقي أوزنجار شيلي الذي أشار إليها في الجزء الثاني من كتابه تاريخ الدولة العثمانية الذي صدر في طبعته الأولى عام 1943 م<sup>1</sup>. وفي ذلك دليل آخر على واقع الترجمة عن اللغة التركية في بلادنا.

5- إن الجامعات الكبرى بأوروبا وبعض البلاد العربية يعنى فيها بتعليم اللغة التركية والدراسات المتعلقة بها عناية فائقة، فيها أقسام متخصصة في ذلك، ولها أساتذة ذوو مستوى عال في معرفة اللغة التركية ولهم إلمام واسع بعناصر تراثها، من مصادر ومؤلفات تاريخية وأدبية، وواقفون على متابعة قضاياها في الساحات العلمية. ومن ثمة وجد بتلك الدول

1 Uzunçarsil، المصدر السابق، ص 368، هامش 2.

أ. خليفة حماش..... الترجمة عن اللغة

حركة ترجمة مستمرة من تلك اللغة<sup>1</sup>، ناهيك عما أنجز حولها من قواميس<sup>2</sup> وكتب قواعد<sup>3</sup> تسهلا لدراستها بشكليها القديم والحديث. أما في بلادنا فيكاد لا يوجد شيء من ذلك، ومن ثمة فلا نتظر أن تقوم لدينا حركة للترجمة عن تلك اللغة، على الرغم من أن تاريخنا يرتبط بما بمدة تزيد عن ثلاثة قرون، وأن موضوعات كثيرة منه يصعب علينا فهمها بمعزل عما كتب بتلك اللغة من مصادر ومؤلفات، سواء في العهد العثماني أم في العصر الحديث. وفي الختام أتمنى أنني قد وضحت الموضوع بما فيه الكفاية، وأرجو أن يحقق فائدة في سياسة التنظير المستقبلي لحركة الترجمة بشكل عام في بلادنا، لعلنا نصل بذلك إلى مصاف الدول المتقدمة في فهم تاريخنا فهما صحيحا ومستقلا، كما نفهم أيضا علاقاتنا مع الشعوب التي يجمعنا بها التاريخ والدين.

المكتبة الرقمية  
عبد القادر للعلوم الإسلامية  
جامعة الأمير

1 إن الترجمات عن اللغة التركية كثيرة، سواء في أوروبا أم في البلاد العربية، ونحن لا نتقال العمل فلا داعي إلى التطرق إليها.

2 من أشهر تلك القواميس:

Bianchi (T.X.) et Kieffer (J.D.), Dictionnaire Turc - Français, Paris, 1850, 2 vols, 1318 ps.

Redhouse (Sir James W), Turkish and English lexicon, Constantinople, 1890, 2224 ps.

3 من أهم كتب القواعد هو ما ألفه جون ديني، وقد سبق الإشارة إليه، راجع هامش رقم 8 أعلاه.

## تحفيظ التاريخ بين العالمية والعمومية



أ. إسماعيل سامحى

جامعة الأمير عبد القادر

إن تطور دراسة التاريخ، وتطور مناهجه يرتبط أساسا بمستوى حضارة كل أمة حيث أن الأمة المتطورة لا تقرض هيبتها على الأمم الأخرى سياسيا واقتصاديا فحسب بل هيبتها الثقافية ذلك أن الأمم العظمى قادرة دائما على تصدير الأفكار كما هي قادرة على تصدير البضائع، وأما واقعة من أن تصديرها للأفكار يكون بصورة مجردة؛ وضمن كل بضاعة ومادة، وبالتالي فتأثيرها يكون مباشرا، وبمس كل المراتح الاجتماعية، في حين لا تم صادرات الدول الضعيفة إلا القلة من أفراد المجتمع، ولذلك فالتاريخ الثقافي بالنسبة للأقوى يصبح مهما جدا حيث تجعل الدول أو الشعوب ضرورة تطور تاريخها مقياسا لتطور تاريخ الأمم الأخرى خاصة الضعيفة منها فتكيف تطورها كما تكيف سياستها واقتصادها، وتجعل العالم عالما.

ورغم أن هذا المعيار غير ثابت بنص الوحي الإلهي: "وتلك الأيام نداؤها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين"، وتطور الأمم وحضارتها فاليونانيون، والرومانيون، والعرب المسلمون، والأوروبيون، جعل كل منهم العالم عائله وهو مركزه، وغيره هوامش ولواحق، فاليونانيون والرومانيون جعلوا من أثينا ثم روما مركز العالم، كما جعل العرب المسلمون بغداد كذلك، وفي العصر الحديث أوروبا الغربية، وفي عصرنا شمال القارة الأمريكية وبالذات الولايات المتحدة الأمريكية.

١. إسماعيل سامعي.....تحقيب التاريخ  
ومنذ قيام الدولة العربية الإسلامية أخذت معالم كرتنا الأرضية تتضح إلى أن توجهت تلك  
الاكتشافات الجغرافية، وأسهمت في تقريب جهاتها المواصلات والاتصالات الحديثة، وما  
نتج عن ذلك من سرعة للتبادل في البضائع والمعلومات، ومن هنا فإن هذه الأمم حاولت  
وتحاول عالمية وعولمة السياسة والاقتصاد والفكر والثقافة بجعل نموذجها المهيمن في هذه  
المجالات وغيرها.

وأكثر ما اهتمت به هذه الأمم ومازالت التاريخ فوجته ووجهتها، وصنفت فيه  
الموسوعات العالمية وفق مناهج خاصة أبرزها تقسيمه إلى عصور أو حقب وفق تطورها أو  
تطور العالم بحسب منظورها، وإذا كان الظاهر فيه هو التقسيم للتاريخ لفهم مراحل تطوره،  
وإدراك حركيته المتصلة بالمتجمع، فإنه في الوقت نفسه يهدف إلى تحقيق غايات على درجة  
كبيرة من الأهمية وهي:

أولاً: كل تقسيم يهدف إلى الارتقاء بالتاريخ إلى العالمية التي تجلت مظاهرها في  
"العرقى" أو "الكوي" أو "التقاي".

ثانياً: هيمنة تاريخ تلك الأمة على كل أحداث العالم وجعلها تسير في مجال تاريخها.

ثالثاً: جعل كل أحداث الماضي على اختلافها واختلاف مناطقها الجغرافية، وعناصرها  
السكانية عبارة عن روافد تنتهي في تاريخ تلك الأمة، إنها نهاية التاريخ وفق نظرية فوكسي  
ياما<sup>١</sup>.

وفي هذه الدراسة اخترت ثلاثة نماذج لتقسيم التاريخ أو تحقيقه كانت قد بلورت حقاً  
العالمية والعولمة<sup>٢</sup>، والنماذج هي: النموذج العربي الإسلامي المبني على أساس وحدة الكون

١- فوكسي ياما، يباين متأمر ككب هذه الدراسة "نهاية التاريخ" ليقول أن مسار التاريخ البشري انتهى في  
النظام الديمقراطي الأمريكي أو الغربي الذي لا بد أن يسود العالم، إنه يعبر عن العولمة، وهي دراسة عقبتها  
دراسات أخرى ذهب أصحابها إلى القول بنظرية صدام الحضارات، ودراسة فوكسي ياما مترجمة وللمزيد  
من المعلومات يحسن الرجوع إليها.

٢- فيما توضيح مفهوم العولمة يحسن الرجوع إلى الدراسات الكثيرة التي تناولته بالتفصيل نذكر منها على  
سبيل المثال، العدد الخاص بالعولمة في مجلة "عالم الفكر"، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - بدولة



١. إسماعيل سامعي .....تحقيب التاريخ  
الذي يوضحه الخطاب القرآني (يا أيها الناس) التي وردت في القرآن، عشرين (20) مرة،  
(و(رب العالمين) واحد وستين(61) مرة، والنموذج الأوربي المستند إلى التطور العرق الأوربي،  
والنموذج الأمريكي الذي أساسه التفاعل الثقافي، وعرضنا لهذه النماذج ضمن جداول  
ستيسر الولوج في فهم أعماق الموضوع وتزيده إيضاحا.

إن تحقيب التاريخ عند المسلمين لم يكن اكتشاف صدفة، ولا اجتهاد بشر بل هو أولاً  
توجيه من الله الذي جعل الرسالة المحمدية خاتمة لرسالات خاصة بمجتمعات محددة، وفاصلة  
بين عهد الجزئيات، وعهد الشمولية، ورسالة للبشر كافة، ومن ثم فتقسيم التاريخ عند  
العرب والمسلمين جاء في هذا السياق، والنموذج الأتي يلقي الضوء على ذلك:

### تحقيب التاريخ عند العرب المسلمين بالاعتماد على الطبري وابن خلدون<sup>١</sup>

التحقيب	الزمن	العصور	تحديد الفترات	الخصائص
ما قبل الإسلام	622م/601م	الزمان	-	الزمن مسألة غيبية/الدهر هو أنا، -حديث شريف-
		خلق الكون	فترة خلق الكون	
		الأنبياء والرسل	من آدم إلى محمد عليهم السلام	النبوت والرسالات السموية رسالة واحدة من آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم
		الإمبراطوريات والممالك والدول	بابل ومصر، الفرس، الصين، الرومان، البيزنطيون	تنصب النظرة على تدهور هذه الإمبراطوريات والممالك والدول

الكويت، م 82، العدد 02، عام 1999، وفيخ العولمة، لثانس - بيتر مارتين، وهارالد شومان، ترجمة  
عدنان رمزي زكي، إصدار نفس المجلس الكويتي 238، عام 1998.  
١- يمكن الرجوع إلى مقدمة الطبري لكتابه "تاريخ الأمم والملوك" ط، عز الدين 1985، 7، 6/1، الذي  
بلور منهجه في كتابه، وتقسيمه للتاريخ، وفي ص، 8، وبعنوان: "القول في الزمان ما هو" ثم يعرض العصور  
التاريخية كما هي موضحة في الجدول، أما ابن خلدون فإنه بعد أن يتحدث عن الزمان في المقدمة، يتحدث  
في مقدمة كتابه العبر ج، 2، دار الكتاب اللبناني، 1977، 3/2، عن الخلق ثم إلى ما أتى إليه الطبري مع بعض  
الفوارق.

١. إسماعيل سامعي .....تحقيب التاريخ

الإسلام	622م + 01هـ	عصر النبي -ص-	-دولة النبي -ص- -الدولة الراشدة	-من البعثة إلى الوفاة -المودج
		-عصر الخلفاء الراشدين -عصر الأمويين	-الفتوح / التوسع	-التأسيس للعانية
		عصر العباسيين	-العانية	-مظاهر العانية
		عصر العثمانيين	-الدفاع	توقف التطور اخضاري /التدهور
		عصر النهضة	النهوض الحديث	مواجهة هيمنة الآخر

الاستنتاجات: يستنتج من هذا التقسيم المعتمد أساسا على منهجي الطبري وابن خلدون ما يأتي:

أ - يعد الطبري - أبو التاريخ العربي الإسلامي - هو رأس الاتجاه العربي الإسلامي في تحقيب التاريخ من حيث المنهج الاستقرائي الشامل الذي اعتمده، وأكمله اليعقوبي، والبلاذري، والواقدي، وابن سعد واتبعه بعده المسعودي، وابن مسكويه، وابن الجوزي، وابن الأثير، وابن الفداء، والذهبي، وابن خلدون.

ب - عصر (الجاهلية) في التحقيب مفهوم يحتمل عدة تفسيرات منها ما يخص الانحطاط الذي وصلته البشرية قبل البعثة المحمدية، وقد يقتصر على جاهلية العرب وسفاهة بعض أعمالهم في المجالات العقديّة، والاجتماعية.

ج - لقد جاء القرآن بنظرة عالمية إلى تاريخ البشرية تتمثل في توالي النبوات والرسالات التي تجمعها وحدة الاعتقاد، ووحدة الكون ومصيره، وقد ميزت هذه النظرة مرحلتين كبيرتين: مرحلة ما قبل الإسلام، وتمتد إلى بداية الكون نفسه ثم الخلق، وتستمر حتى بعثة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، والتي كانت منتهى لكل روافد أحداث العالم فنهى الجامعة والنهائية، ومرحلة ما بعده، وهي التي ترتقي فيها البشرية إلى الوحدة الشاملة فتبلسور التعبد لله الواحد - التوحيد -، وأن البشر كلهم اخوة - عيال الله -.

١. إسماعيل سامعي .....تحقيب التاريخ

أما التحقيب عند الأوروبيين الذي ظهر وتطور مع بداية عصر النهضة في أوروبا، وبعد ما اضمحلت سيطرة الكنيسة، وتجاوزت تعاليمها فإنه جاء ليعبر عن مسار تاريخي واجتماعي خاص بهم، وعن رؤية متميزة لمستقبلهم الحضاري، وقد تضافرت عوامل عدة لتجعل منه هو التحقيب الغالب في العالم منها على الخصوص العاملين الهامين التقدم الحضاري، والسيطرة الاستعمارية؛ ومن ثم فكل المنظومات الفكرية والمناهج العلمية، والمقررات الدراسية طبعت بهذا لطابع، وورث العالم المتخلف منه عالمنا العربي والإسلامي، وبلدنا الجزائر هذه المنظومات والمناهج، والنموذج الآتي يوضح التحقيب عند الأوروبيين:

1. إسماعيل سامعي ..... تحقيب التاريخ

### 1 تحقيب التاريخ عند الأوروبيين

التحقيب	الزمن	العصور	الفترات	الخصائص
ما قبل التاريخ	-3000 ق م	-الحجري القديم -الحجري الوسيط -الحجري الأعلى	قبل اكتشاف الكتابة	حضارات جرية/استخدام الحجر كوسيلة
التاريخ	من 3000+ سنة ق م إلى القرن 5 م	العصر القديم	بداية الكتابة/فجر التاريخ إلى سقوط روما	العصر الكلاسيكي وعصر ظهور الحضارات الكبرى
	من ق 5 م إلى 1492 م	العصر الوسيط	من سقوط روما إلى سقوط غرناطة	الترون المظلمة في أوروبا
	1945-1492	العصر الحديث	ق 16 م إلى الحرب العالمية الثانية	-الاكتشافات الجغرافية -الثورة الصناعية -الرأسمالية -الاشتراكية -الحرب العالمية
	2001-1945	المعاصر	من الحرب العالمية الثانية إلى يومنا	-الحرب الباردة -السلاح النووي -التلفزيون -غزو الفضاء -الإنترنت -العولمة

1-التقسيم الأوربي هذا هو الذي فرضته أوروبا على لاسيما الذي رزخ تحت نير استعمارها، وما زالت أغلب المناهج في أغلب جامعات الدول التي كانت مستعمرة تسر وفق هذا المنهج، ومنه الجامعات العربية.

أ. إسماعيل سامعي ..... تحقيق التاريخ  
الاستنتاجات:

إن قراءة هذا الجدول قراءة متأنية تمكن الباحث والقارئ في هذا المجال من تكوين رؤية حقيقية عن مسار تحقيق التاريخ عند الأوربيين وتطوره، وطبيعة العالمية ومفهومها عندهم، ومن ثم الوقوف على الاستنتاجات الآتية:

أولاً — إن تطور التاريخ عند الأوربيين مبني على أساس العرق الآري الأوربي

ثانياً — التحقيق الأوربي يبلور نظرية المركزية والهوامش في الحضارة

ثالثاً — الأسس المعتمدة في هذا التحقيق، المكتشفات الأثرية، وتطور النظم السياسية والاقتصادية.

رابعاً — إن العصور الوسطى المظلمة عند الأوربيين هي نفسه عصور الازدهار الحضاري العربي الإسلامي.

5 — اعتبار الحضارات السابقة ناقصة غير مكتملة وذلك لأن الجوانب الروحية فيها كانت غير واضحة، كما لم تنفصل فيها العلوم عن بعضها، ويظهر التخصص الدقيق الذي يمكن من الاكتشاف والابتكار والتراكم الحضاري المتمثل في الأفكار والمنتجات مثل ما حدث منذ بداية الحضارة العربية الإسلامية وحتى اليوم.

وفي نهاية القرن العشرين وبداية الواحد والعشرين يتحول في هذا السياق النسقي تحقيق التاريخ إلى عولمة بالمفهوم الأمريكي، وتصورات مسار تطور العالم جاعلاً — أي التحقيق — روافده تلتقي عند هذه الرؤية لتشكّل مجرى واحداً. والسؤال هل سيكون في الإمكان فرض هيمنته على شعوب العالم؟ وهل سيدوم؟ وإلى متى؟ انطلاقة من "تلك الأيام نداؤها بين الناس"<sup>1</sup>؛ وفهم نظرة الأمريكان إلى المسار النسقي للتاريخ وحقبه أبين ذلك في الجدول الآتي:

1 - سورة آل عمران، 140.

## تحقيب التاريخ منذ الأمريكان في ظل العولمة<sup>1</sup>

التحقيب	العصور	الزمن	المناطق	اخصائص	الملاحظ
ما قبل التاريخ	عصر المجتمعات المرحبة	قبل 3500 ق م		- استئناس الحيوان - صنع السفن - تهذيب لعصر م.م.أ	
التاريخ	عصر المجتمعات المرحبة المتأخرة	3500 ق م إلى 2000 ق م	- بلاد الرافدين - مصر - الهند - الصين	- تفتيات دعم - التفاعل الثقافي - اكتشاف الزراعة - الاستقرار	انطلاق التبادل التجاري اجدود
	عصر المدنات القديمة	2000 ق م إلى 500 ق م	- الإستبس - أوربا - الأناضول - إفريقيا	- استخدام العجلة - الحديد - الأجدية - التجارة الطويلة	عدد السكان يقدر بـ 100 مليون في العالم
	عصر المدنات الكلاسيكي	500 ق م إلى 500 م	- الصين = أسرة هان - فارس والهند = الأخمينيون - الإمبراطورية الرومانية في المتوسط	- تنظيم الدولة الواسعة - تحسين المواصلات - الطرق والجسور - الإشراف الإداري - القوة العسكرية - الجمال والتقاليد - الطرق التجارية - تنقل الخرافات - تجارة المسافات الطويلة	
	عصر ما بعد الكلاسيكي	500 م إلى 1000 م	- إمبراطورية تانج في الصين - اختلاف العباسية في جنوب شرق آسيا - بيزنطة في حوض بلطش	- التوسع - الإصطدام - التوسع التجاري - طرق الحرير - التجارة البحرية - المسافات الطويلة	- التفاعل المتك - الاستقرار السياسي - الحوافز الاقتصادية
	عصر الإمبراطوريات الرعوية	1500 م حتى اليوم	العالم	- التفاعل المباشر - الهجرة - التوسع الإمبراطوري - تجارة المسافات الطويلة	- تبادل ثقافي وبيولوجي - الكثافة السكانية - النظم - طبيعة التفاعل الثقافي - الثقافة لش

1 - للمزيد الإيضاح انظر، جيري هـ - بنتلي أستاذ التاريخ بجامعة هاواي، ورئيس تحرير صحيفة Journal of world history، تحقيب تاريخ العالم (دراسة)، ترجمة بدر الرفاعي، مجلة "الثقافة العالمية" منف حول العولمة، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب - بدولة الكويت، العدد، 85، ص، 158.

أ. إسماعيل سامعي ..... تحقيب التاريخ  
الاستقنتنا جادتص:

لقد أصبح في الإمكان إجراء مقارنة من خلال هذه النماذج الثلاث لأكبر المحطات الحضارية منذ القرن السابع الميلادي وحتى اليوم، وهذا لا يعني أن هذه هي المحطات الوحيدة فهناك محطات أخرى، ونظريات منها على سبيل المثال النظرية المادية أو النظرية الشيوعية للتاريخ، والمتعمن في مضمون الجدول البياني يمكنه أن يصل إلى عدة استنتاجات منها الآتي:

### 1 — التبادل والتفاعل الثقافي هو الأساس في هذا التحقيب

2 — إن هذا التحقيب للتاريخ مبني على أساس التطورات الداخلية في المجتمعات المفردة؛ وهي نظرة غربية أمريكية في صياغة خبرات الشعوب.

3 — التفاعلات التاريخية والثقافية المتبادلة لها الدور الأكبر عبر الحقب التاريخية، ويتحلل هذا النوع من التبادل في الحياة، والثروات، وفي خطوط حدود المجتمعات والأقاليم الثقافية

4 — كما اعتمد التقسيم البعد المسيحي في التاريخ الأوربي والأمريكي.

5 — ولهذا التقسيم قواسم مشتركة مع التقسيم الأوربي يخص حقبة ما قبل التاريخ، وبداية التاريخ.

6 — اعتمد هذا التقسيم على ما أحدثته الهجرات الكبيرة من تغييرات في الجوانب الثقافية والاجتماعية والاقتصادية.

7 — كما حاول التقسيم أن يساير التطور الطبيعي للحياة على الكرة الأرضية من خلالها التي رافقت توسع تجارة المسافات الطويلة، واستئناس الخيول وما أنجر عنه من تقنيات النقل، والذي كان أمرا حاسما في قيام الدول والحفاظ عليها، وقد تطورت المواصلات منذ هذا العهد حيث يمكن اعتبار إحدى العوامل التي أسهمت في التفاعل الثقافي للمجتمعات، وإقامة الدول، ووحدة الكون ( التوحيد ) عند المسلمين فجعلت من الدعوة ونشر مبادئ الإسلام أساسا لذلك.

1. إسماعيل سامعي .....تحقيب التاريخ  
8 — كما يبدو أن البشرية قبل القرن 35 ق م عدها هذا التقسيم في زمام المجتمعات  
البدائية<sup>1</sup> التي مهدت لظهور المجتمعات المتقفة.

9 — لا يعبر التحقيب اهتماما لاكتشاف الكتابة بل يركز على التفاعل والتبادل الثقافي  
والموارد الاقتصادية، باعتبار أن الرسوم التعليمية التي ظهرت قبل الكتابة بآلاف السنين تعبر  
كتابة هي الأخرى، وهنا يلتقي هذا التقسيم بالنظرية الإسلامية المستمدة من القرآن التي ترى  
أن الكتابة بدأت مع آدم عليه السلام: "وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ  
فَقَالَ أُبَيِّنُ لَكُمْ بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ"<sup>2</sup>.

10 — لقد تطور المواصلات إلى أن وصلت إلى الأقمار الصناعية، وهو الأمر الذي أعطى  
للعالم المتقدم وعلى رأسه أمريكا فرصة محاولة فرض هيمنتها الثقافية على العالم، ومن ثم  
جعلها وسيلة لعولمة العالم أو قل قولبته، وفق النموذج الأمريكي<sup>3</sup>.

والخلاصة التي يمكن الخروج بها من هذه الدراسة أن الوعي بالتاريخ في هذا العصر  
أصبح أكثر من ضرورة، ولا بد علينا معشر الباحثين في التاريخ، وفي ظل هذا التطور السريع  
والمسارع أن نعيد النظر في مناهجنا التاريخية عموما، والمستعملة في التدريس خصوصا  
انطلاقا من الواقع المعيش من جهة؛ وبالرجوع إلى تراثنا الفكري في الماضي والحاضر من  
جهة أخرى.

1- توينبي أرنولد، مختصر دراسة للتاريخ، ترجمة فؤاد محمد شبل، الإدارة الثقافية جامعة الدول العربية =  
للمزيد من التوضيح يمكن الرجوع إلى الفصل القيم لتوينبي في كتابه هذا 21/1 حول الحضارات  
والمجتمعات.

2- سورة البقرة، 31.

3- دافيد رونكووث، في مديح الأمبريالية الثقافية. ترجمة أحمد حضر، مجلة "الثقافة العالمية"، المجلس الوطني  
للقulture والفنون والآداب — بدولة الكويت، م، 28، سنة 1997، ص، 28.



## مستقبل تمويل التعليم العالي في الجزائر

د. عبد الكريم بن أعراب



مُتَكَلِّمًا

يحتل تمويل التعليم العالي صدارة الاهتمام من طرف الباحثين ومسؤولي الدول. نبط هذا الاهتمام بعد التوسع الكبير الذي عرفه التعليم العالي ومسايرة الميزانيات المتزايدة للتدفقات الطلابية التي أثقلت كاهل الدول مع مرور الزمن، من جهة ونتائج البحوث العلمية التي غيرت النظر إلى التربية من حقل المستهلك إلى حقل إنتاج من جهة أخرى. لاسيما تلك البحوث التي طورت فيما يسمى بمدرسة شيكاغو من طرف Denison, Shultz, Becker والتي تمخضت عنها نظرية الرأسمال البشري (الإنساني) "Human Capital, 1964".

اهتم الباحثون بمجال التربية وأصبحت المؤسسة التربوية التي كانت تشتغل كعلبة سوداء، نعرف مدخلاتها ومخرجاتها ولا نعرف ما يجري بداخلها، مؤسسة خاضعة للبحث لاسيما فيما يتعلق بالأموال، من أين تتأتى وكيف تنفق وطريقة حساب الكلفة، كذلك السياسات البديلة المتاحة والممكنة في مجال ترشيد الإنفاق. تولدت عن هذه الحركية، وبسرعة، عسدة منظومات ونماذج تمويلية أفرزت سلسلة من الإصلاحات في مجال تمويل التعليم العالي.

شهد العالم منذ بداية الثمانينيات حركية متزايدة في تجريب آليات جديدة لتمويل التعليم العالي. أهم معالم هذه التجارب تكمن في مصادر التمويل، نماذج اعتماد ميزانيات الجامعات

\*- أستاذ محاضر بجامعة قسنطينة، أستاذ مشارك بجامعة الأمير عبد القادر، خبير لدى CREAD.

د. عبد الكريم بن أعراب ..... مستقبل تمويل التعليم  
ومؤسسات التكوين العالي، ككيفية ترشيد الإنفاق، مسألة الإنصاف والفعالية. هناك اليوم  
رصيد محترم من البحوث المنجزة لا سيما تلك التي طورت من طرف خبراء اليونسكو،  
منظمة التعاون (OCDE)، والبنك العالمي، والمعهد العالمي لتخطيط التربية (IHEP)، ومعهد  
البحث في اقتصاديات التربية (IREDU)، والمرصد الفرنسي للكلفة في التعليم العالي، إلى غير  
ذلك من الهيئات والمنظمات.

الجزائر من بين البلدان التي عبات موارد مالية سنوية معتبرة للتكوين العالي. لكن السؤال  
يبقى مطروحا فيما إذا طورت نماذج تمويلية مساهمة لما يجري في العالم وما هي مميزات هذه  
النماذج وما هي آفاقها المستقبلية. نتناول من خلال هذه الورقة عرض التجارب العالمية في  
بمجال تمويل التعليم العالي من مختلف الزوايا حتى نتولد لدينا صورة واضحة عما يجري في  
العالم فيما يتعلق بسياسات تمويل التعليم العالي، ومختلف المنظومات والنماذج، هذا في الجزء  
الأول من الورقة. أما الجزء الثاني فنخصه للجزائر حيث نعرض فيه تجربتها التمويلية ليتسنى  
بعد ذلك مقارنتها مع ما يحدث في دول أخرى.

## 1 - سياسات تمويل الجامعات ومؤسسات التعليم العالي، التذكير بمختلف الاتجاهات في العالم.

تزايد الاهتمام بتمويل التعليم العالي خلال العشرة الأخيرة من طرف السلطات العمومية  
والباحثين في مجال التربية عموما والاقتصاد التربوي خصوصا. هذا الاهتمام لم يكن وليد  
الصدفة بل كان نتيجة حتمية لتطور وتوسع التعليم العالي وتزايد الطلب على التكوين.  
التدفق الطلابي السنوي ظاهرة عالمية تستحق الإشادة. عدد الطلبة في العالم انتقل من 6.5  
مليون سنة 1950 إلى 51 مليون سنة 1980 ليصل 90 مليون سنة 2000<sup>1</sup>. هذا التزايد الكبير  
الناتج عن انفجار ديمغرافي طلابي حتم على العديد من الحكومات تعبئة موارد إضافية غالبا  
ما كانت على حساب قطاعات أخرى لا تقل أهمية من قطاع التعليم العالي. تصاعد الموارد  
المالية اللازمة للإنفاق على التعليم العالي حتم على السلطات الوصية بالبحث باستمرار عن

<sup>1</sup> Alternatives économiques n°187, P.39.

د. عبد الكريم بن أعراب ..... مستقبل تمويل التعليم  
سياسات بديلة لتمويل التعليم العالي. ويبقى الهدف المنشود تحقيقه يتمثل في "تكوين نوعي  
بأقل كلفة وأكثر إنصافاً".

تميزت التجربة العالمية في مجال تمويل التعليم العالي بمحاولات عديدة قصد الوصول إلى  
نماذج وآليات تمكن عارضي التكوين الجامعي من تحقيق الهدف السابق الذكر. وفيما يلي  
تسليط الضوء على هذه التجارب.

## 1- أنماط التمويل

اقترح خبراء (OCDE, 1990) خمسة أنماط:

1-1- التمويل بالاعتماد على الموارد الذاتية: وهو التمويل الذي يعتمد  
بالدرجة الأولى على حقوق التسجيل في الجامعة أو المؤسسة الجامعية وكذلك عقود البحث.  
عندما يعتمد هذا النوع من الأنماط تعمل الجامعة أو المؤسسة الجامعية بمبدأ المتاجرة والبحث  
عن التوازنات المالية قصد تحقيق الأرباح. والمشفرون على هذا النوع من التكوين يبحثون  
دائماً على الطريقة المثلى لجلب أكبر عدد ممكن من الطلبة بتقدم تعليم نوعي غالباً ما يكون  
انتقائي. جامعة يول (Yale) استطاعت أن تحقق رأسمالاً يقدر بـ 19 مليار دولار مكنها من  
الحصول على موارد سنوية، نتيجة توظيف الأموال، تقدر بمليار دولار<sup>1</sup>، هذا الوضع المالي  
يجعلها تحتل الصدارة في مجال التمويل الذاتي.

2-1- منظومة القروض (الاعتمادات) العمومية: هذا النمط يركز على التمويل  
العمومي ويخضع لمبدأ المفاوضات بين الممول، الذي غالباً ما تمثله وزارة التعليم العالي أو  
وزارة التربية، ومسؤولي الجامعات. يتميز أيضاً بنوع من الصلابة (Rigidité) فيما يتعلق  
بتخصيص المبالغ المالية لكل بند من الميزانية. والوزارة الوصية ترغم مسؤولي الجامعات على  
تقديم جملة من الوثائق والبيانات غالباً ما تجعل العلاقة في توتر دائم. كما أن هذا النمط يدفع  
بالمسؤولين إلى استعمال كل الحيل قصد الحصول على مبالغ كبيرة تمكنهم من الإنفاق بيسر.

1 - F. Verrillaud, 2000.

د. عبد الكريم بن أعراب ..... مستقبل تمويل التعليم

1-3- منظومة الغلاف المالي الكلي: يتميز هذا النمط بالموافقة من طرف الوزارة الوصية على مبلغ إجمالي للمؤسسة الجامعية، على أن تتصرف هذه الأخيرة في كيفية نشر الغلاف المالي الكلي على مختلف البنود حسب حاجياتها. ويوفر هذا النمط مرونة كبيرة لمسؤولي الجامعات لكنه يطرح إشكالية أخرى تتعلق بمراقبة نماذج تسيير الأموال العمومية. في البلدان الطامحة في النمو يلاحظ توجيه الإنفاق لأغراض ليست بالضرورة تربوية. على سبيل المثال الإنفاق على تجديد المكاتب وتزيين المحيط وشراء السيارات بدل أن توجه القروض المفتوحة لاقتناء الكتب ووسائل الدعم التربوي.

1-4- منظومة التوفيق بين ممولين عموميين مختلفين: في هذا النوع من أنماط التمويل تشترك تواجد عدة جهات في تمويل التعليم العالي بالإضافة إلى وزارة التعليم العالي أو وزارة التربية بل تساهم عدة وزارات وإدارات محلية في تمويل التكوين العالي. إذن تنوع الإدارات المانحة يتيح فرصا إضافية لتزايد الموجودات فإن مسألة الرقابة على الأموال ومتابعة نموذج الإنفاق تطرح كعقبة في وجه التحكم في التسيير المالي والميزاني. لأن الجهات الممولة ليست بالضرورة هي الجهات الوصية على المؤسسات الجامعية.

1-5- المنظومة القائمة على مبدأ "بيع الخدمات": تعتبر المؤسسة الجامعية في هذا النمط كمنشأة خاصة تقليدية تعمل بمبدأ الربحية. صيغة التعاقد بين الممول والمؤسسة المكونة يخضع للتفاوض بين الطرفين. وترتبط في هذه الحالة نوعية التكوين ارتباطا وثيقا بنوعية العقود المبرمة. والجامعة تقوم ببيع خدمات (التكوين) مقابل الحصول على أموال من الجهات المستفيدة من هذا التكوين.

هذه هي بإيجاز مختلف الأنماط المتعلقة بتمويل التعليم العالي، ونتناول بالدراسة فيما يلي منظومات حساب الميزانيات؟

2- منظومات حساب الميزانيات وتقدير المبالغ المعتمدة:

د. عبد الكريم بن أعراب ..... مستقبل تمويل التعليم  
إذا اعتمدنا على ما تم تطويره في بلدان منظمة (OCDE، 1993) نجد كذلك خمس  
منظومات محصاة يمكن عرضها ولو باختصار.

2-1- **المنظومة التجريبية (منظومة الشبائك المغلقة)**: يرتبط حجم التمويل في  
هذه المنظومة بمستوى الإنجاز الفعلي من طرف الجامعة. بقدر ما تنجز من أهداف متفق  
عليها بقدر ما تمنح بالأموال اللازمة. هذه المنظومة تهدف إلى تحفيز مؤسسة التكوين العالي  
لكي تسهر على تحقيق أكبر قدر من النتائج.

2-2- **منظومة التمويل المتزايد (incrémentaliste)**: البلدان التي تعتمد هذه المنظومة  
تسلك نظام منح الاعتمادات بتقنية سهلة. مبلغ ميزانية المؤسسة المكونة للسنة (T) يتألف  
من المبلغ المعتمد والمنفق خلال السنة (T-1) مع إضافة إليه مبلغ جزافي. ينتج عن هذا النوع  
من منظومات حساب ميزانية الجامعة تزايد مستمر للمبالغ السنوية بغض النظر عن  
الحاجيات الحقيقية للأموال. هذه المنظومة التي لا تزال قائمة في البلدان الطامحة في النمو  
تستدعي كثيرا من الأسئلة خاصة ما تعلق بمسألة ترشيد الإنفاق. وسلوك مسؤولي الجامعات  
يتناقض كلية مع نموذج الاستغلال الأمثل للإمكانات المتاحة. يتصرف القائمون على تسيير  
الأموال في نهاية كل سنة مدنية من دون حكمة. لأنهم يقومون بصرف الأموال المتاحة في  
شراء أشياء ليسوا في حاجة إليها. المهم عندهم هو عدم إرجاع المبالغ المتبقية للخزينة  
العمومية. لأنهم لو قاموا بذلك سيتحصلون على مبالغ أقل خلال السنة الموالية. هذه المنظومة  
هي مصدر من أهم مصادر تبذير الأموال العمومية.

2-3- **منظومة الصيغ أو المنظومة النمطية**: يتم إعداد الميزانيات وفق صيغ رياضية  
تأخذ بعين الاعتبار مختلف المتغيرات المتعلقة بالجامعة كالتخصصات المدرسة وعدد السلطات  
المدرسة وتعداد الطلبة بالإضافة إلى المساحات المبنية الخ... تضبط ميزانية الجامعة على ضوء  
هذه المعطيات وفق مبالغ محددة مسبقا لكل متغير. في هذه المنظومة يلاحظ أن المؤسسة

د. عبد الكريم بن أعراب ..... مستقبل تمويل التعليم  
الجامعية بمقدورها معرفة مقدار ميزانيتها مسبقا مقارنة بالمعلومات المتوفرة حول المتغيرات  
السابقة الذكر.

2-4- منظومة التمويل الترخيبي حسب النتائج: يشترط الممول في هذه المنظومة  
شروطا من المؤسسة المكونة تتعلق غالبا بنوعية التكوين المطلوب.. يدخل هذا النمط ضمن  
التكوين حسب الطلب. يتأتى المال للجامعة حسب قدرتها للاستجابة للشروط الموضوعية من  
طرف الممولين وكذلك حسب النتائج المحققة.

2-5- منظومة العقود: هذه المنظومة مبنية على دفتر شروط بين الجهة الممولة والجهة  
المكونة. تلتزم الجامعة مثلا بضمان تكوين معين وبمواصفات معينة مقابل مبالغ يتم الاتفاق  
عليها. والفرق بين هذه المنظومة والمنظومة السابقة يكمن في طبيعة المفاوضات بين المكون  
والممول. في المنظومة الأولى يقدم الممول توجيهات وتوضيحات لكن في الثانية هناك عقد  
يربط الطرفين.

### 3- نماذج التخصيص (التعيين) الكلية:

نقصد بنماذج التخصيص الكلية بحمل الآليات المعتمدة من طرف كل بلد والتي تضبط  
الكيفية التي تخصص أو تعين بها الوزارة الوصية الاعتمادات للجامعات ومؤسسات التعليم  
العالي. تشمل نماذج التخصيص على أنماط ومنظومات التمويل المعتمدة من طرف البلد  
وتختلف من دولة إلى أخرى. نذكر على سبيل المثال نماذج GARACES التي استبدلت  
بنماذج SANREMO بفرنسا. ونماذج CAMPUS بكندا. أما بأمريكا فقد تم اختيار  
نماذج RRPMC و HIS بألمانيا (Gravot, 1993) أما بتونس فقد تم اعتماد نموذج سمي SAGES  
وهذا منذ 1997<sup>1</sup>.

### 4- الاتجاهات الحالية لتمويل التعليم العالي:

إن الاتجاهات الحالية لتمويل التعليم العالي تتميز بمعطيات ثلاث<sup>2</sup>:

1- UNESCO, 1997.

2 - Benarab, 2000.

د. عبد الكريم بن أعراب ..... مستقبل تمويل التعليم

4-1- التنوع في مؤسسات التعليم العالي: مرتتبات عبر العالم بعدة مراحل. في بداية السبعينيات كان الاتجاه العام، لا سيما في بلدان OECD، يعرف بتواجد جامعات تعرض تكوينا متنوعا أين نجد كل الاختصاصات وكذلك أنشطة البحث. تغير هذا الاتجاه في نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات لتصبح الجامعات أكثر تخصصا ثم لتميل مع مطلع التسعينيات إلى جامعات عارضة للخدمات التكوينية وباحثة عن مصادر تمويل جديدة ومتنوعة.

4-2- التنوع في مصادر التمويل: يمكن لنا أن نصنف الجامعات ضمن ثلاث فئات. الفئة الأولى وتشتمل على الجامعات التي تعتمد في تمويلها على استقلالية نسبية لكونها تملك مداخيل ذاتية. الفئة الثانية تعتمد فيها الجامعات على المداخيل المأتاة من حقوق التسجيل أو ما يسميه البعض رسوم التسجيل. أما الفئة الثالثة فهي تلك التي تعتمد بشكل شبه كلي على التمويل العمومي.

4-3- التنوع في آليات التمويل: يلاحظ عبر العالم اتجاه يميل إلى التنوع في آليات التمويل. كل بلد يتمتع بنموذج قد يكون متشابها مع بلدان أخرى كما يمكن أن يختلف من بلد إلى آخر. على سبيل المثال بلدان منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية يصنفون ضمن 3 فئات، الفئة الأولى تعتمد منظومة تمويل الجامعات بتطبيق أسلوب الصيغ، من بينها ألمانيا، هولندا، الدانمرك، النرويج. الفئة الثانية تطبق منظومة العقود كإنجلترا وفرنسا. الفئة الثالثة تعتمد على التمويل برسوم التسجيل المدعمة أحيانا كالمنظومة المختلطة في اليابان والولايات المتحدة.

### 5- ورشة الإصلاحات العالمية

تميزت العشرية الأخيرة من القرن العشرين بورشة عالمية للإصلاحات في مجال تمويل التعليم العالي نذكر من بينها تجارب بعض الدول قصد إعطاء صورة عن هذه الإصلاحات.

5-1- استراليا: منذ 1989 تم تأسيس مخطط لإصلاح تمويل التعليم العالي سمي ب

د. عبد الكريم بن أعراب ..... مستقبل تمويل التعليم  
"higher education contribution scheme". من بين أهداف هذا المخطط إشراك الطلبة في  
تحمل 20% من الكلفة الأحادية المتوسطة باللجوء إلى نظام القروض المفتوحة للطلبة. تسدد  
هذه القروض عندما يفوق دخل الطالب، بعد التخرج، الأجر الأسبوعي المتوسط. قامت  
الدولة بتخفيضات على القروض وصلت إلى 25% سنة 1993.

5-2- في إنجلترا، بحماية الثمانينيات: مر نموذج تمويل التعليم العالي في إنجلترا بعدة  
مراحل أهمها الانتقال مع مطلع الثمانينيات من النموذج الجماعي (collégial) إلى النموذج  
البيروقراطي (bureaucratique) وهو النموذج الذي يعتمد على 39 مؤشرا معروفة باسم  
مؤشرات الأداء.

5-3- في فنلندا، 1994. قامت وزارة التربية سنة 1994 باعتماد مشروع دراسة يتعلق  
بإمكانية استعمال طريقة الوصل (bon) لتمويل التعليم العالي. للتذكير فإن هذه الطريقة  
عرفت في الولايات المتحدة باسم (vouchers). الغاية من وراء التجربة الفنلندية هي بلوغ  
ثلاثة أهداف. الأول ويتمثل في الاستعمال الأمثل للوسائل، الثاني يهدف إلى تجديد منظومة  
التمويل، أما الثالث فيتعلق بتمتين وضعية الطلبة.

5-4- في ألمانيا، 1994. أصبحت الجامعات تمول ابتداء من سنة 1994 من طرف  
الدولة وفق اعتمادات عادية أخرى، التعليم عن بعد، نفقات صيانة المحلات، نفقات  
الدكتوراه. تصرف للجامعة مبالغ حسب أهمية كل عنصر.

5-5- جمهورية التشيك، 1992، 1990، 1995. قانون ماي 1990 مكن الجامعات من  
الحصول على موارد أخرى غير عمومية كما سمح هذا القانون للجامعات بالقيام بأنشطة  
قصد الحصول على مداخيل. في سنة 1992 تمت المصادقة على قانون الجباية الترخيبي أتبع  
بقانون آخر حول الجامعات سنة 1995. هذا القانون الأخير يهدف إلى إدخال منظومة تمويل  
تعتمد على رسوم التسجيل قصد تغطية 20% من الكلفة.



د. عبد الكريم بن أعراب ..... مستقبل تمويل التعليم  
5-6- السنغال، 1994. قامت دولة السنغال ابتداء من سنة 1994 بإجراءات في ميدان تمويل التعليم العالي. أولها التخلي عن مبدأ الاستفادة من الخدمات الجامعية بشكل آلي. هذا ما أدى إلى انخفاض في عدد المستفيدين من 25000 إلى 9755 مستفيد. أما المطاعم الجامعية فقد تم التنازل عنها لصالح القطاع الخاص لتسييرها. هذا ما أدى إلى ارتفاع أسعار الوجبات من 40 فرنك إلى 110 فرنك (CFA). الغرف الجامعية بدورها عرفت زيادة معتبرة في مبالغ الكراء حيث انتقلت من 2500 فرنك إلى 4000 فرنك<sup>1</sup>.

5-7- الكاميرون، 1993. قامت دولة الكاميرون بإصلاحات خلال سنة 1993 الغاية منها تقليص عدد المستفيدين من المنح والمصادقة على تبني رسوم التسجيل. وصل تعداد الطلبة في جامعة ياوندي سنة 1996 إلى 15000 طالب. جميع الطلبة غير ممنوحين.

5-8- مصر، نقاش وطني و المغرب قانون جديد، 2000. يلاحظ اهتمام كبير في مصر والمغرب بتمويل التعليم العالي. في البلد الأول تم فتح نقاش وطني وفي الثاني تمت المصادقة على قانون جديد سنة 2000. للتذكير يتواجد بكلا البلدين قطاع خاص إلى جانب القطاع العمومي.

5-9- الجزائر، مشروع قيد الدراسة، 2001. أما في الجزائر التي لم تتغير بها منظومة تمويل التعليم العالي منذ 1971 تحاول تدارك الوضع بإنشاء لجان لدراسة مختلف الإصلاحات كما أن هناك مشروع دراسة ممول من طرف البنك العالمي يهدف إلى إيجاد حلول كفيولة بإعادة النظر في منظومة تمويل التعليم العالي.

### 6- مصادر تمويل التعليم العالي بعض الأمثلة

لكي نتضح لنا الفكرة أكثر حول مصادر التمويل ومساهمة التمويل الخاص نقدم الجدول الآتي الذي يبرز مدى مساهمة كل من التمويل العمومي والتمويل الخاص في كل بلد.

1 - Afrique Education, 1996.

د. عبد الكرم بن أعراب ..... مستقبل تمويل التعليم

### الجدول رقم 1. مصادر تمويل التعليم العالي في بعض البلدان.

البلد	التمويل العمومي	التمويل الخاص
كندا	85.6	14.4
أمريكا	56.2	43.8
أستراليا	79.7	20.3
اليابان	39.2	60.8
ايرلندا	85.7	14.3
هولندا	99.8	00.2
إسبانيا	81.5	18.5
تركيا	95.9	04.1
المجر	93.3	06.7
الجزائر	98.0	02.0

المصدر: OCDE، 1996، عدا الجزائر (بن أعراب، 2000).

الاتجاه العام الحالي يكمن في وضع سياسات تمويلية من طرف الحكومات حيث يساهم التمويل الخاص فيها على الأقل ب 20%. الجدول يبين بوضوح الفروقات بين مختلف البلدان فيما يتعلق بمدى إنجاز هذا الهدف. البلدان المتطورة كأمریکا واليابان تأتي في المقدمة حيث تجاوزت بكثير هذا المعدل، إسبانيا، كندا وإيرلندا تتجه في تحقيق هذا الهدف في حين تتركز البلدان الطامحة في النمو بشكل كبير على التمويل العمومي.

لقد تعرفنا بإيجاز على مختلف التجارب العالمية في مجال تمويل التعليم العالي. نتناول الآن بالدراسة التجربة الجزائرية.

### II - التجربة الجزائرية في مجال تمويل التعليم العالي

حاولت الجزائر منذ افتتاحها لاستقلالها عام 1962 أن تضع سياسات تعليمية ديمقراطية منصفة. سلسلة الإصلاحات التي قامت بها الدولة الجزائرية اعتمدت على مبدئين أساسيين،

د. عبد الكريم بن أعراب ..... مستقبل تمويل التعليم  
المبدأ الأول يكمن في إلزامية التعليم والثاني في مجانيته. مجانية التعليم تعني تكفل الدولة بمحمل نفقات التعليم. إصلاح التعليم العالي في عام 1971 ثم التعليم الابتدائي والثانوي عام 1976 كرسا بوضوح هذين المبدأين.

ما يهمنا هنا هو تمويل التعليم العالي الذي نحاول إعطاء صورة شاملة عن منظومته.

### 1- منظومة تمويل التعليم العالي الجزائري

1-1 من زاوية أنماط التمويل: تصنف منظومة تمويل التعليم العالي في الجزائر ضمن منظومة القروض العمومية وهذا حتى عام 1995 حين حاول المسؤولون على الميزانية في وزارة التعليم العالي إحداث تغييرات في أسلوب تسيير الموارد المالية. اعتمدت منظومة الغلاف الكلي النسبي مصحوبة بتوجيهات مركزية. لكن هذا التغيير لم يحدث نقلة نوعية حيث بقيت المنظومة تسيير وفق نمط مركزي.

1-2 من زاوية منظومة حساب الميزانيات: المنظومة الجزائرية هي منظومة التمويل المتزايد. تحسب ميزانيات مؤسسات التعليم العالي وفق هذه المنظومة التي سبق شرحها. كل سنة تقدر الميزانية للجامعة حسب مبلغ السنة التي سبقتها مع إضافة مبلغ جزائي كثيرا ما يبرر بتزايد تعداد الطلبة.

1-3 من زاوية نماذج التمويل: فهو نموذج يتميز بتدخل الدولة ومركزية القرار. تخدر الإشارة هنا أن نموذج التمويل في الجزائر لازال لحد الآن يتميز بالتدخل الكبير للدولة وبشكل مركزي. محاولات تطوير منظومة لامركزية، بإنشاء أكاديميات جهوية، لم تعمّر أكثر من 5 سنوات، تم التخلي عنها عام 2000.

1-4 من زاوية طبيعة النفقات: نموذج تمويل التعليم العالي في الجزائر تسيطر عليه النسبة العالية للموارد المخصصة لتمويل المساعدة المباشرة والغير مباشرة منح، إطعام،

د. عبد الكريم بن أعراب ..... مستقبل تمويل التعليم  
 إسكان، نقل، حيث تمثل نسبة تفوق 40%<sup>1</sup>. لكي تتضح لنا الوضعية أكثر تكفي مقارنة  
 منظومات دعم الطلبة مع عينة من البلدان وهو ما يوضحه الجدول الآتي  
 جدول رقم 2 : مقارنة مجموعة من الدول في مجال الدعم المباشر للطلبة.

البلد	منظومة المساعدة	نسبة الطلبة الممنوحين	الشرط الأكاديمي
إسبانيا	منح	20%	نعم
فرنسا	منح+قروض	18%	نعم
إيطاليا	منح+قروض	2,5%	نعم
اليونان	منح+قروض	7%	نعم
الجزائر	منح	80%	لا

المصدر: (EURYDICE, 1993) بالنسبة للجزائر. (Benarab, 1997).

يتضح من الجدول أن الجزائر تمول بشيء من دون مرور لا اقتصادي ولا اجتماعي.  
 دراساتها حول منظومة التعليم العالي الجزائري بينت كلها مدى محدودة منظومة دعم الطلبة  
 على الأقل من زاوية غياب الأصناف<sup>2</sup>. بالإضافة إلى المنحة التي يتلقاها الطالب فهو يستفيد  
 من مجموعة خدمات مجانية. الوجبة الغذائية التي تكلف الدولة 5،1 دولار أمريكي يشتريها  
 الطالب بثمن بخس قدره 016،0 دولار وهو ما يمثل 2،1% من سعرها الحقيقي<sup>3</sup>. للتذكير فلقد  
 القيمة التي يدفعها الطالب لم تتغير منذ 1971.

1-5- نموذج متقل بنسبة نفقاته الأجور: بالإضافة إلى ما عرض فإن المنظومة  
 التمويلية الجزائرية في مجال التعليم العالي، مثل العديد من البلدان الطامحة للنمو، تتقلها نفقات  
 الأجور التي تحوم حول 80% من ميزانية مؤسسات التعليم العالي. هذا الوضع لا يمكن  
 الجامعات من الحصول على موارد كبيرة يمكن أن توجه إلى تحسين الأداء التربوي.

## 2- مزايا نموذج تمويل التعليم العالي الجزائري

1- Benarab, 1997.

2- Benarab, 1997, 1998, 1999, 2000.

3- Benarab, 2001

د. عبد الكريم بن أعراب ..... مستقبل تمويل التعليم

إن المزايا التي يمكن ذكرها نابعة من الوثائق المسيرة للتعليم العالي وبالتالي نظريا هذه المزايا هي:

2-1 نموذج يهدف إلى توفير الإمكانيات المالية لضمان تكوين عال جيد.

2-2 نموذج يعطي استقلالية تامة للآمرين بالصرف في كيفية صرف ميزانية التشغيل.

2-3 نموذج مبني على أولوية دفع الأجر وتغطية الحاجيات التربوية.

2-4 نموذج يهدف إلى تحقيق مبدأ الإنصاف.

2-5 نموذج يضع في سياسته أولويات التكوين العالي (التوثيق، العقاقير المخيرية، الخ...).

2-6 نموذج ساير انفجار التعليم العالي (بين 1985 و1999 تضاعفت الميزانية ب 11,91 مرة في حين تضاعفت أعداد الطلبة ب 3,64 مرة. متوسط الإنفاق للطالب الواحد انتقل من 27270 دينار سنة 1985 إلى 89020 دينار سنة 1999).

### 3- عيوبه

على ضوء التجارب العالمية لتمويل التعليم العالي يمكن لنا أن نحصى بعض العيوب التي بإمكان الدولة الجزائرية إعادة النظر فيها. هذه العيوب مصنفة من زاوية الاستعمال العقلاني للإمكانيات المتاحة. لأن ما يبدو لنا عيوباً (ما يجب أن يكون) قد يبدو للبعض مزايا إذا استثنينا مقارنة الاقتصاد التربوي. لكن الظروف الاقتصادية للجزائر وضرورة تحقيق الإنصاف بين الطلبة ووجوب التسيير المرشد للموارد يستدعي التفكير في هذه العيوب وهي:

3-1 نموذج يركز بشكل شبه كلي على المصادر العمومية. الاعتماد على التمويل العمومي بصورة مطلقة لم يبق ما يبرره. إشراك الطالب أو أسرته بالمساهمة في تغطية جزئية للكلفة الأحادية المتوسطة هو إجراء يهدف إلى تحقيق الإنصاف وتحسين نوعية التكوين.

3-2 نموذج جد مركزي. جميع مراحل إعداد وتنفيذ الميزانية متركزة في مديرية واحدة بوزارة التعليم العالي بل وفي مجموعة بسيطة من الأشخاص. توسع التعليم العالي وتضاعف أعداد الطلبة والمؤسسات التعليمية يجعل من مركزية القرار أسلوباً محدود النتائج. لتبرير هذه

د. عبد الكريم بن أعراب ..... مستقبل تمويل التعليم  
الأحكام تكفي الإشارة إلى أن عدد الإطارات المشرفة على تسيير المال لم يتغير منذ 20 سنة  
في الوقت الذي تضاعف فيه عدد المؤسسات عدة مرات.

3-3 نموذج تمويل متزايد مصدر للتبذير. تعتمد منظومة تمويل التعليم العالي في الجزائر  
على نموذج التمويل المتزايد الذي سبق شرحه. هذا النموذج هو مصدر للتبذير والتسيير  
المختل للموارد النادرة. يلاحظ أن مسؤولي مؤسسات التعليم العالي يلجؤون في نهاية كل  
عام مدني إلى إنفاق ما تبقى من القروض المفتوحة بأية طريقة خوفا من الحصول على ميزانية  
أقل خلال العام الموالي. لكي توضح هذه الظاهرة أكثر يكفي عرض نتائج تجربة قمنا بها في  
جامعة قسنطينة، ارتكزنا فيها على نموذج اعتماد ميزانيات المعاهد. مبني على مبدأ الميزانية  
صفر (Budget à base zéro) سميناها النموذج المنصف. النتائج مبينة في الجدول رقم 3.

الجدول رقم 3. مقارنة بين النموذج المتزايد ونموذج تمويل ميزانية قاعدة صفر. تجربة

فعالية في جامعة قسنطينة.

نموذج تمويل منصف ميزانية قاعدة صفر 1996		النموذج المتزايد 1995		المعهد
نفقات تربوية	نفقات غير تربوية	نفقات تربوية	نفقات غير تربوية	
74.00	25.30	34.00	66.00	الإعلام الآلي
89.00	11.00	79.50	20.50	علوم الطبيعة
81.00	19.00	37.26	62.74	العلوم الدقيقة
78.00	22.00	41.00	59.00	الحقوق
70.00	30.00	37.80	62.20	علم الاقتصاد
73.00	27.00	57.30	42.70	العلوم الاجتماعية
81.00	19.00	29.00	71.00	علم الاجتماع
86.00	14.00	39.00	61.00	المكتبيات
68.00	32.00	95.00	05.00	الفيزياء

د. عبد الكريم بن أعراب ..... مستقبل تمويل التعليم

المصدر: BENARAB, 2000, in Efficacité versus équité, l'Harmattan, France, Canada.

إن الجدول يبين بوضوح مدى أهمية التخلي عن نموذج التمويل المتزايد. التجربة التي قمنا بها في جامعة قسنطينة جوهت في البداية بمحاولات رفضها خوفا من ظاهرة تناقص الموارد لكن بعدما فهم مسؤولو المعاهد أن النموذج الجديد يهدف إلى ترشيد التسيير المالي وليس نموذجاً عقابياً وافقوا جميعاً على الفكرة، والأكثر من ذلك أننا سجلنا لأول مرة في تاريخ الجامعة أنه في عام 1996 تصرف المشرفون على المعاهد بمهنية كبيرة، الأموال التي اعتمدت لكل معهد بعد دراسة معمقة للحاجيات التربوية والإدارية تم إنفاقها بحكمة. عندما يتبين للمعهد أن الأموال أكثر من حاجياته يتنازل عنها تلقائياً لرئاسة الجامعة التي تعيد توزيعها حسب الحاجيات، هذا ما خلق جو ثقة بين مختلف المسؤولين وتم القضاء على ظاهرة التهافت على الإنفاق في نهاية السنة بدون ترشيد. نموذج التمويل المبني على الميزانية صفر لم يعمر سوى عامين. تم التخلي عنه والرجوع إلى النموذج المتزايد عام 1998.

**3-4- نموذج ثقيل:** بالإضافة إلى ما تم عرضه يمكن إضافة عيب آخر وهو تعدد الميزانيات خلال السنة المالية الواحدة. ثلاث ميزانيات لكل عام، الميزانية الأولية غالباً ما تتم المصادقة عليها بين الشهر الخامس والسابع ثم ميزانية إضافية خلال شهر أكتوبر تليها ميزانية ثمانية خلال شهر نوفمبر أو ديسمبر أحياناً. يمكن لنا تصور مدى بيروقراطية وتقل هذا النموذج. نظام المحاسبة العمومية المعتمد في تسيير الجامعات يضاف كعنصر آخر لما سبق ذكره. الغدو والرواح بين الأمر بالصرف والمراقب المالي ووكيل المحاسبة ومديرية المالية بالوزارة يتطلب في أحسن الظروف 11 مرحلة<sup>1</sup>.

**3-5- مع مرور الزمن أصبح نموذجاً غير منصف:** إذا كانت أهداف نموذج التمويل العمومي المتزايد في الجزائر تتركز على مبدأ الإنصاف فإنه مع مرور الزمن أصبح نموذجاً غير منصف على الأقل من زاويتين: الأولى تتمثل في طريقة تخصيص الميزانات

1 - Benarab, 1997.

د. عبد الكريم بن أعراب ..... مستقبل تمويل التعليم  
للجامعات التي تخضع لقوة المفاوض دون الاعتماد على معايير علمية وبالتالي يمكن أن تأخذ  
جامعة أكثر من حقها وأخرى أقل من حقها. أما الثانية تتعلق بسياسة دعم الطلبة، هذه  
السياسة التي كانت تهدف إلى مساعدة الفقراء وتمكينهم من موارد متاحة تشمل الآن جميع  
الطلبة دون تمييز بين الفقراء والأغنياء. في الوقت الذي يقتسم فيه الطالب الفقير مبلغ المنحة  
مع أسرته يستعمل الطالب الغني المنحة لشراء البترين لسيارته الفخمة.

### 4- محاولات الإصلاح

حاولت الدولة الجزائرية في العديد من المرات إصلاح منظومة تمويل التعليم العالي بساءت  
كلها بالفشل. في عام 1987 يقوم فريق من خبراء البنك العالمي بتشخيص الوضع واقتراح  
جملة من التوصيات<sup>1</sup> بقيت حبرا على ورق تلتها محاولة إصلاح ثانية عام 1989 عندما نصبت  
اللجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية تحت رئاسة رئيس الحكومة والتي ضمت مختلف  
الأطراف إلا أن نتائج أشغالها توقفت<sup>2</sup> عند التقرير النهائي الذي سلم لرئاسة الجمهورية. عدة  
محاولات متتالية لم تفلح في تحريك الأمور بجدية ما عدا نجاح الوزارة في رفع مبلغ رسوم  
التسجيل عام 1999 من 50 دينار إلى 200 دينار (0.66 دولار إلى 2.66 دولار) ومحاولة ثانية عام  
2000 جمدت عام 2001 قبل أن تنفذ هدفت إلى رفع رسوم التسجيل مرة ثانية من 200 دينار  
إلى 500 دينار (2.66 دولار إلى 6.66 دولار). كما نصبت لجنة وطنية عام 2001 قصد تقويم  
المنظومة التربوية بكاملها انتهت إلى تقديم تقرير لرئيس الجمهورية لم يخلص إلى إجراءات  
فعلية في الميدان. بالموازاة مع هذا ينكب حاليا فريق من الخبراء الجزائريين في مركز البحوث  
(CREAD) لصياغة التقرير النهائي المتعلق بتمويل التعليم العالي في إطار مشروع دراسة ممول  
من طرف البنك العالمي.

ما يلاحظ أن سلسلة محاولات الإصلاح تبوء دائما بالفشل وهو ما يطرح بجدية إشكالية  
هذا الفشل.

1- Banque Mondiale, 1997.



## 5- الآفاق

لقد وصفنا بإيجاز منظومة تمويل التعليم العالي وبيننا نقاطها القوية والضعيفة لكن السؤال يبقى مطروحا حول آفاق إصلاح هذه المنظومة التي يبدو لنا أنه آن الأوان لمباشرته نظرا للمبررات التي يمكن أن تصنف ضمن ما يلي.

### 5-1- أسباب التغيير: من بين أسباب التغيير

#### 5-1-1- معضلة التوفيق بين التدفقات الطلابية واستمرارية الاعتماد على

المصادر العمومية. بلغ تعداد الطلبة هذا العام زهاء 500000 طالب وميزانية وطنية سنوية لعام 2000 مقدرة بـ 38580667000 دينار أي ما يعادل 514408000 دولار. هل تستطيع الدولة لوحدتها المضي مستقبلا في تمويل التعليم العالي؟

#### 5-1-2- معضلة استمرار نموذج التمويل في اتجاه معاكس للسياسة

الاقتصادية: ولوج الجزائر في أزمة اقتصادية حادة حتمت عليها تصحيحات هيكلية متتالية ومفاوضات مع المؤسسات المالية الدولية كصندوق النقد الدولي ونادي باريس أثرت بإعادة جدولة مديونية ثقيلة تجاوزت 30 مليار دولار. نتيجة الأوضاع الاقتصادية الداخلية والخارجية اضطرت الجزائر إلى تغيير سياستها الاقتصادية لتنتقل من منظومة اقتصادية مرتكزة على التخطيط المركزي إلى منظومة اقتصادية تعرف باقتصاد السوق. تبعت هذا النمط الجديد إجراءات غيرت المجتمع بصورة جذرية لا سيما فيما يتعلق بتسريح العمال وخصخصة المنشآت وبيعها وتسريح المبادرات الفردية وإعادة النظر في جل القوانين الاقتصادية. كيف يمكن للجزائر أن تستمر بمنظومة ازدواجية، منظومة تمويل التعليم العالي لم تتغير وباقية محافظة على النمط المعتمد على التخطيط المركزي في الوقت الذي تغيرت فيه كل المعالم الاقتصادية التي تحولت إلى الاقتصاد الحر؟

#### 5-1-3- معضلة الاختلال بين مستويات المنظومة التربوية: ما هي التفسيرات

التي يمكن أن تعطى إلى الاختلالات الملحوظة بين التعليم الابتدائي والثانوي من جهة والتعليم

عبد الكريم بن أعراب ..... مستقبل تمويل التعليم العالي من جهة ثانية، حيث يحتم التلميذ في المستوى الثانوي على دفع رسوم تسجيل قدرها 750 دينار والتكفل بجميع المصاريف المتعلقة بالنقل والإطعام دون دعم يذكر في الوقت الذي يتمتع فيه الطالب في المستوى العالي بالمجانة التامة بالرغم من أن قوانين الدولة السارية المفعول التزمت فقط بالتكفل بالتلميذ لسن 16 عاماً<sup>1</sup>، إضافة إلى أن نظرية الرأسمال البشري (الإنساني) تعتبر التعليم الجامعي استثماراً فردياً ذا عائد (Becker, 1964) كان من المفروض أن يتحمل الفرد جزئياً أو كلياً تمويل تكوينه.

هذه بعض الأسباب التي تدعو السلطات العمومية إلى وجوب التفكير في إعادة النظر في السياسة التمويلية للتعليم العالي. بالإضافة إلى هذه المبررات هناك فرص ظرفية متاحة للتغيير.

**5-2- فرص التغيير:** تتوفر للدولة الجزائرية فرص للتغيير نذكر البعض منها.

**5-2-1- نتائج سيرة الإصلاحات الاقتصادية:** انتقلت المنظومة الاقتصادية في الجزائر إلى اقتصاد السوق بتسارع كبير لم يكن متوقعا، هذا ما يوفر فرصة سانحة لإصلاح منظومة تمويل التعليم العالي لتساير السياسة الاقتصادية.

القناعة المتولدة لدى جميع الأطراف على ضرورة التغيير وبشكل عاجل: ما يلاحظ لدى جميع المسؤولين هو تولد قناعة بوجوب الإسراع في إصلاح منظومة تمويل التعليم العالي، هذه القناعة في حد ذاتها حكم على محدودية المنظومة الحالية وبلوغها أقصى ما يمكن أن تصل إليه.

**5-2-2- التجاريم العالمية ونتائجها:** وصلت تجارب البلدان في العالم إلى نتائج مهمة في مجال نماذج تمويل التعليم العالي. قامت بلدان كثيرة طامحة في النمو بإصلاحات جذرية تخلت من خلالها على نموذج التمويل المتزايد من جهة وإشراك الطلبة في تمويل نسبي لتكوينهم من جهة أخرى. تركزت سياسات تمويل التعليم العالي العمومي في العالم، حسب تقارير البنك العالمي، على 3 ركائز، (1) تعبئة الموارد الخاصة لتمويل التعليم العالي العمومي،

د. عبد الكريم بن أعراب ..... مستقبل تمويل التعليم  
 ب) دعم الطلبة الذين تتوفر فيهم الشروط المطلوبة لكن أسرهم ذات دخل محدود لا تمكنهم  
 من متابعة التكوين العالي. ج) تشجيع الفعالية في إنفاق الموارد المالية بين المؤسسات العمومية  
 وبدخلها<sup>1</sup>.

5-2-3- **الكلفة:** تضاعفت الكلفة المتوسطة للطلّاب مع مرور الزمن مما تختم على  
 السلطات العمومية وجوب البحث عن كيفية مساهمة الطّالِب لتغطية جزئية لها تقدر حالياً  
 على المستوى الدولي ب 20%. لكي تتضح لنا الفكرة أكثر نعرض تطور الكلفة المتوسطة  
 بين 1987 و 1999 وهو ما يبينه الجدول رقم 4.

**جدول رقم 4. تطور الكلفة الأحادية المتوسطة بين 1987 و 1999.**

**الوحدة: 1000 دينار جاري.**

العام	1987	1989	1991	1993	1995	1997	1999
الاعتمادات النهائية	3618200	4680000	7052000	13041629	17935744	22462057	35067709
عدد الطلبة	147835	170374	203442	242069	244314	299500	393930
الكلفة المتوسطة	24.47	27.46	34.66	53.87	73.41	74.79	89.02

**المصدر:** جدول محسوب وفق معلومات وزارة التعليم العالي.

**ملاحظة:** عدد الطلبة محسوب بطريقة اليونسكو لمواصلة السنة الجامعية بالسنة المالية.  
 نلاحظ أن الكلفة المتوسطة تكاد تتضاعف بأربع مرات بين 1987 و 1999. الاتجاه العام  
 في التزايد يستدعي التفكير في إيجاد نموذج آخر لتمويل التعليم العالي العمومي.

5-2-4- **السياسات البديلة الفعالة المتاحة في مجال تسيير الموارد المالية  
 العمومية الناجدة:** تطرقنا إلى مختلف المنظومات ونماذج تمويل التعليم العالي المعروفة حالياً  
 في العالم وتبين لنا أن هناك إمكانيات كبيرة متاحة في مجال السياسات البديلة لتمويل التعليم

1- Banque Mondiale, 1995

د. عبد الكريم بن أعراب ..... مستقبل تمويل التعليم العالي. هذه السياسات التمويلية ممكنة التطبيق في الجزائر إذا توفرت لها الإرادة والكفاءات البشرية المكونة والمطلعة على هذه النماذج والسياسات، لأن الجو العام في الجزائر تبني فكرة الانتقال إلى نماذج جديدة فعالة ومنصفة وهذا ما لا يدع أدنى عذر للقائمين على التعليم العالي لمباشرة التغيير.

لقد عرضنا بإيجاز جملة من الحجج التي تكون الدافع الأساسي لضرورة إصلاح منظومة تمويل التعليم العالي في الجزائر وفيما يلي بعض الاقتراحات تتعلق بالخطوات التي يمكن أن تعتمد قصد مباشرة الإصلاح.

## 6- المراحل المستقبلية كما نتصورها

6-1- المرحلة الأولى: وضع آليات للحد من التبذير (تشديد الرقابة وترشيد الإنفاق). نشير هنا إلى أن النصوص المسيرة لقطاع التعليم العالي كاملة وشاملة لكن العيب يكمن بالدرجة الأولى في الطرق الإجرائية. لثمتين هذه الفرضية بكفي الاستعانة بمفتشية الإدارة والمالية التي بإمكانها لعب دور إشرافي كبير في تحسين طرق تنفيذ الميزانيات. يبدو حسب المعلومات المستقاة من الوزارة أنها تحولت إلى مفتشية لفك التزايدات. بالموازاة مع هذه الخطوة يمكن التخلي تدريجيا عن نموذج التمويل المتزايد وذلك بدعوة المختصين في شؤون التعليم العالي للتفكير واقتراح نماذج بديلة فعالة ومنصفة تكون ناتجة عن بحوث علمية وليست مجرد قرارات اتفاقية (consensuelles).

6-2- المرحلة الثانية: إعادة النظر في منظومة دعم الطلبة بمنح الطلبة المحتاجين مع رفع قيمة المنحة. في هذا المجال يمكن تصور نموذج جديد تشترك فيه أطراف متعددة كإدارة الضرائب والجماعات المحلية ولجان العقلاء، الخ... لقد بين لنا الجدول رقم 2 نسبة المنوحين عبر بلدان العالم ويبقى السؤال مطروحا حول أسباب منح 80 % من الطلبة في الجزائر. بالإضافة إلى مسألة منظومة الدعم يمكن التفكير في الجهات الممولة للتعليم العالي. في هذا المجال هناك عدة إمكانيات غير مستغلة أولها إسهام العائلات الميسورة وثانيها إمكانية تخفيض

د. عبد الكريم بن أعراب ..... مستقبل تمويل التعليم  
المنشآت العمومية والخاصة لتمويل منح المتفوقين إلى إشراك البلديات في تمويل الطلبة  
القاطنين في تراب البلدية إما حسب مؤشرات تربوية أو حسب مؤشرات اجتماعية. هناك  
فرص أخرى كثيرة ممكنة التطبيق غير مكلفة وفعالة. هكذا يتم التكفل بالعبء بنسق جماعي  
تكافلي متعدد الأطراف.

6-3- المرحلة الثالثة: عندما يتم التحكم في المرحلتين السابقتين يمكن التفكير في  
تنويع الخدمات وتحرير المبادرات. بإنشاء سوق عرض الخدمات الجامعية بمشاركة القطاع  
الخاص في مجال النقل والإطعام والإسكان. الدراسات الميدانية التي قمنا بها بينت أن أكثر من  
40 % من الطلبة المقيمين في الإقامات الجامعية لا يتناولون وجبات الغذاء في المطاعم  
الجامعية<sup>1</sup>.

6-4- المرحلة الرابعة: تبني منظومة تمويلية فعالة منصفة ومتنوعة المصادر التمويلية  
تمكن الجزائر من امتلاك إمكانيات تمويلية تؤهلها إلى ضمان سياسة تعليم مبنية على المبادئ  
الآتية: تعليم عالي ديمقراطي، محقق لمستوى جيد من الإنصاف، مضمون بأقل كلفة ممكنة،  
متعدد المصادر التمويلية<sup>2</sup>.

### الخلاصة:

لقد مكنتنا هذا العرض من الإطلاع على سياسات التعليم العالي في العالم ومختلف  
المراحل التي مرت بها. هذه السياسات تختلف من بلد إلى آخر ومن منطقتين إلى أخرى.  
الاختلاف يكمن في جميع المستويات سواء أكان ذلك بالنسبة لمنظمات التمويل أو منظومات  
التخصيص أو نماذج التمويل.

مرت بلدان العالم بعدة مراحل وجربت عدة نماذج. الاتجاه العام اليوم يكمن في ضرورة  
إيجاد سياسات تمويلية ناجعة ومنصفة. هذه النماذج الجديدة تشترك كلها في ضرورة إيجاد

1 - Benarab et autres, 2001.

2 - Benarab, 1999.

د. عبد الكريم بن أعراب ..... مستقبل تمويل التعليم  
مصادر جديدة لتمويل التعليم العالي دون المصدر العمومي. يبقى الهدف بالنسبة للبلدان هو  
محاولة تغطية الكلفة بنسبة 20% من مصادر خاصة بالنسبة لمؤسسات التعليم العالي العمومي.  
تقارير البنك العالمي تشير إلى أن هناك بلدان قد وصلت إلى مستويات عليا فيما يتعلق بنسبة  
الإيرادات المتأتاة من رسوم التسجيل المدفوعة من طرف الطلبة إلى مجمل نفقات التشغيل،  
حيث بلغت هذه النسبة 46% في كوريا ، 40% في الأردن، 36% في الشيلي، 22% في  
فيتنام. في حين لم تتعد هذه النسبة 2.5% في فرنسا و 6% في مصر<sup>1</sup>.

كل البلدان المتطورة تخلت عن نموذج التمويل المتزايد لصالح نماذج جديدة بهدف ترشيد  
الإنفاق والاستعمال الجيد للإمكانات المتاحة. هذه النماذج الجديدة هي من صميم نتائج  
البحوث العلمية بعيدة عن القرارات الارتجالية العشوائية. بالرغم من النتائج المحصل عليها في  
هذه البلدان إلا أنها في إصلاحات مستمرة قصد الوصول إلى سياسة تمويلية مثلى وبالتالي تم  
التخلي لهاثيا عن فكرة المكتسبات.  
بالرغم من الإنجازات المحققة في مجال التمويل الخاص إلا أن العالم لا يزال يتميزه سواد  
التمويل العمومي ولكن بأساليب جديدة.

ورشة الإصلاحات العالمية مست جميع الجوانب المتعلقة بتمويل التعليم العالي. هذه  
الورشة لم تحتكر فقط من طرف البلدان المتطورة بل سجل حماس كبير لدى البلدان الطامحة  
في النمو.

تمويل التعليم العالي في الجزائر تطور بشكل دائري مغلق. لم يأخذ بعين الاعتبار التطور  
السريع الذي حدث في المجتمع ولا النقلة النوعية في مجال السياسات الاقتصادية. يبدو أن  
مسؤولي التعليم العالي يستعملون في حركيتهم واتخاذ القرار السلم (l'escalier) في الوقت الذي  
يستعمل المسؤولون على مستوى الدولة بكاملها المصعد (l'ascenseur).

د. عبد الكريم بن أعراب ..... مستقبل تمويل التعليم  
مقارنة حركية منظومة تمويل التعليم العالي بالجزائر بخركية المنظومات العالمية في نفس  
المجال كمقارنة من يستعمل في تنقله الجمل بذلك الذي يستعمل الطائرة.

أسباب ومبررات وفرص التغيير والقيام بإصلاحات جذرية هادئة متوفرة. لكن الإصلاح  
لا يعني التقليد بل هناك إمكانيات حقيقية في الجزائر لإحداث نقلة نوعية في مجال تمويل  
العالي مع المحافظة على مبادئها السامية المتعلقة بديمقراطية التعليم وتحقيق الإنصاف بأقل  
كلفة. نذكر هنا أن مبدأ أقل كلفة كان من بين أهم أهداف إصلاح التعليم العالي سنة  
1971<sup>1</sup>.

بالرغم من الخلاصة التي استخلصناها إلا أن مستقبل تمويل التعليم العالي سيتميز  
بإصلاحات آنية ستفرضها ديناميكية داخلية وأخرى خارجية، ولا يمكن لمنظومة التعليم  
العالي أن تعيش بمعزل عن المنظومة الاقتصادية الوطنية من جهة وبمعزل عن التحولات  
العميقة التي حدثت على الصعيد الدولي من جهة ثانية.

---

1 - la refonte de l'enseignement supérieur, 1971.



## المخاطرة في الاقتصاد الإسلامي

د. بلوج بولعيد

جامعة منتوري - قسنطينة

### مَهَيِّدًا

نحاول في هذه المقالة التعرض إلى مناقشة بعض النقاط الكمية التي تدخل في تقييم المشروعات ونحاول الإجابة عليها من المنظور الإسلامي، ومن هذه النقاط هو توضيح أن المشروع في الاقتصاد الإسلامي يتعرض إلى مخاطر مرتبطة به وسنحاول شرح التقسيمات المختلفة للمخاطر وتوضيح الأساس الشرعي لحصول المستثمر على الربح وهي قاعدة الغنم بالغرم، ثم نتعرض إلى أنواع المخاطر الأخرى في عملية المشاركة، المضاربة، ومخاطر محفظة الأوراق الإسلامية ومكوناتها.

### 1.1- أصل المخاطرة في الاقتصاد الإسلامي:

من المتعارف عليه أن المنظم يتحصل على الربح مقابل عملية المخاطرة وتجميعه لعوامل الإنتاج، فإن السؤال الذي يطرح نفسه هو هل المستثمر أو المنظم يحصل على الربح هل مقابل قيامه بعملية الاستثمار أو لأنه يتحمل مخاطر هذه العملية.

إن من بين المبررات التي تجعل المستثمر يحصل على عائد هو قيامه باستثمار أمواله وقيامه بالجهد سواء العضلي أو الفكري وبتحريكه لرأس المال أو بالمفهوم الفقهي تقليبه في الأنشطة المشروعة، لذا كلما زادت درجة تحريك الأموال والمخاطرة بما كلما كان العائد كبيراً



د. بلوج بولميد.....المخاطرة في الاقتصاد  
العكس صحيح كلما قل تقليب رأس المال والمخاطرة كلما قل العائد الذي يحصل عليه  
صاحب رأس المال.

فهذا هو المنطق والشيء المتعارف عليه، ولكن رأي الأستاذ باقر الصدر رحمه الله في كتابه اقتصادنا يرى أنه لا توجد هناك أي مخاطرة يتحملها المستثمر، ويرى أن الربح الذي يحصل عليه المستثمر نظرا لقيامه بعملية الاستثمار ويقول ما يلي: "إن الربح الذي يحصل عليه المالك نتيجة لابتجار العامل بأمواله، ليس قائما على أساس المخاطرة، وإنما يستمد مبرره من ملكية صاحب المال للسلعة التي أبتجرها العامل"<sup>1</sup>، ولكن هذا الرأي فيه نصف الحقيقة والنصف الآخر لم يذكره الأستاذ الصدر رحمه الله.

ومن الكتاب الذين تكلموا عن هذا الموضوع ووضحوا خصائصه هو العلامة عبد الرحمن ابن خلدون في كتابه المقدمة، فقد تناول هذا الموضوع في الفصل الثاني عشر "في نقل التلحرج للسلع" فيقول: "وكذلك نقل السلع من البلد البعيد أو في شدة الخطر يكون أكثر فائدة للتجار وأعظم أرباحا وأكفل بحوالة الأسواق لأن السلعة المنقولة حينئذ تكون قليلة معوزة لبعدها مكائها أو شدة الغرر في طريقها فقليل حاملوها ويعز وجودها وإذا قلت وعزت وغلت أثمانها وأما إذا كان البلد قريب المسافة والطريق سابل بالأمن فإنه حينئذ يكثر ناقلوها فتكثر وترخص أثمانها..... وأما المترددون في أفق واحد ما بين أمصاره وبلدانه ففائدتهم قليلة وأرباحهم تافهة لكثرة السلع وكثرة ناقلها والله هو الرزاق ذو القوة المتين"<sup>2</sup> ففي هذا المجلس نلاحظ أن ابن خلدون قد تعرض إلى مخاطر النقل في الأمصار والمخاطر والغرر الذي يتحملة التاجر لذلك يحصل على عائد أكبر من التاجر الذي يقوم بالنشاط التجاري في بلد واحد.

1- محمد باقر الصدر: اقتصادنا دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري 1977، ص 573.

2- عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، دار العلم بسيروت الطبعة الخامسة 1984، ص 396-397.

د. بلوج بولعيد..... المخاطرة في الاقتصاد  
دون تحمل أي خطر، والمخاطر الحالية قد تغيرت وتطورت وكل الأنشطة الاقتصادية تتعرض  
لها ولكن بدرجات متفاوتة، وسنحاول الآن التعرض إلى الأدلة الفقهية عن ذلك:

### 1.1.1- القمار في الإسلام:

إن القمار كان يمارس في المجتمع الجاهلي والإسلامي و يعد من العمليات المحرمة لأنها تعد  
ظلمًا للإنسان، والفرد يحصل على شيء دون القيام بأي جهد، والقمار هو كل لعب بسين  
فريقين تتحقق الخسارة من فريق والربح لآخر على سبيل الموافقة والخط، ودليل تحريم كسب  
المال عن طريق القمار وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ  
رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ، أَمَا يَرِيدُ لِشَيْطَانٍ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ  
وَالْبُغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مَنتهون <sup>1</sup>﴾  
وفي هذا الموضوع يقول الأستاذ رفيق المصري ما يلي: "إن الميسر والقمار والغرر بمعنى  
واحد، غير أن الغرر في البيوع وما قاربها والميسر والقمار في الألعاب وما قاربها وقال  
الدكتور صديق الضرير أن كلمة الغرر أعم من كلمة القمار أو الميسر".

لذلك فإذا كان القمار محرماً في الإسلام، فإن المخاطرة موجودة في أي نشاط يقوم به  
الفرد ومن الأحاديث الدالة على ذلك في هذا الموضوع: ما روى عن عائشة رضي الله عنها  
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( الخراج بالضمان) <sup>1</sup>.

وبسبب وروده أن رجلاً ابتاع غلاماً، فأقام عنده ما شاء الله أن يقيم، ثم وجد به عيباً  
فخاصمه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فرده عليه فقال الرجل: يا رسول الله قد استغل  
غلامي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الخراج بالضمان" وقد ورد الحديث بالصيغة  
التالية "الغلة بالضمان" والمراد بالخراج، الغلة والكرء والدخل والمنفعة. وتفسير هذا الحديث،

1- المائة 90-91.

د. بلوج بولعيد.....المخاطرة في الاقتصاد  
 أن الخراج مهما كان نوعه يستحقه المشتري لأن الضامن إن تكلف، وظاهر الحديث يفيد  
 أن من يضمن الأصل يمتلك غلته، وإذا رده للبائع رد الأصل فقط، وتكون الغلة للمشتري.  
 ومعنى الحديث "أن من ابتاع أرضا فاستعملها، أو ماشية فنتجها، أو دابة فركبها، أو دارا  
 فسكنها أو أجرها فأخذ غلتها، ثم وجد بها عيبا دلسه البائع، فله أن يردها إلى بائعها  
 ولا شيء عليه فيما انتفع به، لأنها لو تلفت بين مدة العقد والفسخ كانت من ضمان  
 المشتري، فوجب أن يكون الخراج له، وهذا ما اقتضته حكمة الشارع في أن يجعل ملك  
 الخراج يضمن الأصل ليكون الغنم مقابل الغرم تحقيقها للعدل ورفعاً للظلم<sup>2</sup>، ومن القواعد  
 الفقهية الأخرى التي تبين أن المخاطرة وجود قاعدة الغنم بالغرْم التي نحاول توضيحها".

### 1.1.2- قاعدة الغنم بالغرْم :

هذه القاعدة استنبطها الفقهاء من المعاملات بين الناس، وقد كنت أظنها في البداية أنها  
 حديث ولكنها قاعدة فقهية، والتعريف اللغوي للغنم كما جاء في لسان العرب:  
 غنم الشيء أي: فاز به.

وتغنمه، واغتنمه، عده وغنمه.

والغنم "بالضم" الاسم، وبالفتح المصدر.

ويقال فلان يغتم الأمر أي يحرص عليه كما يحرص على الغنمين.

**وفي الحديث الشريف:**

"الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة".

= 1- رواه الخمسة: أبي داود، النسائي، الترمذي، بن ماجه ومسنده أحمد  
 2- محمد علي فر كوس: مختارات من نصوص حديثة في فقه المعاملات المالية، القسم، دار الرغائب  
 والنفايس القيمة، الجزائر 1998، ص 227.

د. بلوغ بولعيد..... المخاطرة في الاقتصاد

سماه غنيمة لما فيه من الأجر والثواب.

واصطلاحا لا يخرج معنى هذه الكلمة في الشرع عن معناها اللغوي المتداول ويقصد بكلمة الغنيمة ما يغنم المسلمون نتيجة الجهاد في سبيل الله ومن قوله تعالى:

﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن الله خمسه...<sup>1</sup>﴾.

أما الغرم فما جاء في قاموس لسان العرب وغيره حول هذه الكلمة غرم يغرم وغرامة. والغرم الدين ورجل غارم عليه الدين.

وفي الحديث النبوي الشريف:

(لا تحل المسألة إلا لذي غرم مفتح).

أي ذي حاجة لازمة من غرامة مثقلة.

واصطلاحا يتوافق معناها اللغوي مع معناها الشرعي ومن ذلك قوله تعالى في مصياف الزكاة.

﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل<sup>2</sup>﴾.

### 1.1.3- تطبيق قاعدة الغنم بالغرم في الاستثمارات:

إن هذه القاعدة تعد من الضوابط الإسلامية فهي تقرر العدل في المعاملات، ويقول الشاه، ولي الله الدهلوي رحمه الله "ومن القواعد المبينة عليها كثير من الأحكام أن الغنم بالغرم، وأصله ما قضى النبي صلى الله عليه وسلم أن الخراج بالضمان"<sup>3</sup>.

1 - الأنفال الآية 40.

2 - التوبة الآية 60.

3- محمد صبري هارون: أحكام الأسواق المالية، دار النفائس، الطبعة الأولى 1999، ص 187.

د. بلوج بولميد.....المخاطرة في الاقتصاد

لذلك فإن هذه القاعدة مستنبطة منها الحديث النبوي السابق، لذا فالفرد لا يمكن أن يضمن الغنم لنفسه ويلق الغرم على غيره، أي من يقوم بأي عملية استثمارية أو تجارية يتحمل ربحها وخسارتها، والدليل على ذلك أنه في الملكية المشتركة التي ينتفع من هذه الشركة كل حسب حصته، فإن الشركاء يتحملون الخسارة حسب نسبة حصوهم على الربح، ومن النماذج التاريخية التي لها علاقة بالاستثمار، فقد روى مالك في الموطأ أنه خرج عبد الله وعبيد الله ابنا عمر بن الخطاب في جيش إلى العراق فلما قفلا "رجعا" مرا على بن موسى الأشعري وهو أمير البصرة فرحب بهما وسهل ثم قال: لو أقدر بكما على الأمر أنفعكما به ثم قال: بلى ههنا مال من مال الله أريد أن أبعث به إلى أمير المؤمنين فأسفلكما فبتاعان به متاعا من متاع العراق ثم تبيعانه بالمدينة فتؤديان رأس المال إلى أمير المؤمنين: ويكون لكما الربح فقالا وددنا ذلك فافعل، وكتب إلى عمر بن الخطاب أن يأخذ منهما المال فلما قدما باعا فاربحا، فلما دفعا ذلك إلى عمر قال أكل الجيش أسلفه؟ قال: لا فقال: عمر بن الخطاب أبنا أمير المؤمنين فأسلفكما! أديا المال وربحه!

فأما عبد الله فسكت وأما عبيد الله فقال: ما ينبغي لك يا أمير المؤمنين هذا؟ لو نقص هذا المال أو هلك لزمانه! فقال عمر أدياه فسكت عبد الله وراجعه عبيد الله. فقال رجس من جلساء عمر: يا أمير المؤمنين لو جعلته قراضا، فأخذ عمر رأس المال ونصف ربحه، وأخذ عبد الله وعبيد الله نصف ربح المال قالوا وهو أول قراض في الإسلام، ونلاحظ في هذه الواقعة أن عبيد الله تمسك برأيه الذي اقتنع به الأمير عمر رضي الله عنه، وهو يتذكر أمير

د. بلوج بولعيد.....المخاطرة في الاقتصاد  
المؤمنين بأن ضامن هذا المبلغ "أي الغرم إلى حالة نقصه أو هلاكه ولذا يصبح من حقه أن  
يحصل على غنم"<sup>1</sup>.

ونلاحظ أن الربا في الإسلام محرماً لأنه لا يتماشى مع هذه القاعدة الفقهية لأن المرابي  
يحصل على فائدة دون تحمل أي مخاطرة. والمقصود بالمخاطر هي ما تتعرض له العملية  
الاستثمارية من صعوبات، فالمسلم يأخذ بالأسباب لتحقيق أهدافه المادية أو المعنوية ولكن  
تحمل الخسارة وارد وهذا يعد امتحاناً وابتلاءً من الله وعلى المستثمر الصبر على ذلك، وفي  
هذا يقول الله تعالى: ﴿وَلْيَلْبِؤْكُمْ بَشْيءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ  
وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ  
أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ<sup>2</sup>﴾

لذلك فإن تحمل المخاطرة في الاقتصاد الإسلامي موجودة وللمستثمر الحصول على عائد  
خاص بهذه المخاطر، لذلك فإن المشروعات تختلف مستويات مخاطرها وبالتالي يكون العائد  
عليها يتناسب مع مستويات المخاطرة.

وتحمل المخاطر أساس للقيام بعملية الاستثمار وتحمل المتاعب والصعوبات لتحقيق  
الأهداف، فكما يقول الراغب الأصفهاني كتابة الذريعة إلى مكارم الشريعة المنازل الرفيعة لا  
تنفك عن المخاطرة، لذا فإن حياة الإنسان وأعماله وتصرفاته كلها محفوفة بالمخاطر ولا بد  
من تحملها للوصول إلى الغاية المنشودة.

1- حسن صالح العناني: بحث حول حديث الغنم بالغرم طبع بمطابع الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية، ص  
74-77.

2- البقرة 155-156 .

د. بلوچ بولعيد.....المخاطرة في الاقتصاد

والاقتصاد الإسلامي لا يعترف بمفهوم التأكد في الاستثمار وهو أصلاً يعتبر كأصل من أصوله، وفي هذا المقام يحضرنى بيت للشاعر المتنبي عن نفسه.

تريدين لقيان المعالي رخيصة ... ولا بدأ دون الشهد من إبر النحل

وهذا ما يجعلنا نعتقد أن الإقدام على الاستثمار في المجتمع المسلم يكون بدرجة

مقارنة بالاقتصاد الرأسمالي لأن الفرد مطالب بأن يسعى

## 1.2: مخاطر الإنتاج والمخاطرة:

إن دراسة موضوع المخاطرة يقودنا إلى التعرض ولو باختصار إلى عناصر الإنتاج المختلفة ومعرفة مدى تعرضها أو عدم تعرضها للمخاطرة وهذا بالطبع من المنظور الإسلامي، فمن المعروف أن الربح قد يحصل عليه المنظم أو صاحب رأس المال أما الأجر فقد يعود إلى العامل، لذا فالربح مرتبط بالمخاطرة بينما الأجر ليس عرضة لذلك لأنه عوض في عقد يفيد التملك.

فالأجر سببه بيع المنفعة، لذا فالعامل يحصل على الأجر بمجرد تملكه المنفعة للغير، وبالتالي فالعامل لا يتحمل أية مخاطرة.

أما الربح فهو نصيب ذلك العنصر من الإنتاج الذي يدخل المخاطرة عندما يشارك في العملية الإنتاجية لأنه يضمن تحمل الخسارة الممكن وقوعها، فالمنتج يقوم بإنتاج السلعة لكي يسوقها في السوق ومعروف أن المحيط الاقتصادي فيه العديد من المخاطر التي يعلمها إلا الله. أما الممول بطريقة<sup>1</sup> تأجير الأصول الثابتة فاستحقاقه للأجر في الإجارة يعتبر عائداً مقبولاً لأنه قد تحمل مخاطر قراره الاستثماري عند القيام بشراء الأصل الثابت وامتلاكه .

1- منذر قحف: تمويل التنمية في الاقتصاد الإسلامي وسائله ومؤسساته، ورقة مقدمة لندوة التنمية من منظور إسلامي، عمان 20-22 كانون الثاني 1991، ص 37.

د. بلوج بولعيد.....المخاطرة في الاقتصاد

كما أن العمل قد يتحمل أيضا المخاطرة وهذا في حالة المضاربة، لأن المضارب قد لا يحقق المشروع أي ربح لا يحصل على نصيبه من الأرباح التي من الممكن الحصول عليها في حالة تحقيقها، لذا نلاحظ أن هناك فرق بين عمل الأجير وعمل المضارب.

أما رأس المال إذا كان على شكل مال عيني كالأصول الثابتة أي الآلة مثلا أو في شكل عقار كالأرض، فقد تحصل الآلة إما على أجر ثابت أو على أساس عدد الوحدات التي يمكن أن تنتجها الآلة مثلا، أو على أساس نسبة من الربح<sup>1</sup>، أما العقارات أو الأرض ففي حالة الصناعة في الغالب تكون مملوكة لصاحب المشروع وهي محتواة ضمن الأصول الثابتة، أو قد تدفع الأرض لمن يعمل بها كما في المساقاة والزراعة، فمالك الأرض قد هيا الأصل واتخذ قرار استثماري أولي وهو تهيئة الأرض أو غرسها بالأشجار وهناك قرار استثماري لاحق لمن يدير هذه الأرض وأشجارها لاستخراج منافعها لتحقيق المحصول أو العائد<sup>2</sup>، أما رأس المال النقدي فلا يمكن أن يحصل على أجر لأن طبيعته لا تسمح بذلك، فلا يمكن استخلاص أي منفعة من النقود إذا بقيت على حالها، أي لا يمكن تحقيق أي منفعة مع بقائه كما كان مثل هو الشأن بالنسبة للعمل والأرض بل يجب مبادلتها بغيرها من المنافع أو الأعيان "الأصول"، فالنقود تستهلك بمجرد تعويضها أي التخلي عليها مقابل الأشياء المشتراة، لذلك فإن رأس المال النقدي لا بد من تحمله للمخاطرة لكي يحصل على الربح، بينما الأصول الثابتة بإمكانها الحصول على أجر أو نسبة من الربح.

أما القرض فلا يستحق أي عائد رغم أنه يتضمن تضحية وتبرعا وإحسانا من الطرف الذي قدمه وهذا لأن صيغة القرض تشمل تطبيقا على ضمان للمقرض، ولهذا لا يشترك في

1- رفيع يونس المصري: مشاركة الأموال الاستعمالية والأصول الثابتة في الناتج أو الربح، مجلة أبحاث الاقتصاد الإسلامي، العدد 1، صيف عام 1985.

2- منظر حفص: تمويل التنمية في الاقتصاد الإسلامي وسائله ومؤسساته، ورقة مقدمة لندوة التنمية من منظور إسلامي، عمان 20-22 كانون الثاني 1991، ص 12-13.



د. بعلوج بولعيد.....المخاطرة في الاقتصاد  
عمل المخاطرة، كما أن تقدم أصل ثابت على شكل قرض أصبحت ملكا للمقرض الذي  
يتحمل وحده مخاطرها.

فالربح يستحق أيضا بالضمان إضافة إلى ما هو متعارف عليه كرأس المال والعمل، كما  
في حالة شركة الوجود والأعمال، فمثلا في شركة الوجوه يستحق الشريك الربح بسبب  
ضمانه للمال الذي استلفته الشركة، فالضمان الذي يستحق به الربح هو ضمان لسداد دين  
كما في شركة الوجوه أو ضمان لإنجاز عمل كما في شركة الأعمال.

كما أن العامل قد يتحمل الأخطار سواء كلياً وهذا عن طريق المضاربة أو جزئياً عند  
تنازله على جزء من الأجر الممكن الحصول عليها وهذا بتقاضيه حد أدنى مسن الأجرور  
وجعل الباقي مرتبط بالربح الذي ممكن تحقيقه مستقبلاً أو بشرائه لبعض أسهم الشركة التي  
يعمل فيها.

من العرض السابق نلاحظ أنه هناك عدة بدائل للحصول على الدخل وأن عوامل الإنتاج  
بإمكانها كلها تحمل المخاطرة وهذا بدرجات متفاوتة وهذا حسب الصيغ الممكنة للاستثمار،  
وبالتالي تنوع الأخطار وبالتالي التقليل من المخاطر التي يتحملها المنظم وصاحب رأس المال  
وهذا ما يؤدي إلى جعل القرار الاستثماري ليس من طرف واحد بل من كل الأطراف التي  
تتحمل المخاطرة.

---

I-Syed Aftab Ali :Risk Bearing and Profit Sharing in Islamic Framework, some allocational  
considerations, Fiscal Policy & resource allocation In Islam.1983, PP 253-286.

د. بعلوج بولعيد.....المخاطرة في الاقتصاد

## 1.2.1- مخاطر التمويل في المضاربة:

إن رأس المال في الاقتصاد الإسلامي له مردود يسمى بالربح مقابل مساهمته في العملية الإنتاجية، وهذا العائد لا يمكن تحديده مسبقاً وليس بمضمون، وهذا بعد حصول عوامل الإنتاج الأخرى على مردودها.

فكما هو معروف فإن الاستثمار في السندات أو تقلم القروض بمعدل ثابت لا يجوز شرعاً، لأن هذا يدخل في المعاملات الربوية<sup>1</sup>.

ومن أهم خصائص استثمار الأموال في الإسلام هو أن رأس المال يشارك مع عوامل الإنتاج الأخرى ويحصل على الربح العائد له حسب ما هو متفق ومتعارف عليه.

لذا فإن صاحب رأس المال في حالة عدم قيامه باستثمار أمواله في مشاريع خاصة، تبقى الحلول الممكنة أمامه هي إما إنشاء شركات مع الغير أو شراء أسهم من السوق المالية شريطة أن تكون المعاملات السائدة في السوق تتماشى مع الشريعة الإسلامية ونفس الشيء بالنسبة للمؤسسة التي تشتري أسهمها، أو المضاربة، أي تقلم أموالها لمن يملك الخبرة، أو من يملك الخبرة وله رأس مال، وعند انتهاء عملية المضاربة يتم اقتسام الأرباح وفق ما هو متفق عليه في العقد أو حسب العرف السائد في المنطقة، فالشركات التي تقوم على هذا الأساس تتكون من طرفين أحدهما صاحب المال والثاني هم من يملك الخبرة والجهد والوقت والعمل ويسمى "المضارب" أو "العامل" الذي يقوم بتشغيل هذه الأموال واستثمارها وفق قواعد وشروط عقد المضاربة<sup>2</sup>.

1-Monzer Kahf & Tariqullah Khan :Principles Of Islamic Financing. A Survey. Islamic Research and Training Institute, Islamic Development Bank, Jeddah, 140911.

2 -الصديق الضريع: أشكال وأساليب الاستثمار في الفكر الإسلامي، مجلة البنوك الإسلامية، ص ص 22-16.

د. بلوج بولعيد.....المخاطرة في الاقتصاد  
والمضارب لا يضمن ما تحت يده من مال وفقا للقواعد الشرعية إلا إذا اعتدى أو قصر  
وخالف الشروط المتفق عليها، لأن هناك نوعين من المضاربة إما مطلقة أو مقيدة.  
وأهم التطبيقات الحديثة في هذا المجال هو أن البنوك الإسلامية<sup>1</sup> قد تقوم بعملية استثمار  
أموال الغير هي نفسها أو تلعب دور الوسيط بين صاحب المال والمضارب.

### 1- مزايا الاستثمار بالمشاركة<sup>2</sup>:

- إن مشاركة رأس المال مع عوامل الإنتاج الأخرى وخاصة المضارب الذي يملك  
الخبرة يسمح بالتعاون واستثمار الأموال لتحقيق النمو الاقتصادي.
- إن صاحب رأس المال الذي يستثمر أمواله على أساس المشاركة يحصل على الربح  
العائد الذي يقابل الدور الفعلي لهذه الأموال.
- تطبيق هذه العملية تحمّر الفرد من الأناية والسلبية التي يتميز بها عندما يقوم بإيداع  
أمواله في البنوك بمعدل فائدة ثابت.
- في حالة المشاركة فإن الفائدة ليست هي المؤشر الخاص بالكفاية الحدية لرأس المال  
وإنما يصبح الربح هو المؤشر لتوجيه الأموال نحو الاستثمارات.
- إن نظام المشاركة له تأثير على توزيع العائد من المساهمين في عملية الإنتاج، وهذا ما  
يؤدي إلى تراكم الثروة بطريقة عادلة.

1-Nejatullah Siddiqi :Economics of Profit-Sharing, Fiscal Policy &Ressource Allocation In  
Islam I.C.R in Islamic Economics, King Abdelaziz University Jeddah, 1983.

2 -صبري عبد المنعم عبد الرؤوف 2د: المنهج الإسلامي للدخار والاستثمار والتنمية كحل بديل لنظام  
الفائدة في البنوك التجارية، المؤتمر العلمي السنوي الثالث، المنهج الاقتصادي في الإسلام بين الفكر  
والتطبيق، كلية التجارة جامعة المنصورة، أبريل 1983.

## 1.2.2- المخاطر في عمليات التمويل بالمشاركة:

لعل تعرضنا إلى المخاطر في حالة المضاربة بصورة عامة توضح لنا أن أطراف المخاطرة مختلفة قد يكون صاحب المال والمنظم أو المضارب ومن الممكن أيضا أن تكون هناك حالات يشارك فيها العامل في عمل المخاطرة، كما أن البنوك الإسلامية التي تقوم بعمليات الاستثمار عن طريق المشاركة أو المضاربة تتعرض إلى عدة مخاطر نلخصها فيما يلي<sup>1</sup>:

### أولاً: إحدارة البنك:

- مصادر الأموال المستمرة.

- التنوع في المشاركات.

- مستوى وقدرة الإطارات الفنية.

- متابعة وتقييم عمليات المشاركة.

ثانياً: شريك البنك (العميل):

- الشكل القانوني للشريك.

- مرحلة نمو الشركة والخبرة السابقة.

- الموقف المالي للشريك.

### ثالثاً: إحدارة المنخضة المشاركة:

- صفة رئيس الشركة (مالك، موظف).

- طموح رئيس الشركة.

- أخلاقيات رئيس الشركة.

1- محمد مصطفى كامل: مخاطر التمويل بالمشاركة، المصرف الإسلامي الدولي للاستثمار والتنمية، بدون تاريخ.

### رابعاً: سوق السلعة أو الخدمة موضوع المشاركة:

- طبيعة السلعة أو الخدمة موضوع المشاركة ( أساسية أو كمالية ).
- السلع أو الخدمات المنافسة البديلة .

### خامساً: التمويل :

- الموقف التمويلي للشريك.
- حجم المشاركة المطلوبة.
- مدة المشاركة.
- إمكانية بيع حصة مشاركة البنك.

فهذه باختصار المخاطرة التي يمكن أن يتعرض لها البنك ولمزيد من التوضيحات لهذه العناصر يمكن مراجعة دليل البنوك الإسلامية<sup>1</sup>، وهذه العوامل المختلفة يحاول البنك قدر المستطاع التحكم والتخفيف من الأخطار التي يتعرض إليها.

ولكن بصورة عامة فالبنوك الإسلامية بإمكانها القيام بالاستثمار في عدة مشاريع، لذا فبإمكانها التحكم في المخاطرة وهذا عن طريق التنوع فالبنك إذا كان يستثمر كشريك فإنه من المفروض أن يقدم الخبرة اللازمة لعملائه للاستثمار في عدة مشروعات وهذا لتحقيق فكرة التنوع، وهذا ما سنحاول التعرض له في الجزء القادم.

---

1- دليل تحليل الجدوى وتقييم المشروعات من منظور مصرفي إسلامي: ملحق موسوعة الاستثمار، الموسوعة العلمية والعملية للبنوك الإسلامية، الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية 1984 ص 1/3 18/3 الفصل الثالث.

### 1.2.3-محفظة الأوراق المالية الإسلامية:

من المعروف أن محفظة الأوراق المالية التقليدية تتضمن سندات وشهادات استثمار وإيداع بفائدة، ومن المعروف أن كل المؤسسات تتعامل بالفائدة مهما كان نشاطها حلالاً أو حراماً.

أما الخاصية التي تتميز بها محفظة الأوراق المالية الإسلامية أنها لا تتضمن النوع السابق من المعاملات المالية المحرمة كالربا أو الفائدة أو التعامل بالسندات التي تدر عائداً ثابتاً من المال. لذا فإن مخاطر محفظة الأوراق المالية الإسلامية قليلة مقارنة بالتقليدية، وتتضمن ما يلي<sup>1</sup>:

أ- صكوك مضاربة إسلامية " شرط أن لا يتعامل بالربا".

ب- أسهم شركات أو بنوك إسلامية "البنك الإسلامي بنفسه أو بالاشتراك مع الغير".

ج- أسهم شركات لا تتعامل بالفائدة أخذوا أو عطاء قام البنك بشراؤها من الغير.

د- شهادات إيداع محلية أو دولية، لدى البنوك بدون فائدة محددة سابقاً مع شرط استثمارها في استثمارات حلال أو بطريقة حلال.

وهذه المخاطرة يمكن تصنيفها إلى مخاطر غير منتظمة (Unsystematic Risk) وهي المخاطر التي تتعلق بشركة معينة أو قطاع معين، والتي يمكن أن يتعرض لها السهم في السوق، والمستثمر بإمكانه تخفيض هذه المخاطر أو إزالتها وهذا عن طريق محفظة الأوراق المالية للمستثمر.

لذلك فهذه المخاطر يمكن أن يتعرض لها أي سهم، ولكن انطلاقاً من نظرية محفظة الأوراق المالية ومن المثل الإنجليزي الذي يقول "لا تضع بيضك في سلة واحدة"، تبقى أمام المستثمر أو البنك الإسلامي محاولة تقليل المخاطر إلى أدنى حد ممكن وهذا بالقيام بتوظيف

1- الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية: موسوعة الاستثمار، الجزء السادس ص 267، 1982 .

د. بلوج بولميد.....المخاطرة في الاقتصاد  
أموال عملائهم في عدة مشاريع بحيث يستطيع المستثمر التخلص من المخاطر غير المنتظمة  
وبالتنوع يستطيع الحصول على متوسط عائد مقبول.

### الخاتمة:

إن أهم ما نستنتجه من هذا العرض السريع للمخاطرة في الاقتصاد الإسلامي، هو أن  
الإسلام يحرم القمار الذي يعد ظلما بين الأطراف المتعاملة ولكنه في المقابل يميز المخاطرة  
التي تتماشى مع فطرة الإنسان التي تسعى دائما لتحقيق طموحها والتشبث دائما بخيط الأمل  
ومواجهة كل الصعوبات التي تعترض طريقه، كما أن مبدأ الغنم بالغرم يعد أساسا علدلا في  
التعامل بين الناس، وأن عناصر الإنتاج يمكن أن تتحمل المخاطر بدرجات متفاوتة وهذا ما  
يساعد على التوزيع العادل للثروة بين المجتمع وكذلك الخسائر المترتبة عن العمليات  
الاستثمارية كما في حالة المضاربة واستثمارات البنوك الإسلامية، كما أن تطبيق هذا المبدأ  
يؤدي إلى تخفيض تكلفة المشاريع الاستثمارية نظرا لعدم وجود الفوائد الخاصة بالقروض  
الغير مقبولة من الناحية الشرعية كما في حالة التمويل بالقروض.



## الإيقاع الروائي في رواية سيدة المقام مرثيات اليوم الحزين لواسيني الأعرج

أ. بوشليحة عبد الوهاب

جامعة الأمير عبد القادر

موقع الرواية ضمن كتاباته واسيني الأعرج. نظرة عامة.

إن موقع (سيدة المقام) من النصوص السابقة التي أنتجها -واسيني الأعرج- منذ نهاية السبعينيات تتقاطع كلها عند الهاجس المركزي للكاتب، وهو الهاجس السياسي. لكنها تستقل بعضها عن بعض في حدود ما تسمح به إستراتيجيات الخطاب الروائي الذي يكتسب موقعه وفعاليته كل مرة انطلاقاً من الرواية والموقف..

وتمثل (سيدة المقام) نقطة إنزياح عن مسار جديد سلكه واسيني في تجربته منذ (نوار اللوز) ثم "فاجعة الليلة السابعة بعد الألف" وهما روايتان يشتغلان على التناص مع أشكال سردية تراثية، ويحاولان تقديم قراءات أكثر حداثة للتراث من منظور الوعي الجديد، الذي يشكل إثر سلسلة الصدمات والتفاعلات المختلفة بين الذات العربية والآخر في كل تجلياته.

والقول بالإنزياح عن هذا المسار قد يفتح أفق الانتظار على تجربة مغايرة من حيث طبيعة الشكل السردية الذي تمثله (سيدة المقام) ذلك أنه ينبغي أن يتميز عن النصين السابقين، من حيث الإضافات المختلفة، خاصة وأن الأمر يتعلق بسلسلة نقلات على مسار الرواية يدفعه



هاجس الإبداع إلى مزيد من البحث عن كل نقاط التفرد الممكنة<sup>1</sup>.

غير أن اللافت في هذا النص هو أنه يكاد أن يعيدنا إلى نصوص ما قبل تجربة التناس (وقائع من أوجاع رجل غامر صوب البحر) و(مصرع أحلام الوديعة) حيث الحكيم لا يستند إلى مرجعية جاهزة ذات بنية منتهية، بل يعتمد على تداعيات اللحظة بالاستفادة من الظغوط التي تقع تحت طائلتها الذات الساردة. لكنه من الصعب الإقرار بالأمرين: الإنزياح الكلي عن تجربة آتناص والعودة إلى المرحلة الأولى لسبيين:

أ- إن التراث حاضر في (سيدة المقام)، ليس هو محور اشتغال النص لكن رواسته تطفو من خلال نمط تكوين شخصية مريم المسكونة شهزاد إلى حد الدوبان فيها، والتضحية بروحها من أجل تجسيدها على الخشبة، أو إعادة بعثها من عتمات اللاوعي أو الوعي المحاصر بالمنوعات.

ب- تنشأ بين -سيدة المقام- ونصوص ما قبل تجربة التناس مفارقة جوهرية تكمن في علاقة النص الروائي بالحركات المختلفة، بدوره وفعالياته في الحركة التاريخية. ونطرح هنا قدرة النص، أي النص وبالتالي أية رواية على مقاربة الواقع من زاوية تدينه في حدود الإرهاص والتنبؤ وهو من استراتيجيات الخطاب كالخطاب الروائي<sup>2</sup>.

إن نصوص واسيني التي أنتجها قبل تجربة التناس مواقف من وقائع اللحظات الآنية، أو أزمنة ماضوية. لكن الأمر مختلف بالنسبة لسيدة المقام، إن المعيش فيها يؤسس لوقائع لاحقة إلى درجة القول أنها رواية تقدم قراءة أو رؤية مستقبلية، ولذلك كانت فعالية الخطاب محققة، خاصة وأن الرواية تلامس بكثير من الجرأة والعمق مقدمات الحقبة الديموية التي تعيشها الجزائر منذ سنوات.

1- خليفة قرطي: سيدة المقام: إرهاصات سنين الدم. جريدة الخير 31 مارس 1998.

2- خليفة قرطي: سيدة المقام: إرهاصات سنين الدم. جريدة الخير 31 مارس 1998.

## معنى الإيقاع الروائي:

الإيقاع الروائي هو الرواية نفسها، أي البناء المتكامل أو قوة التراكيب، معاني وصورا وعواطف ورموز ودلالات. أي الحضور الكلي للرواية أو العالم الذي تصوره، حضورا خاصا في الذهن أو المخيلة أو الزمن. إنما استغراق عقلي ونفسي في اكتشاف الأشياء وإعادة كتابتها<sup>1</sup>. ويقودنا هذا الإيقاع إلى موضوع الزمن في الرواية، ويرى البعض إن الإيقاع هو الزمن نفسه في الرواية أو هو المعنى الداخلي بصفة توفقا داخليا وتوتر تشارك فيه كل عناصر العمل الفني. فهو أي الزمن، يكون هنا كما فهمه جوته، اللحظة الحاضرة التي يظل فيها الماضي، حاضرا، ويظل المستقبل حيا بالفعل، ولن تتحقق هذه اللحظة إلا عبر عمل فني، متجانسا كليا، وينطوي على إيقاع شامل، أو على زمن شامل وتلعب اللغة في هذا المجال دورا رئيسا لاعتبارات عدة، منها أن اللغة هي الوسيلة لنقل الإحساس والفكر، وهي أداة البناء والتلوين، وبدونها لا يوجد إحساس ولا فكر ولا بناء، وبالتالي لا توجد رواية<sup>2</sup>.

## الإيقاع الروائي في رواية سيدة المقام

(شي ما تكسر في هذه المدينة بعد أن سقط من علو شاهق، لست أدري من كان يعبر الآخر: أنا أم الشارح في ليالي هذا الجمعة الحزين. الأصوات التي تملأ الذاكرة والقلب صارت لا تعد، ولم أعد أملك الطاقة لمعرفة. كل شيء اختلط مثل العجينة. يجب أن تعرفوا أنني منهك ومنتهك وحزين ومتوحد مثل الكتابة)<sup>3</sup>.

هكذا يبدأ وسيني روايته، وهي تجسد حالة اغتراب البطل عن العالم المحيط به. لأنها حادثة اغتراب عن الآخرين، عن الذات، عن المكان، وعن العالم المحيط به. هذا العالم الذي لا

1 - طراد الكايسي: الصوت المنفرد. دراسة جمالية في شعر سامي المهدي. مجلة أقلام العدد 8. 1977 ص

30.

2 - المرجع نفسه ص 30 / 31.

3 - واسيني الأعرج: سيدة المقام: مراثيات اليوم الحزين. موفم للنشر ط 1997 ص 5.

أ. عبد الوهاب بوشليحة ..... الإيقاع الروائي  
مكان له سوى سجن الذات، ومن هنا تبدأ رحلة الموت في الحياة رحلة الألم والشقاء  
والمعاناة.

### إيقاع السجن النفسي والسجن الخارجي (المجتمع)

يعتمد على علاقة البطل مع العالم المحيط به، ويجسد رحلة المعاناة الداخلية التي تفرضها عليه ظروفه الحاضرة (بنو كلبون) و(حراس النوايا) ويرسم بالتالي هذا الإيقاع جزئيات الأزيمة التي يعيشها البطل في عالمه النفسي الممزق. فالبطل يأمل لدى خروجه إلى الشارع المجتمع الجزائري. أن يتخلص من آلام الاغتراب والمعاناة، والموت في الحياة (أريد أن أتحرر من هذه الذاكرة المثقلة بالحنين والأوجاع)<sup>1</sup>. لكن في الشارع، في المدينة، في وطنه لا يجد مكانا يأوي إليه، أو أحد يعترف به فينقلب الأمل يأسا والعالم الخارجي سجنا ثانيا، ثم يعود مكرها مرة أخرى إلى سجنه الداخلي. (تصوري يا مريم يا محنة الغريب الأوحده المتوحده بظله الذي لا يمتلك إلا جسده المكسور، والجسد لا يسعفه دائما. تصوري ما معنى أن تقطع علاقاتك بالريح والنباتات، والصرخات، والعمل. ما معنى أنك فقدت الأمل ويست من معرفة سر الكلمات)<sup>2</sup> يعيش البطل في السجن الخارجي لحظات فراغ ويشهد عالما غريبا مذهلا (حراس النوايا ينتشرون في المدينة مثل رمال الجنوب الساخنة. إنهم لا يأتون إلا عندما تخسر المدينة سحرها. مدينة ساحلية كانت تعشق الألوان ووقوفات النوارس البيضاء صحرا. بنو كلبون ويجهز عليها حراس النوايا. تشممهم من بعيد فنغير المعابر والطرق)<sup>3</sup> وبالتالي يعود إلى ما وراء قضبان ذاته ليتساءل (من أين يأتي هذا الحزن المسحور؟ من أين ينفذ هذا السر؟ من أين تأتي رائحة الموت والكآبة؟ سأعود إلى وحدتي المحزنة)<sup>4</sup> إن البطل يبحث عن لحظة الحلم التي كان يحلم دائما بها، ويفتش في داخله عن شعور غير عادي، فرح

1 - المصدر نفسه ص12.

2 - المصدر نفسه ص12.

3 - المصدر نفسه ص11.

4 - المصدر نفسه ص15.

أ. عبد الوهاب بوشليحة ..... الإيقاع الروائي  
أو بهجة أو انفعال ما. فلا نجد شيئاً يقول (لي الكثير من الحب لكل ما يحيط بي. لكنهم قتلوا  
ويقتلونهم بالتفريط. أنا كذلك أحب وطني وأحزن عندما يحزن وطني. لكن في أحيان كثيرة  
أشعر بأنني بلا وطن على الإطلاق).<sup>1</sup>

### إيقاع حركة البطل بحبر الأمكنة.

حركة البطل من البيت إلى الشارع، من مستشفى مصطفى باشا إلى شارع محمد  
الخامس ثم إلى البيت. ترسم خط سير حياته الدائم، وتشكل عالمه الداخلي، وتقيم علاقاته  
المختلفة مع الأشياء الواقعة في العالم الخارجي ثم تجسد بالتالي أزمة الاثتراب والسلا معنى  
والعبث التي تسيطر على عالم البطل النفسي كما يفرضها العالم الخارجي المحيط به. ففي  
رحلته إلى الشارع يرصد العالم الخارجي. ثم يرتد إلى الذاكرة - الارتداد - والاسترجاع أو  
طريقة تيار الوعي وهكذا يقول (خلت نفسي في قرية كبيرة. المدينة صارت ويفا. كم كنت  
أود أن أنزلق إلى حانة. لكنها كانت موصدة. عند بابها كومة من الأرزال. ورجل يبحث  
بين أكياس الزبالة عن دفة ما. عندما رفعت رأسي، كان البحر قد احتفى ولم تسبق إلا  
الأنوار الملونة للسفن الراسية في زوايا بعيدة)<sup>2</sup> وهكذا يسجل البطل ويرصد ما يشاهد في  
الشوارع دون انفعال. وكان لا وقت لديه للانفعال أو المشاركة أو للحزن.

إنه يمر على إيقاع منظر مزبلة التي شوهدت حقيقة الإنسان في عالم منوج بالعبث والسوت  
البطيء. أن تجوال البطل في شوارع المدينة وأزقتها، والوقت الذي يقضيه صامتاً في البيت  
قبل النوم، قد أفسح المجال له ليتنقل عبر أزمنة وأمكنة وأحداث كثيرة ومختلفة تتبع في مخيلته  
وتعيش في أعماقه، يسترجعها في أوقات الصمت والتأمل والذهول. فبعد أن يقضي وقتاً  
طويلاً سارحاً في شوارع المدينة، يذهب إلى بيت مريم وقد انفصلت عن زوجها، ثم يرصد  
المصير المؤلم الذي آلت إليه مريم. ثم يحادثها عن ماضيها الدافئ، في عالم الأوبرا. وهكذا

1 - المصدر نفسه ص 21.

2 - المصدر نفسه ص 123.

أ. عبد الوهاب بوشليحة ..... الإيقاع الروائي  
تتدفق أصوات الماضي والحاضر وذكريات في ذهن البطل حتى يأوي إلى فراشه بانتظار غد  
جديد واغتراب جديد.

### إيقاع الزمن في أعماق البطل

و فيه يسترجع أزمان الماضي وآلامه وكآبة الحاضر وهلوساته، وظلمة المستقبل وخواتمه  
و الماضي المحزون في أعماق البطل وذكرياته. ماض كتيب ملء بالجراح والذكريات  
المخزنة يقول (شيء فينا إنبنى على الألم منذ زمن بعيد)<sup>1</sup> ففي ذاكرته قصة صديقتيه مريم  
ونهايتها الفاجعة، ثم قصة أنا طويلا عايشها البطل وانتهت بمأساة أيضا. وأصداء ألم الأحداث  
يوم أكتوبر 1988 وكلها تجسد تناقضات الواقع الإنساني وغرابته وجنونه ولا منطقته.  
يشكل صدى الماضي والحاضر في رأس البطل وأعماقه توترا وطنيا، ودويا في خاطره،  
ولا ينقطع هذا الطنين طيلة الوقت إنه يرافقه، ويخزه، ويدفع به إلى حالة الاغتراب والوحدة  
التي تلازمه في تنقلاته من البيت إلى الشارع. من سجنه النفسي إلى سجنه الخارجي.  
وتراءى أمام عينيه في لحظات تأمله أو صمته أو أحلامه. ويتصل ماضي البطل الكتيب  
بماضه الخاوي المذهل وانطلاقا من الزمن الماضي مرورا بالزمن الحاضر يرسم صورة قائمة  
له، صورة مظلمة تبعث على الغثيان واليأس (البلاد تموت كل يوم أكثر. وقد لا يبجيء هذا  
الربيع أبدا)<sup>2</sup> وتتشكل هنا صورة الأزمنة الثلاثة في ذاكرة البطل لتشكل حالة الاغتراب  
المتكررة التي تصاحب هذه الأزمنة وتصبح عاملا مشتركا دائم الحضور في ماضي البطل  
وحاضره ومستقبله. ولذا ينتظم إيقاع الزمن في عالم البطل الداخلي ويتكرر على وتيرة  
واحدة تبعث دائما على الخواء والذهول والإحباط. فالزمن بمحالاته الثلاث يتواصل بخطط  
نفسية واحد في ذاكرة البطل، لتتشابك عليه أحداث مؤلمة وتنسج عليه قصة واقعه الكتيب.

1- المصدر نفسه ص 200.

2- المصدر نفسه ص 160.

### - إيقاع العبث في عالم البطل:

إنه شعور متكرر، ملازم، دائم الحضور في كل زمان ومكان، في حياة البطل. ربما يكون الإحساس بالعبث الوجودي والوحدة والموت في الحياة هو الإحساس الذي يسيطر على أجواء الرواية. فإيقاع العبث في ذاكرة البطل فيه استرجاع لحياته الماضية المزدهمة بالمآسي والآلام. إن عالم البطل النفسي يرى غامضا بالقلق والأرق انطلاقا من تجاربه والأحداث التي عاشها، كما يستذكرها أثناء لحظاته الشعورية المتدفقة عندما يتحرك ذاهلا سارحا - جسدا بلا روح - عبر الشوارع حتى مرتفعات تيلملي حيث انتحرت الشاعرة - صفيحة كتو - (أشعر بالرغبة الكبيرة للوقوف على الجسر الذي أكل شاعرة هذا البلد. وعندما ينتحر شاعر فهذا حدث لا يتكرر دائما. ويعني حتما أن قبلة مخبأة في جوف المدينة الساحلية سستنفجر عما قريب)<sup>1</sup>.

تشكل نتائج هذه التجارب، وآثار هذه الأحداث إحياسا دائما بالاعتراب عند البطل. وتشكل أزمة العبث - الدائمة الحضور في حياته عند كل مرحلة - مكان أو زمان - أو يقظته أو ذكرياته أو تخيلاته. العبث يكتنف حياة البطل كلها، ويسطر عليها ويطبعها بطابع الجنون والفرع كما يرى البير كامبي في أسطورة سيزيف (شعور لا يمكن التخلص منه إذا تمكن مسن إنسان ما وعاش في أعماقه)<sup>2</sup>.

### - إيقاع الموت في عالم البطل:

إنه يشكل أحداث متكررة مؤثرة في عالم البطل، أسهمت في دماره النفسي واعتراجه الوجودي الذي يعاني منه طيلة الوقت. (أحيانا يغمري هذا السؤال هل هناك من يتذكرنا عندما نموت؟ وعندما لا أجد جوابا أدخل في عبثي المعتادة ومن بعد؟ ليكن لنعش. وبعدها ليندثر هذا الجسد داخل التربة)<sup>3</sup> فحوادث الموت في الرواية تتكرر وتظهر بأشكال مختلفة

1 - المصدر نفسه ص 231.

2 - البير كامبي: أسطورة سيزيف ص 24.

3 - واسيني الاعرج: سيدة المقام ص 72.

أ. عبد الوهاب بوشليحة ..... الإيقاع الروائي  
ومتعددة، فكلها مخزونة في ذاكرة البطل. مقتل مريم في هذا الجمعة التعيس، أنا طوليا السي  
سرقوا كل الأحلام التي جاءت من أجلها إلى هذه البلاد، موت صافية كتو. كلها تشكل في  
الغالب تساؤلا استفهاميا استنكاريا وتنطوي على شعور بالاحتجاج والسخرية والرفض،  
ولا منطقية هذه البلاد وهذا الكون. وأن هذا الوجود الذي يفتقر إلى المنطق أو الإقناع  
وجود عبثي يراه البطل وأنه يدفع الإنسان إلى حالة الاغتراب والعبث التي يعاني منها في  
العصر الحاضر.

إن مراثيات اليوم الحزين التي يشير إليها عنوان الرواية تستوعب بشكل رئيسي من أجواء  
الموت التي تسيطر على جانب من عالم الرواية، قد تكون في الغالب رائحة الموت المنتشر في  
كل مكان، والمتكرر في كل زمان. والذي يطول كل إنسان شابة كمريم أو صديقة كأننا  
طويلا أو مثقفة شاعرة كصافية كتو. فالتفكير في الموت يرى أحد الدارسين. قد تسلسل إلى  
حياتنا إذ لم يكن قد تسرب إلى تفكيرنا بالحياة<sup>1</sup>.

إن الرثاء أو المراثيات هي رائحة الموت. رائحة الاختناق، رائحة الخلل الوجودي ورائحة  
الخواء والدمار النفسي. إن إيقاع الموت في الرواية يشكل الحدث الأكثر ظهورا والأكثر  
حضورا في حياة البطل سواء أكان هذا الموت الذي يمسه البطل مباشرة كموت مريم أو  
الموت الذي يهيمه إنسانا أو وجودا كموت أنا طوليا بقرار من رئيس بلدية حراس النوايا  
بغلق الأوبرا وفصل العقد الذي يربطها بالوزارة.

وإذا كان إيقاع الموت في الرواية يكون جوا مأساويا شاحبا على صعيد المضمون فإنه في  
الوقت نفسه يشكل لازمة متكررة منتظمة على صعيد البناء الروائي.

### إيقاع الجنس في الرواية:

إن الجنس حاضر و منسجم مع الإيقاعات الأخرى التي تدين الواقع الجزائري مضمونا  
والتي تتواصل وتتكامل بناء وتقنية. فإيقاع الجنس مثل إيقاع الموت، مثل إيقاع العبث يقدم

1 - مجموعة من المؤلفين: سارتر مفكرا إنسانيا. دار الكاتب العربي ص 53.

١. عبد الوهاب بوشليحة.....الإيفاع الروائي  
صورة كئيبة تحذف للإنسان الجزائري المأزوم الهزلي المسوخ ، الذي يسعى لا إلى تدمير نفسه ماديا ووجودا فحسب بل إلى تدمير ذاته وهويته وقيمه روحيا وأخلاقيا وموقفا.  
إن صورة الجنس تجسد في الرواية لوحة قائمة متشابكة الخيوط، مختلفة الألوان مبتسورة مشوهة كما يراها البطل في واقعه -تخيّله- وفي عالم اليوم. كما أن صورة الجنس الرامزة تحمل دلالات مختلفة تبعث بالتالي على التأزم واللاغتراب الأمر الذي ينسجم وجو الرواية العام، والذي يشكل موقفا من مواقف الرفض والاحتجاج الكثيرة التي تتضمنها الرواية (والروائي بواسطة لوحات حية يقدم معنى العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة -بين مريم وموظف البريد- من داخل ذوات الشخصوخ فاستعمل الخيال والرؤى ذات الدلالة الإنسليانية بدلا من الإسهاب الممل في رسم دقائق العلاقة)<sup>1</sup>. فإيقاع الجنس في الرواية ترصدها العلاقة الجنسية والشادة كما يسترجعها البطل في عالمه النفسي، فتجربة صديقه مريم التي انفصلت بإرادتها عن موظف البريد تكشف عن زيف فلسفة الزواج في المجتمع العربي -الجزائري- لأن المرأة عدت دائما مجرد سلعة أو آلة جنس لإطفاء نزوات الرجل لكن مريم ( تعيد بنساء العالم الذكري على مستور الخيال، حيث تعيد ترميمه وإصلاح العناصر المتهاوية عن طريق خطاياها)<sup>2</sup> قال (يا مريم، الرجل رجل وأنت رأسك قاسح، حماقة ليلية البارحة، عندك مسؤولية في حدوثها. أمه لأول مرة تسلم على رأسي تمت بصوت شبه مسموع: الآن صرت امرأة. عندما خرجت من الحجر، عاود حديثه الذي بدا كالأسطوانة المجروحة المكروورة، كنت أظن أنك لست عذراء، أعترف أنني كنت أحمق، ليته صمت، كنت ربما عذرتة ووجدت مبررا لتوحشه فيما بعد. (... ) بكيت لشيء غامض لكن في عمقي المنتهك والمنتهك وبقدر ما كنت أشعر الكراهية تزداد، كان ضوء ما يملأ قلبي لست أدري كيف يتوحش امرؤ إلى هذه الدرجة، أية لذة تغمره وهو يغتصب كائنا ميتا، لا أعرف ولا أريد أن

1 - غالي شكري: أزمة الجنس في القصة العربية الهياة المصرية العامة للتأليف 1971 ص52.  
2 - سوسن ناجي رضوان: المسكوت عنه في خطاب شهرزاد. مجلة عالم الفكر المجلد السادس والعشرون. العدد ١. سبتمبر 1997 ص 326.



١. عبد الوهاب بوشليحة.....الإيقاع الروائي  
أعرف أبداً، منذ تلك الحادثة لم يمسي، وإذا أراد أن ينام معي أصبح من الضروري عليه قتلي  
أولاً، هو نفسه اكتأب وعاد إلى عاداته القديمة يتركني أنام، ثم يدخل إلى الحمام يشقشق  
قليلاً، بعادته التي لم تعد سرية ثم يأتي لينام قرير العين، مل حياته وتكررت الأيام بسوادها،  
ذات صباح فاجأني: أعتقد أنني لا أصلح لك ولا تصلحين لي<sup>1</sup>.

إن إيقاع الجنس مرسوم بوعي ودقة لتعميق الصورة الشاحبة المأساوية لعالم الرواية الذي  
يعكس صورة لإنسان اليوم وتأزمه وشذوذه كما أنه يتزامن ويتواصل فينا وبناء مع  
الإيقاعات الأخرى وينسجم معها لتقديم شكل روائي متناغم ومتناسك.

إن الإيقاع الروائي في سيدة المقام ومرثيات اليوم الحزين يدفعنا إلى أن نتابع بطل الرواية  
في هومو ومعاناته الذاتية ونربطها بخيوط واضحة بمصادر هذه المومو المبعثرة في العالم  
المرئي- الواقع، كما يجعلنا نتابع حركته من مكان إلى آخر، وفي الوقت نفسه نرصده هذا  
التحرك و نرصده تجاربه الجديدة وانطباعاته المختلفة عبر الأزمنة والأمكنة التي يتحرك منها  
وإليها ومن خلال هذه التحركات وهذه التجارب وهذه الممكنة التي تشكل عالم البطل  
وعالم الرواية نستطيع أن نقيم العلاقات المختلفة بين عالمي البطل: النفسي والواقعي، ونقيم  
علاقات أخرى ما بين موضوعات الرواية أيضاً، كصور الموت المتكررة وصورة الجنس  
المختلفة ومشاعر العبث. وهكذا إن حياة البطل وإن بدت محدودة في تحركها من البيت إلى  
الشوارع إلى الأوبرا نغص بالأحداث والمشاهدات المكثفة والتي تنطوي على آفاق ومشاعر  
لا حدود لها.

لم يكن البطل-الثقف- في رواية سيدة المقام قضية مجردة معزولة عن القضايا والعلاقات  
الاجتماعية والسياسية القائمة. وإنما طرح من خلالها عدة قضايا هامة وتوقف عند نقطة  
جوهرية كان لا بد لكاتب مثل واسيني بتجربته واختياره الفكري والسياسي أن يتوقف  
عندها، وهي العلاقة بين الثقافة-الديمقراطية- السلطة. فواسيني ينتمي إلى هؤلاء الذين

1 - واسيني الأعرج: سيدة المقام ص 214-215.

أ. عبد الوهاب بوشليحة..... الإيقاع الروائي  
 جردوا من إمكاناتهم ووضعوا خلف أسوار السجون. ولأنه يعرف أن موضوعه الأول سوف  
 يأتي من داخله هو. وفي داخله لم يكن يستطيع أن يتخلص من ذلك الإحساس بالخطر  
 وبالملاحقة. وبأن ثمة شيئا مفاجئا لم يمكن أن يقع بغتة تماما كما حل بالمدينة، وباء غير  
 معروف راح ضحيته عشرات الناس. ذلك هو سر الجو العام الذي خلقه الروائي ليوحى بأن  
 هناك خللا ما في نظام الكون يهتز أمامه كل يقين (فقد أصبح العجز هو الشيء الوحيد  
 اليقيني في عالم الفوضى).<sup>1</sup>

لقد كتب مكسيم غوركي عن قصة بوشكين- يفغيني أونيفين - قائلا: (إن هذه القصة  
 عدا جماها الأخاد هي بالنسبة لنا أهم بكثير من الوثائق التاريخية التي كتبت في ذلك الوقت)  
 هذا الحكم يحمل دلالة لها أهميتها ومغزاها الكبير بالنسبة لسيدة المقام لواسيني الأعرج.<sup>2</sup>

المكتبة الرقمية  
 عبد القادر للعلوم الإسلامية  
 جامعة الأمير

1- مجلة الطليعة. ملف الأدب والفن. السنة الحادية عشر. أكتوبر 1975 ص172.  
 2- محمد كامل الخطيب. وعبد الرزاق عيد: عالم حنامينة الروائي. دار الأدب 1979 ص131.

## في رحاب جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

### د. عمير اوي احمد

تقوم جامعة الأمير عبد القادر كعادتها بنشاطات علمية يمكن حصر ماتم منها خلال الفترة الممتدة من منتصف شهر سبتمبر 2001 إلى فيفري 2002 في ملتقى وطني ومناقشات.

- 1- الملتقى الوطني: كان يومي 6-7 نوفمبر 2001 بعنوان: وسائل التدريس الحديثة في تعليم العلوم الإسلامية والإنسانية
- 2 - المناقشات: تمت مناقشة 12 رسالة وهي:

### 2- 1 - دكتوراه الدولة

الاسم واللقب	المؤلف	مخنوان الرسالة
شتوان بلقاسم	د. محمد الأخضر مالكي	الصلح في الشريعة والقانون.

### 2- 2 الماجستير

الاسم واللقب	المؤلف	مخنوان الرسالة
شهرزاد بوسطلة	د. محمد الأخضر مالكي	تقنين الفقه الإسلامي مفهومه، مشروعيته، ومنهجه.
أمينة بن طاهر	د. محمد الأخضر مالكي	الأنظمة العقابية ومدى فعاليتها في مكافحة الجريمة - دراسة مقارنة-
باية بودماغ	د. محمد الأخضر مالكي	الغرامة الجزائية - دراسة مقارنة
لونيس سيفار	د. إسماعيل يحيى رضوان	آراء أبي ثور الفقهية - دراسة مقارنة-

منهجية التغيير عند عبد الحميد بن باديس	د. محمد زرمان	سامية جفال
منهدية التحديد عند أبي الأعلى المودودي	د. محمد زرمان	سهيلة عظيمي
مبارك المبلي وجهوده في الحركة الإصلاحية في الجزائر-1897-1945.	د. عبد الكرم بو الصفصاف	علي بن طاهر
جهود جمعية العلماء المسلمين في الحفاظ على اللغة العربية في الجزائر 1939-1954.	د. سامي عبد الله الكتاني	مراد مزعاش
الحدائث في الشعر العربي المعاصر دراسة نقدية.	د. جمال شوالب	ليلي لعوير
الشيخ الطاهر الجزائري ودوره الإصلاحي في المشرق العربي - بلاد الشام نموذجا (1268-1338) (1852-1920)	د. عبد اللطيف الصوفي	عبد العزيز لعميد
فقه الوسائل وأثره في الأحكام الشرعية	د. سعيد فكرة	حبيبة رحايعي

وهذا يصبح عدد الذين ناقشوا رسائلهم بالجامعة 211 باحثا

والله ولي التوفيق

Revue  
De l'Université Emir Abdelkader  
des sciences islamiques

Revue académique spécialisée en sciences  
islamiques et humaines

*Dhou Elhija 1422 / Février 2002*

**N° 11**

Les points de vues exprimés dans les  
articles publiés dans cette revue  
n'engagent que leurs auteurs

<u>Directeur de la Revue</u>	<u>Comité de Rédaction</u>	<u>Comité de lecture</u>
Pr. Dr Abd-Allah Boukhelkhel	Pr. Dr A. BOUJELLAL	Dr Ammar Talbi
<u>Responsable de la Rédaction</u>	Pr. Dr S. EL-KINANI	Dr Abd-El Aziz Filali
Dr Hamida Amiraoui	Pr. Dr A. SARI	Dr AbdelKrim Benarab
<u>Responsable de l'édition</u>	Pr. Dr. R. DOB	Dr Abd Errezak Guessoum
Dr Hamida Amiraoui	Dr B. BOUDJENANA	Dr Bouamrane Cheikh
<u>Secrétaire de la Revue</u>	Dr. J. CHOUALEB	Dr Ibrahim Tohami
Mr Mahmoude Benzaghda	Dr. M. SAADA	Dr Mohammed L. Melki
Mme Segauoui Samira	Dr. M. BAJOU	Dr Omar Bougroura
	Dr. O. LAOUIRA	Dr Saïd Fekra
	Dr. S. NACER	

Les contributions des auteurs doivent être envoyées à l'attention de Monsieur le Responsable de la Rédaction de la Revue de l'Université Emir Abdelkader des Sciences islamiques Vice Rectorat de l'animation et de la Promotion Scientifique et Technique et des Relations Extérieures.

Boite postale 137 Constantine RP 25000 ALGERIE

☎ 031 92 21 98/ 031 92 22 90 - Fax 031 92 21 98/ 031 92 21 41

E-Mail : [USIS@univ-constantine.dz](mailto:USIS@univ-constantine.dz) / [JOURN@univ-constantine.dz](mailto:JOURN@univ-constantine.dz) / TEL EX : 92954 07

# SOMMAIRE

## \* **Laouira Omar**

The system of financing education in England, wales and Algeria and its alternatives. .... 3

## \* **BOUMENDJEL Saïd**

Monnaie et Répartition: l'application du modèle FMI et le multiplicateur de crédit permettront-ils en Algérie d'avoir une régulation conforme au bien-être général ? ..... 21



## The system of financing education in England, Wales and Algeria and its alternatives.

By: Dr Laouira Omar  
University Emir Abdelkader

الملخص:

لقد تزايدت مصاريف التعليم بشكل مطرد بمرور السنوات. وبما أن الحكومة تتولى الإنفاق علي مختلف برامج التعليم فإنه يلجأ إلي وقف بعض الإنفاق بغية التقليل من مصاريف التعليم. ولكن هذه الإجراءات لا تفيد البلاد بحكم أن تزايد أعداد الأفراد المتعلمين يعود بالفائدة علي المجتمع. أن هذا الوضع جعل بعض الاقتصاديين يفكرون في وسائل وطرق أخرى للإنفاق علي التعليم بعيدة عن خزينة الدولة مثل إعطاء القروض للمتعلمين بدلا عن نظام المنح التي تقدمها الدولة من خلال هذا المقال حاولت تحليل ووصف نظام تمويل التعليم في إنجلترا وولز، وقمت بعدها بشرح الدور الذي تقوم به الحكومة المركزية والخلية في تمويل التعليم، ثم شرحت نظام تمويل التعليم في الجزائر. وانتهيت بشرح الأساليب البديلة لتمويل التعليم مثل نظام القروض لكي يصبح التعليم أكثر فاعلية ونجاعة.



**The** expenditure on education has been growing up faster than it was expected, and because the government is financing the majority of the educational programs ,they tend usually to cut spending in order to reduce the growing expenditure on education .But this measure is not beneficial to the country on the ground that the growing number of educated people will help the country to overcome many of its problems, which will not be the case when the spending on education will be reduced. This state of affairs has led some economists to think about alternatives to finance education such as the loans scheme instead of grant system

In this essay, I intend to analyze the present system of educational finance in England, Wales and Algeria. I start first of all by giving an outline of the existing financial system of education in England and Wales, after that I emphasized on the role played by both Central and Local Government in financing education .The second point is dealing with the system of financing education in Algeria. The third point is about the possible alternatives to finance education in an efficient way as it is argued by many economists.

### **The finance of education in England and Wales :**

We have to distinguish first of all between the public provision of education in institutions owned and administered by public agencies, such as Local Education Authorities, and the private provision of education .In the United Kingdom, both system are existing side by side. The publicly provided institutions may receive their funds, in whole or in part, from the payment of fees by individual students or their parents .Fees are paid, for example, by students attending courses run in Local Authority Colleges. Fees could be charged by schools or colleges and all of the sum could be reimbursed from public funds. The finance of capital expenditure, which covers, for example, items like a new school building, is faced by Local Authorities. For the most part, they have to raise loans to cover capital expenditure, these loans are raised on the private market and repaid out of current income just like other current expenditure .On the other hand, current expenditure on wages, and salaries, running expenses and equipment must be met either from some form of taxation,

Dr Laouira Omar .....The system of financing

including in this context the rates, or from fees charged, or from some kind of grant from the government department .(Open University, block 04, p13)

In parallel with the public provision of education, there is the private provision of education in institutions that are wholly owned and run by private bodies. Their source of income are derived from three broad categories: fees, payments for extras (expenses not included in the fees such as payment for music lessons), and other sources of income such as rents, or transfers from associated trust funds. Some parents escape the full fee, but reductions are generally small .The most common are for brothers or sisters at the same school, usually 5 percent of the fee or less. (Open University, block 13, p15)

The fees are the only form of payments which parents have to make, for example, individual games coaching and music lessons usually have to be paid for separately. These are optional extras, but many schools have compulsory extras such as laundry charges, medical fees, or subscriptions to the Combined Cadet Force (C.C.F). Then there are entrance and registration fees. School meals may be included in the basic fee but often they are not, particularly for ..... Boys in mixed ..... and boarding schools .(Open University, block 13, p 16)

Apart from fees and extras which, with a few exceptions, are paid by parents, schools may have a source of independent income, for example, interest on a reserve fund or rent from property owned by the school .A few schools derive a regular income from associated trust funds. These last are primarily the old endowed schools that attracted political interest in the last century, but they also include some newer foundations which have prudently built up reserves .Independent school receive no grant income from the state. The direct grant is attributed to schools in the form of aid from the state, but only for their senior school tuition accounts. The junior and boarding departments must be supported by fees. Glennester and Wilson (1970) managed to estimate the importance of these various categories of income for the whole private system for the year 1965/66 by using the three sources mentioned earlier. Their findings were like this: fees come to £ 96.5 million or 86 per cent of the total. The government grants to the direct grant schools constituted the second largest source of

income, £ 7.4 million or 6.7 per cent. Extras come to £3.9 million and all other non fee income to £4.1 million

Source of income of independent and direct grant schools, 1965/66 (£000)

Type of school	Total fee	Extras	Government grants	other	Total
Independent: public	34.845	1.976	- 1.846	38.667	
Preparatory	14.022	687	- 565	15.274	
Other recognized	20.885	1.111	- 222	22.218	
Non-recognized	13.939	-	- 733	14.672	
All independent	83.939	3.774	- 3.366	90.831	
Direct grant (incl. housing and junior accounts )	12.809	192	7.413	715	21.129
All private schools	96.500	3.966	7.413	4.081	111.960

Independent schools have some direct state support which takes two forms. Parents either qualify for grants from Local Education Authorities or they receive an allowance from government departments. In January 1966, nearly 11500 boarders at independent and direct grant schools were assisted by Local Authorities, and another 14000 were helped by government departments .Local Authorities provide assistance for children who are in need for boarding education .They have spent nearly £5.5 million in 1965/66 in paying independent school fees. The total public support for independent and direct grant schools amounted to £23 million in 1965/66, or 20 per cent of the total income of the private system. In addition to actual payments by Central and Local Government, the schools receive indirect state support .Major benefits derive from charitable status, which is enjoyed by all public and direct grant schools, and some 750 other independent schools. The other source of indirect support arises from the working of tax system as it applies to parents in the income groups that patronize the public schools .(Glennester, 1970 p26 to 32)

If we come to the finance of higher education, we find that it has the same pattern as other institutions. There are a number of ways in which institutions of higher learning are financed in the United Kingdom. Four of such ways may be distinguished, fees ,endowments (including gifts ), local grants and government grants. I shall focus on the mechanism of

Dr Laouira Omar .....The system of financing

financing universities. Their method of finance is through the University Grant Committee. This body was established in 1919 to allocate the money voted the universities by Parliament. The money is paid to it from the Consolidated Fund and it makes representations to, and acts on behalf of, the Treasury. It is composed largely by academic persons, appointed by the Chancellor of the Exchequer, and is supported by a staff of professional civil servants. (Vaizey, 1963 p159)

The role of Central Government in financing education

Prest (1976) considers that, in this century, governments have become, in terms of their own activities, far more important in relation to the economic life of the community. They have been involved in every aspects of social and economical life of the society .

The Open University, block iv stated the example of professor Peacock of the university of York, who has done a study concerning the "Flow of Funds". He has shown clearly how the system of finance is built in society, and what are the different steps the money gone through. It starts by the payment of taxes by households to Central Government, which then allocates the money, in the form of grants to Local Government, in short, Central Government raises the necessary funds by taxation and borrowing and transfers them back to the community and overseas. (Prest ,and Peacock, 1976 p89/90)

According to British traditions, the House of Commons decide how much money the government should spend on every activity. But in practice, the estimates that are sent to the Commons for approval each year have been subject to a complex and lengthy process of inter-departmental bargaining. The key department in the British system is the Treasury. Its task is to secure economy in the spending of Exchequer money, and to advise government on the overall level of public expenditure, including the spending of Local Authorities.

There are many rules or conventions that give power to the Treasury. "first, there is the standing order of the House of Commons which denies individual M P's the power to move a financial resolution, which authorizes the government to spend money .This is backed up by the convention that no financial resolution can actually be tabled in the House of Commons unless it bears the initials of a Treasury Minister.

Therefore, no piece of legislation involving public expenditure can even be discussed by the House of Commons without a Treasury Minister's approval" (Open University block iv p18)

Even all these conventions were practiced, but by the late 1950s many critics came to argue that these powers were not sufficient to contain pressure for increased public expenditure on their own. The Central Government has the role to submit a range of control over the Local Authorities. This control is clear in the following points which are not all of them financials :

1)Legal Control: the Local Authority cannot spend money or undertake any activity unless it is allowed by the Central Government under an act of Parliament .

2)Audit Control: Local Council spending is checked by auditors which are appointed by Central Government. Their role is to make sure that money has not been dishonestly managed .

3)Inspection: sometimes Central Government takes over the functions of the H M I s, for instance, if standards in an authority school were falling to an unacceptable level, so the government let the Inspectorate to advice on certain local matters .

4)Advice: on frequent occasions, the Secretary of State issue Circulars giving advice to LEA's on a wide range of issues, for instance, the need for economy or cuts in spending.

5)Loans sanctions: the Local Authority has to refer always to the Central Government if they want to borrow money to build ( a new school for example ). This kind of control was originally used in the nineteenth century, but now it has become a highly sophisticated weapon by which Central Government came to control not only the level of capital spending on each service by each Authority, but the nature of that spending, for instance, what kind of schools they have to build, and also the design of the schools. (Open University block iv p23/25)

The Central Government has another way to finance the activities of Local Government, which is the rate support grant .It was introduced as part of the Local Government Act of 1966 .

There are three kinds of rate support grant:

1) Needs element: it is the largest one, about 80 per cent of the total.

Dr Laouira Omar .....The system of financing

It is distributed on the basis of objective factors such as population, number of pupils and students and mileage of roads .

2) Resource element: it helps authorities with below average ratable resources

3) Domestic element: this is not distributed to the (spending ) Local Authorities, but to the rating Authorities in order to reduce the rate payable by house holders:

Each year, the government decides how much Local Authorities are likely to spend in the coming year, following discussions with Local Authority representatives, then they decide how much it will meet from central funds, and within that, how much will be met by the R S G .

Once the total size of the R S G has been determined, it must be allocated to the individual Authorities, it must be allocated to the individual Authorities. The primary criterion which determines the allocation is equity between rate payers in different areas. The variations in expenditure between Authorities are to be explained to the Department of Environment, in terms of numbers in further education, size and age structure of the population, the ages of schoolchildren .

Because the grant is a general one, individual spending departments like the DES have no direct control on how much any Local Authority spends on its particular service. In 1976 there was an economical crisis like the one happened in 1920 s and 1931. The crisis was that Local Authorities were spending more in total than had been agreed in the previous year's grant negotiations. In order to prevent such situation, the government instituted the procedure of Cash-limits. The government set a limit to Local Authority capital expenditure on education, and a separate limit on their current expenditure .The government instructed Authorities that even if costs increased further than had been budgeted for, they would not get on adjustment to their grant .More than that, if Authorities looked like spending more than agreed, the government would take "Corrective Action", which involved reducing the next rate support grant. The Layfeild Report recommends increased government control over Local spending. This could be done by increasing Central responsibility which consist of telling the Local Authorities how much they can spend on each service .The Report suggests also that the government could give

Local Councils opportunity for raising a higher proportion of their own income, but on the other hand set a limit to the extent to which they increased their revenue in any year ,and the Authorities which raise more than that should be penalized. (pen University, Block iv p27/28)

**The role of Local Authority in financing education :**

Local Authorities have some power in financing education in their countries with their own incomes. The Local Property Tax which is called in Britain “The Rate” is nearly the only form of local tax revenue available to Local Authorities, but in most Western countries such tax is merely one of a number of local form of revenue.

For Fowler (1975) Local Authorities may can borrow money on the open market. The problem which faces Local Government is that the tax system or the “rate” is very unpopular in society, so if they rely on it to finance education, it may happen that the growth of providing education will be very slow .Some critics argue that this latter point has happened in Britain since 1945. The domestic rate payers in 1974/75 financed only one \*\* eighteenth\*\* of the net expenditure of Local Education Authorities. Other rate payers, industry and commerce, contributed a quarter of the cost.

The eventual sum spent on education is the outcome of a bargaining process within those Local Authorities that have education powers. The Open University block iv stated on this matter that “until very recently there was no formal structure for arriving at spending priorities except through the annual estimates and rate fixing round of discussion .Each committee ,parks, housing, highways, education, estimated their expenditure for the coming year .The finance committee considered these combined estimates and what rate would have to be charge for the next financial year to meet them .(p32)

Since 1974 a reorganization of Local Government has been set up. They have established a process of long term planning and priority decision making in a great many of the larger Authorities. It is generally called “Corporate planning”.

The next factor which is crucial to the Local Authorities is the outcome of the allocation formulae. Local Authorities will not be informed about their own allocations until December /January, and

Dr Laouira Omar .....The system of financing

because the RSG is such a large part of an Authority's income even a small proportionate change of what officers were guessing that Authority would yet can necessitate major alterations in any LEA budget plan .There is also the public pressure on councilors as the rate fixing process approaches. because either in defending certain services that may be in line for cuts or as protest against a higher rate .

It should be useful to note here that many councils, about four in ten, have introduced a "Performance Review Committee". Its task is to monitor service committee expenditure and performance which is similar to that undertaken as part of the P A R exercise .

The new planning procedure has been accomplished by a new committee structure, therefore the education committee estimates now have to surmount a services of procedural obstacles that are much more discouraging them used to be the case .It is quite clear that corporate planning has probably reduced the weight of the Chief Education Officer and his committee in the bargaining process .

Once the education committee has allocated its share of the funds, the next logical stage in the process is allocation between major headings of expenditure. In practice, this will have been discussed in detail as part of the estimates procedure. The discussion focuses on marginal additions or cuts in each broad area of spending, there is no chance of switching resources on a large scale from schools to college or vice-versa in a single day. for example .

There is not a lot of chance for Local Authority to allocate the current spending between individual schools or colleges because it is circumscribed in important ways .The salaries are set at national level only for school teachers, but not for lecturers in further education and colleges of education. The Burham Committee, on which sits representatives of LEA's \*, teacher's Unions and DES, fixes school teacher's salary scales for the year beginning 01 April .It determines what a teacher shall be paid for so many year's service and what he or she shall receive for various posts which normally go wi,th particular responsibilities in a school, such as head of a subject department or year tutor.

Even though, there is some sort of partial control over the allocation



of resources between schools, still Local Authorities have a certain discretionary allocations .There have been in the past a fixation by Central Government of the number of full time teachers that a Local Authority could employ, but even then an Authority was free to vary its allocations between schools, some Authorities seek to provide a lower pupil/teacher ratio in schools in deprived areas, for instance. It has been traditional for primary schools to have higher pupil/teacher ratios and secondary schools lower ones, and for a long period of time the maximum size of class regulations were laid down by the old Ministry of Education, which set the maximum permitted size of class in primary schools at forty and secondary schools at thirty .These regulations were withdrawn at the end of the 1960's and the distributions between schools is now entirely within the discretion of L E A's.(Open University. block iv p31/34)

There is another matter which the Local Authority has in a way some intervention in it. It is the charge of fees. It is well admitted that the right to free education up to the end of secondary school was established by the 1944 Education Act, under section 61, no Local Authority is permitted to change fees for normal instruction at any of its schools, though they can charge for boarding facilities and, of course, for school meals, however, Authorities can and do charge for courses of further education. Students attending evening classes in evening institutes will have to pay fees, though they have usually met no more than 10-20 per cent of the cost of the course. Those attending day-release and other more advanced courses in colleges of further education will also pay fees. Fees are charged for full-time courses at advanced level ,for example those run by a politechnic where the student is on a grant, his Local Authority will pay the fees in the same way as it would if he was at a university .In total, fees raised by Education Authorities covered 17 percent of their expenditure on further education and 34 percent of the costs of school meals and milk in 1973/74.

After drawing out the system of finance adopted actually in England and Wales, we can come to the criticisms that have been levelled against it. Fowler (1973) argues that "representatives of the Local Authorities have complained that the Government often had too little awariness of the

needs and priorities of Local Authorities who they felt had a contribution to make at the formative stage of policy-making".(p38) Fowler (1973) makes some observations about the mechanism that he have been describing. He said " the system is characterized by several hierarchies which are 'imperfect', in the sense that the ranking of the parties involved is not rigid and the decision-making process being at the bottom, proposals being filtered by agencies on their way upwards and finally presented for government decision, when decisions have been made in over all terms at the top, they are again filtered by the agencies on the way down, and interpreted and applied in detail" (p41)

The House of Commons Sub-Committee was asked about the Public Expenditure White Paper. They noted that their representatives find it a frustrating document. They argue that "white papers, on their present forms, are of limited use to individual authorities in planing the development of their services because the content is too generalized and does not take into account the different needs and rates of development of Local Authorities .(quoted in Fowler, 1973, p39)

Local Authorities complain also that "there have been occasions when the same departments have spoken with two voices, one encouraging the development of services, while the other urges restraint ."(quoted in Fowler, 1973, p38)

Further more, Fowler (1973) argues that the "L E A's are very conscious of the lack of any Central Planning body which could ensure the proper allocation of resourses within their sector of higher education".(p39)

### The system of financing education in Algeria :

The system of financing education in Algeria is characterized by the central decisions of the Government. The budget hold all the burdens on its shoulders to finance all the expences of education from elementary education to higher education .

The Algerian politicians regard education as a very important factor influencing society so they have choosen from the beginning to take all its charges on the central budget of the Government. Their argument is based on some principles which are: - to provide education to all pupils in Algeria wherever they come from (the working class, the middle class

or the higher class)

- freeing education from speculation and influencing groups.
- by taking in charge all the expences of education, the Government can dictate its content including the social, political and ideological issues .

The finance of education is of two kinds :

- financing the construction of establishments like schools and universities and providing all the facilities and equipments used in the classes and amphetheatres .
- paying the wages of teachers and professors and all the salaries of administrators of institutions.

The Ministry of Planning is responsible of financing the construction of institutions. There is a department in the Ministry of Education occupied in the planning and evaluating the expenses of the construction of institutions. When the need of any educational structure is feeled in a town or a city, the decision is taken in the Ministry of Education to build this structure and its charges are keenly introduced in the budget of the Government .

The payment of wages and salaries is exclusively holded by the budget of Government. Each year, the Government creates some new "occupations" of education and administration by hiring people to do these jobs .

In practice the system of financing education in Algeria take the following steps:

- the source of finance: the Ministry of Planning under the budget of Government .
- department of planning in the Wilayat which hold the responsibility of financing the construction of different projects .
- service of planning in the Ministry of Education which has the task to suggest the different projects needed in towns and cities .
- the study of different project concerning secondary education is given to the D.U.C.H (deparment of urbanism and construction) including the realisation of projects of institutions .

In the primary education, the local Councilll hold some expenses in the realisation of projects .

Apart from all these expenses which concern important projects in education like building institutions and establishment, the Wilayat has the task to finance all the expences related to the reparation or the rebuilding in case of natural desastre or incendies, and finance also the purchase of equipments for the sinistered establishments .

There is also a small part of expenses which is taken in charges by the Ministry of Cooperation. It concern the transport, the restauration in schools, the provision of heating for schools in rural areas .(Department of Statistics .Direction de l'education, Constantine)

The higher education is financed by the same way of financing secondary and primary education. It is under the exclusif responsibility of Central Government, from the construction of universities and student accommodations to the payment of salaries for professors and administrators. The students in Algeria pay a small amount of money when inrolling in the university which is considered a very symbolic contribution and could not cover any kind of charges in the expences of the university .

There is also a small contribution from overseas governments to finance education in Algeria which consist of providing a few grants to some students to continue their studies and finance some research for professors and researchers

### **The alternative finance of education:**

It is widely argued that there is a certain inequality within the existing system of education in United kingdom .The existence of inequality in access to education and the relative deprivation of the lower-income group has been highlighted in official reports and in independent research. There have been some attempt to advocate some enanges within the present institutional structure. The impact of these changes is not impressive, as can be seen, for example, by the performance of the Education Priority Area (EPA) experiments

Blaug (1970) believes that there is in the existing system of education a kind of selectivity in its working process. For example, the increase in charges for school meals, combined with the abolition of free milk in secondary schools, thefees for overseas students. He argues that a lot of factors are contributing towards a selectivity in education and not only

the ones mentioned earlier. (p 290-291) Maynard (1975) argues that “ an alternative way of confronting the defects of the present system is to changes its structure radically rather than merelly to tamper with its facia .In particular, we are concerned with the devolution of power from Central Government and Local Government to individual family .(p26)

The alternative of the actual system in Maynard’s opinion is the idea of voucher. The practical process of this idea is relatively simple as Maynard summarises it in this few points :

- the Government ,Central, Regional or Local, issue the voucher to parents
- the parents take it to the school of their choice .
- the school returns it to the Government .
- the Government sends the school a cheque equal to its value.

Weiller (1974) considers that “the voucher plans are designed to introduce the market mechanism into the educational system .”(quoted in Baxter, 1977, p268)

Various voucher plans have been proposed by economists. starting with Adam Smith. Most contemporary plans, including those advocated by Professor Milton Freidman and Professor Christopher Jencks, include four common features as they have been stated by Weiller (1974)

- parents choose the schools their children will attend .
- in order to pay the schools of their choice, parents receive certificates- vouchers – from a Government agency, which redeems the vouchers against public funds upon receiving them from schools .
- both public and private schools are eligible to enter and compete in the voucher market place .
- schools survive only if they receive enough income to pay their expences .

Weiller (1974) believes that “ vouchers will overcome rigidities in the educational system brought about the public schools virtual monopoly of elementary and secondary education .” (p268) He argues also that “vouchers will promote educational innovation and diversity, parental interest in education, and school responsivness to parent and student needs” .(p269)

There are eight types of voucher which have have been discussed in

the literature and they could be amended to form voucher mutations designed to achieve a variety of educational goals. For example, the Jenks voucher which have been used in the experiment in Alum Rock (California). This model uses an Education Voucher Agency (E.V.A) to administer the vouchers .The E.V.A receives all Government funds for education and pays them to schools in return for vouchers .Maynard (1975) argues that "this voucher scheme closely regulates the educational market place and contains many safeguards to protect the interests of 'disadvantaged children' .(p27/28)

The alternative to finance education is the scheme of loans instead of grants. In order to justify the acceptability of the loans scheme Woodhall(1977)discuss the matter from the idea of state subsidy for education. She argues that the traditional economic argument for providing finance for any service –so called public goods- society as a whole derives some benefit from its provision, and that provision would be reduced or neglected if it were left entirely to private individuals to finance it. In this case the Government has to tax individual members of the society in order to pay for services which society as a whole is deriving benefit from .It is sometimes argued that education is a public good, so when we consider higher education which is not universal for all members of the society, it becomes obvious that not everyone benefits equally from expenditure on colleges and universities. Therefore, to justify public expenditure on higher education, it is necessary to prove that universities generate benefits for society and these benefits exceed the benefits to individuals, so that it will be necessary for the Government to tax private individuals to pay for more education than they would be willing to purchase for themselves .It is now commonly accepted that education has direct economic benefit for private individual in terms of higher earnings and has also social benefit generated from what is called the "spill-overs" or "externalities" from the educated peoples .

The fact that education is in some sort an investment does not justify the act of the Government to finance it from public funds .Woodhall (1977) stated two main reasons for state subsidy of higher education .One is concerned with the efficiency, and the other with equity. The most obvious economic benefit of education is the provision of knowledge and

skills necessary for the economy ; this knowledge increases the productivity of educated manpower and thus increases both the earnings of graduates and the national income .

Most Government also justify state subsidy of education on the grounds of equity .The principle is generally accepted that the opportunity of higher education should not be denied to anyone simply because of inability to pay. This argument increases in force when it is recognized that education influences the future level of earnings, so that to distribute it in accordance with purchasing power is to perpetuate inequalities of income .

All the argument so far put forward can be used to justify some form and level of public subsidy, but they are not sufficient to determine what form the subsidy should take .

The total cost of higher education could in theory be met in a number of different ways .Firstly, all costs could be borne by private individuals in the form of full cost covering fees and earnings forgone .Alternatively, the total cost could be met from public funds either in the form of direct subsidies to students to cover all fees and earnings forgone, or by subsidies to institutions to eliminate the need for fees, combined with subsidies to the students themselves, to recompense them for earnings forgone .In fact, these solutions represent alternatives extremes, and the question of how much and by what means a Government should subsidise higher education usually becomes a question of what balance to strike between these extremes .

Woodhall (1977) argues that the resources for education are limited, and so too, is Government revenue, which at the same time there are many competing claims on these resources .For example, education must compete for Government funds with health, transport, defence, and social services, and it must compete as well with primary and secondary education, or with the need for more nursery schools .There is one argument in favour of loans saying that it would help increase the supply of finance for higher education without causing long-term sacrifices of other objects of expenditure .Harris states this quotation in favour of loans, he said: "America's institutions of higher learning are in difficult financial straits, and this conditions can only be expected to worsen as

**Dr Laouira Omar .....The system of financing**

college enrolment boubles in the next ten years, unless some way can be found to improve that position ....Two of the principle sources of funds,philanthropy and state Government, are not likely to justify the enormous need, though large additional sums will come from these sources. And the third source usually mentioned, the Federal Government has growing needs in other areas ...”(quoted in Woodhall, 1977, p331)

The solution according to Harris is to extend credit financing of higher education ; on the ground that housing and consumer goods have absorbed a much larger part of the national income because credit facilities have been made available, and “if an adequate credit programe was invoked, higher education would be able to obtain a large share of the national flow of goods and services”. (quoted in Woodhall 1977, p331)

There are several problems associated with student loans which have been pointed out by many advocates of the grant system .These problems are: the funding of the loans scheme, the effect of loans on the demand for higher education, the negative dowry argument, the working class, and the migration problem .All these problems have had an adequate solution put forward by advocates of loans scheme

**Conclusion:**

In the course of this essay, we have distinguished between the public and private provision of education .The public provision of education may receive funds, in whole or in part, from the payment of fees by individuals or other parents .Fees could be charged by schools or colleges and part or all of the sum could be reimbursed from public fund .

The private provision of education is offered in institutions that are wholly owned and run by private bodies .This sources of income are derived from fees, payments for extras, and other sources of income such as rents, or transfert from associated trust funds .In Algeria, the financing of education is exclusively provided by public funds (budget of the Government).There is until now no private education in Algeria .

Because of the limits of resources, most economists advocate the contribution of private funds to educate people in the siciety and introduce some scheme of payment like vouchers in public education in



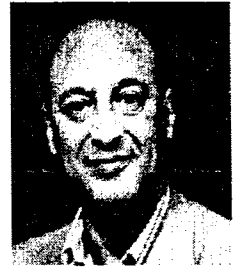
order to stimulate it and make it more efficient and competitive in the free market of financing education .

### **Bibliography :**

- 1) Baxter .c.et al (1977)Economics and Education Policy. London :Longman Group .
- 2) Blaug. M (1970) An Introduction to the Economics of Education. Penguin Books .
- 3) Fowler .G (1973) et al. Decision Making in British Education. London: Heineman Educational Books LTD .
- 4) Glennester .H and Wilson .G (1970) Paying for Private Schools. London: Allen Lane, the Penguin Press .
- 5) Maynard. A (1975) Experiment with Choice in Education. London: the Institute of Economic Affairs .
- 6) Open University, Block 13, E D 322 .
- 7) Open university, Block Iv ,E D 322 .
- 8) Prest .A .R (1976) The U.K Economy: A Manual of Applied Economics .London: weidenfeld and Nicolson .
- 9) Vaizey. J (1963) The Control of Education. London: Faber and Faber .
- 10) Woodhall .M (1977) The Arguments for and against loans, article in Baxter (1977
- 11)Department of Statistics, Direction de l'education de Constantine .

Á Á Á Á

# Monnaie et Répartition: l'application du modèle FMI et le multiplicateur de crédit permettront-ils en Algérie d'avoir une régulation conforme au bien-être général ?



**BOUMENDJEL Saïd,**  
Université Badji Mokhtar. Annaba.

## Mots clés:

monnaie- contreparties- Offre de monnaie- Réserves- Multiplicateur-

## Résumé:

Dans le cadre de sa transition à l'économie de marché, qui exige son désendettement progressif, l'Algérie a été amenée à appliquer le programme d'ajustement du FMI. Or, le modèle monétaire sur lequel se base le FMI est, en raison de ses hypothèses, à la fois keynésien et monétariste. C'est à partir de l'analyse de ces deux aspects que nous pourrions statuer sur l'efficacité des méthodes de régulation financière appliquées. Les résultats d'une première analyse dans cet article corroborent les données officielles. Les entrées nettes de capitaux non bancaires sont négatives, ce qui met en doute l'éligibilité de l'Algérie à d'autres crédits extérieurs ou à l'attirance des investisseurs étrangers.

Or, depuis quelques années, l'État providence cède la place à un état grevé de dettes. Ni la régulation macro-économique, ni la lutte contre les inégalités, ne sera plus possible sans que le gouvernement retrouve la maîtrise des dépenses publiques. Seul le recours à la planche à billets, hélas, demeure à la portée des PVD.

L'ensemble des statistiques internationales nous permet d'approfondir l'analyse pour mettre en relief, par nos calculs, le fait que le rapport du dinar algérien au dollar US ne cesse de se détériorer au fil des années. Les variations dans la valeur du dinar risquent toutefois de faire croire aux citoyens, dans un élan de cœur nationaliste, que c'est la population entière qui subit en quelque sorte un choc externe.

La variation des réserves internationales (or monétaire, devises) est un indicateur rare de la santé financière d'un pays.

Quant à l'offre de monnaie en Algérie, elle demeure hypothétiquement une variable exogène (une variable qui refuse en quelque sorte d'être endogénéisée à l'activité économique) dans la mesure où l'État démiurge en a toujours fixé le niveau à sa guise, sans que sa décision fût forcément reliée à un calcul économique rationnel.

Il semble bien qu'en Algérie, le "multiplicateur de crédit" s'est mû en "diviseur de crédit": la contrainte financière n'a jamais eu droit de cité dans l'économie algérienne. En fin de compte, seule la "privatisation du secteur bancaire" pourrait sans doute redonner de la vigueur et de la rigueur à l'activité de financement de l'économie.

## ملخص

في إطار التحويل نحو اقتصاد السوق الذي يتطلب التخلص التدريجي من التدوين، أصبحت الجزائر تطبق برنامج التعديل للاقتصادي. لكنه النمط النقدي لهذا البرنامج فهو كينزي و نقدي في نفس الوقت، فلا بد من أحده بعين الاعتبار من ناحيتين:

إن النتائج التي حصلنا عليها قد كانت موافقة مع المعطيات الرسمية، فيبدو أن المدخولات للرؤوس أموال اللابنكية سلبية مما يجعل البلد غير مرشح للحصول على قروض أو استثمارات أجنبية. ومنذ سنوات أصبحت الدولة المناسبة تسحب لفائدة الدولة المدينة.

فلا يمكن أن نحصل على إي ضبط اقتصادي كلي أو أي كفاح ضد اللامساواة من دون ضبط النفقات العمومية من طرف الحكومة وإلا لا يبقى إلا اللجوء إلى لوحة الأوراق النقدية.

إن جميع الإحصاءات الدولية تساعدنا بفضل الحسابات على إظهار تدهور قيمة الدينار الجزائري بالنسبة للدولار من سنة إلى أخرى وهذه التغييرات لا تعني أن كل السكان مصابون بالصدمة الخارجية.

إن التغييرات في المحزونات الدولية معيار نادر يدل على الصحة المالية للبلد. أما عرض النقود فهو متغير خارجي (ترفض إدخالها في النشاط الاقتصادي) بما أنها كانت الدولة العظيمة هي التي تعددها كما نشاء من دون حساب اقتصادي عقلاني.

و يبدو في الجزائر أن مضاعف القرض قد تحول إلى مقسم القروض لأن الإرغام المالي كان غير موجودا تماما في الاقتصاد وأخيرا يمكن أن خصوصية القطاع المصرفي العمومي تؤدي إلى تعزيز و تقوية عملية تمويل الاقتصاد.

## Texte:

Notre analyse de la situation économique et sociale de notre pays, menée dans le cadre d'une thèse d'Etat, nous amène à admettre le fait que l'Algérie est loin du maintien d'un ratio (Dette publique / PIB) constant dans un contexte de faible inflation et en laissant le marché déterminer les taux d'intérêt. L'application du programme soutenu par le FMI, au cours de la seconde moitié des années 90, a donné des résultats qui demeurent en deçà des objectifs, ni sur le plan du budget, ni sur celui de la maîtrise monétaire.

Il suffit de s'y reporter pour s'en rendre compte.

**1<sup>ère</sup> section: Le modèle monétariste et la capacité de financement nationale.**

Ainsi, le modèle monétaire sur lequel se base le FMI est, en raison de ses hypothèses, à la fois keynésien et monétariste, selon son propre inventeur, le professeur hollandais Jacques POLAK [1] :

1-**Keynésien**, mettant en jeu le multiplicateur, avec une propension marginale à dépenser égale à 1 :

2-**Monétariste**, avec une vitesse de circulation constante.

Ce modèle, qui est dit également de "programmation financière", se fonde sur une série de quatre équations essentielles qui laissent nettement apparaître la tentative du FMI de chercher à combiner pratiquement l'ensemble des vecteurs d'une politique macro-économique d'un pays (budgétaire, cambiaire, monétaire, commerciale, etc.)

**1<sup>ère</sup> équation:  $\Delta Mo = k. \Delta Y$** : La variation de l'offre de monnaie d'un pays ( $\Delta Mo$ ) est proportionnelle à celle du revenu du pays ( $\Delta Y$ ) par un facteur (k) qui est l'inverse de la vitesse de circulation de la monnaie; et par conséquent,  $(k) = Mo / Y$

**2<sup>ème</sup> équation:  $M = m.Y$** : La demande d'importations (M) est une fonction du revenu du pays (Y), (m) étant la propension marginale à importer de ce pays.

BOUMENDJEL Saïd ..... Monnaie et Répartition

3<sup>ème</sup> équation:  $\Delta Mo = \Delta R + \Delta D$ : La variation de l'offre de monnaie ( $\Delta Mo$ ) est, par définition, égale à la variation des réserves extérieures du pays ( $\Delta R$ ), majorée de la variation du crédit intérieur du système bancaire ( $\Delta D$ )-

4<sup>ème</sup> équation:  $\Delta R = X - M + K$ : La variation des réserves extérieures ( $\Delta R$ ) est, par définition, égale aux exportations (X) diminuées des importations (M), majorées de l'entrée nette de capitaux du secteur non bancaire (K)-

La tentative de rechercher quelques-uns des résultats éventuels à partir de ces équations nous amène, en nous basant évidemment sur les données statistiques officielles, [2] aux travaux suivants. (voir **Tableau N°01**)

Pour nous faciliter l'analyse et la poursuite, nous considérerons surtout les années 1995 et 1996, pour lesquelles nous avons le maximum de données.

1<sup>ère</sup> équation:  $\Delta Mo = k. \Delta Y = 76000 = k.418.888,9 = k = 0,1814 = d'où$ , la vitesse de circulation monétaire est  $v = 1/k = 5,513$

$Amo = k. \Delta Y = 120.000 = k 432.060,2 = k = 0,27 = 1/k = 3,70$

Le résultat est qu'il y a une baisse dans la vitesse de circulation monétaire avec l'application des premières mesures d'ajustement type FMI.

2<sup>ème</sup> équation:  $M = m.Y = 0,4131(1620166,5) = 669.291$ .

Or, le pays a importé pour 513.192,5, donc moins que ne l'aurait exigé la propension marginale, soit 156.098,5 en moins, soit 23,32% en moins.

$M - m.Y = -0,0344 (2052226,7) = -70597$

D'où,  $669.291 - 70597 = 598.694$ .

Malgré la baisse de la propension, les importations ont augmenté de 100.368,5, soit de plus de 20%. Le résultat est que les importations sont loin d'être proportionnelles au revenu lequel l'est par rapport aux exportations. Elles ne répondent pas à la logique du calcul économique et rationnel: elles se font par à-coups, en fonction du degré d'insistance des besoins de la demande intérieure. C'est ce que nous apprend le tableau suivant (**Tableau N°02**)

3<sup>ème</sup> équation:  $\Delta Mo = \Delta R + \Delta D = \Delta R = \Delta Mo - \Delta D$

en nous basant sur les chiffres précédents, cette équation nous donne le **tableau N°03**. D'où nous tirons :un différentiel de revenu égal à  $\Delta R = -116.700$  en 1995 et à  $\Delta R = 32.800$  en 1996. Cela correspond fort bien au fait que nous ayons déjà trouvé une restriction des capacités de financement du pays en 1995, et une légère amélioration en 1996 (**Tableau N°04**)

1<sup>ème</sup> équation:  $\Delta R = X - M + K$

De la même manière, cette dernière équation nous permet d'obtenir le **tableau N°05** dont les résultats corroborent les données officielles même si les chiffres ne se ressemblent point.

D'ailleurs, les statistiques officielles publiées sur site Internet nous donneraient le **tableau N° 06** suivant, qui nous permet d'obtenir le graphique correspondant de la capacité de financement (**graphique N°01**).

Les entrées nettes de capitaux non bancaires sont négatives, ce qui met en doute l'elligibilité de l'Algérie à d'autres crédits extérieurs ou à l'attirance des investisseurs étrangers.

BOUMENDJEL Saïd ..... Monnaie et Répartition

Comme le précise Offerdal, [3] la coordination des politiques budgétaire, cambiaire et salariale est aussi déterminante pour la crédibilité de la politique économique et pour la compétitivité extérieure. Par exemple, au Chili et en Thaïlande après 1984, la baisse du taux de change nominal a entraîné des gains de compétitivité considérables, tandis que l'assainissement budgétaire limitait la hausse des prix intérieurs. Ces progrès ont été appuyés par la suspension de l'indexation systématique des salaires au Chili (1982) et par la souplesse du marché du travail en Thaïlande, ce qui a facilité l'ajustement indispensable des salaires réels. L'amélioration de la viabilité de la politique suivie peut raffermir la confiance du secteur privé en réduisant les craintes d'un changement de cap et réduire les coûts de l'ajustement.

Par ailleurs, l'enquête menée par cet expert du FMI [4] a montré que, dans la majorité des cas étudiés par ses soins, l'accroissement observé du taux d'épargne (Chili, Thaïlande, etc.) est venu avant tout de la hausse de l'épargne publique, même si cette dernière a été compensée en partie par un recul de l'épargne privée. Il est vrai qu'il faut faire attention à ce que cette augmentation de l'épargne publique ne se fasse pas au détriment d'un certain type de dépenses budgétaires, notamment celles qui portent sur l'éducation et la santé de la population.

Daniel Cohen [5] semble opter pour les mêmes orientations en faveur des pays riches. Après avoir expliqué que même les pays riches pouvaient s'appauvrir avec la mondialisation actuelle, qui évolue avec ce qu'il a appelé la troisième révolution industrielle (il s'agit bien sûr de la révolution informatique, il en vient à admettre le fait que le keynésianisme, qui a été à la base de la politique des pays riches après la seconde guerre mondiale, est maintenant en crise, et il est très tentant, bien que cela soit perfide, de tenir la mondialisation pour responsable de ce problème.

L'État providence, dit-il, cède la place à un état grevé de dettes. Dans la plupart des pays de l'OCDE, les intérêts au titre de la Dette publique représentent le principal poste de dépenses publiques. L'assainissement budgétaire observé dans nombre de pays s'explique, selon Cohen, non par la crainte de l'inflation ou le niveau du déficit extérieur, mais exclusivement par la contrainte que la Dette publique risque d'exercer sur les recettes de l'État.

Il est vrai que, grâce à la mondialisation financière, les pays peuvent financer plus facilement leur déficit, ce qui les rend vulnérables aux décisions des "investisseurs extérieurs".

Ni la régulation macro-économique, ni la lutte contre les inégalités, ne sera en tous cas possible sans que le gouvernement retrouve la maîtrise des dépenses publiques. Il s'agit, donc, pour des pays riches déjà, de réduire les dépenses publiques futiles pour accroître l'épargne publique.

Parallèlement aux mesures prises en faveur de cette augmentation de l'épargne publique, il est clair que celle-ci, dans un pays en voie de développement comme l'Algérie, ne doit pas se retrouver hypothéquée par des phénomènes de la société ou de la démographie.

Rappelons, à cet égard, ce qui est généralement écrit sur des pays comme le Maroc, l'Égypte ou le Brésil, où la spéculation sur la terre, les immeubles de luxe ou les devises étrangères détournent une large partie de l'épargne potentielle de l'investissement

BOUMENDJEL Saïd ..... Monnaie et Répartition productif. Il est donc clair qu'il faut faire en sorte que la rentabilité de l'investissement industriel s'élève davantage et qu'existe en parallèle une législation fiscale restreignant fortement l'enrichissement spéculatif et l'enrichissement sans cause, du moins sans cause légale et légitime.

Des mesures complémentaires seront nécessaires pour réformer des services publics tels que ceux de la fiscalité (fraude et évasion) et de la sécurité sociale (retraites) et pour aboutir à la chute, entre autres, du "ratio de dépendance", c'est-à-dire du rapport entre les personnes âgées et les jeunes dans la population active.

Sans cela, les moyens de financement pour de nouveaux investissements seront insuffisants. Seul le recours à la planche à billets demeure à la portée des PVD.

### Section 2: La structure de la masse monétaire et ses contreparties en Algérie

La monnaie est à la fois un pouvoir d'achat et une unité de compte. En Algérie, c'est selon cette conception dualiste que s'est exprimée la demande de monnaie:

1-en tant qu'unité de compte, pour le producteur, elle émanait des EPE

2-en tant que pouvoir d'achat, pour le consommateur, elle provenait des ménages principalement.

Cette conception dualiste de la monnaie s'est, en Algérie, posée également comme la résultante des évolutions respectives des diverses variables monétaires concernées: les investissements, les revenus, les prix et la dette extérieure. Celles-ci sont intimement liées entre elles, d'abord par la nécessité économique de financer coûte que coûte la production (la croissance) et ensuite par la nécessité sociale de financer la consommation (les revenus versés).

En 1980, les dépôts bancaires étaient estimés, au cours des journées d'étude sur la formation et la gestion des moyens de paiements en Algérie organisées en 1986 à Annaba, à 32,255 milliards DA en dépôts à vue et 9,105 milliards DA en dépôts à terme, soit un total de 41,36 milliards, parmi lesquels 13,63 milliards revenaient aux ménages et entreprises privées, ce qui donne un taux de 32,95%. [6]

Certes, avec la loi bancaire N°86-12 du 19 août 1986, la compétence des banques devait être mesurée par l'importance de l'épargne collectée et, par voie de conséquence, justifiée par l'intermédiation réalisée. Mais, malgré l'accroissement des montants déposés dans les comptes à vue et les comptes à terme, les dépôts des particuliers ne représentaient en moyenne, à ce moment là, que 15% de l'ensemble des dépôts bancaires.

La monnaie scripturale est beaucoup plus le fait des EPE que des ménages. Comme il a été démontré dans notre thèse de Magistère, ces derniers ont toujours accordé leur préférence pour la liquidité et la thésaurisation.

Si la masse monétaire en Algérie avait, dans un premier temps, augmenté parce que le financement monétaire des investissements représentait une sorte de pari dans l'avenir, il faut reconnaître que, par la suite, elle avait résulté de la hausse généralisée des prix. Ainsi, pourrions nous écrire que l'application algérienne de la théorie quantitative de la monnaie avait fini par inverser le sens de la formule. Au lieu de "MV = PT", il aurait fallu poser "PT = MV".

En effet, dans une économie en contexte de rareté, il est compréhensible de ne pas tenir compte de la vitesse (V) de circulation monétaire, ni des transactions (T). Donc, si

BOUMENDJEL Saïd ..... Monnaie et Répartition  
les prix augmentent, le besoin d'une plus grande masse de monnaie en circulation se fait sentir. C'est ce qui s'est passé dans les années 70-80 notamment. C'est ce qui est également constaté dans les années 90.

Mode de financement d'un modèle de production socialiste qui a finalement échoué. la monnaie s'est progressivement mue, en Algérie, en mode de financement d'un modèle de consommation complètement emballé et extraverti, dans lequel le dinar aura perdu au minimum six à sept fois de sa valeur au cours des années 80 et plus de dix fois au cours des années 90.

D'après les statistiques financières internationales d'août 1993 [7], le taux de change officiel du dinar (à comparer avec le franc français) pour un dollar américain a évolué, comme le montre notre **tableau N°07**, de façon fulgurante de 4,824 DA contre un dollar US en 1986 à 23,397 dinars en 1993.

De 1986 à 1993, la valeur du dinar a diminué par rapport au dollar américain d'environ 385%. En 1993, il fallait par conséquent donner quatre à cinq fois plus de dinars pour obtenir la même somme en dollars qu'en 1986. C'est ce que nous révèlent les données statistiques que nous exposerons plus bas.

De juin 95 à juin 98, le dinar a évolué à la baisse de 22,55% par rapport au dollar et de 7% par rapport au franc français. Ainsi, de 1986 à l'an 2000, le taux de change est passé de 4,824 DA pour un dollar à 74,34 DA, ce qui fait une variation de quatorze fois et demie. Ainsi, le dollar de l'an 2000 vaut en dinar, au moins, quinze fois plus qu'en 1986. À partir de différentes sources d'information (presse nationale), il nous a été possible de dessiner les graphes suivants qui montrent bien un trend haussier de la valeur des devises en Dinar algérien.

Les statistiques financières du FMI nous proposent l'évolution suivante de certaines devises fortes par rapport au dollar US au cours des dernières années (1987 à 1995) ainsi que l'évolution du Dinar algérien par rapport toujours au dollar US comme suit :

L'ensemble des statistiques internationales exposées notamment par nos tableaux (**tableau N°8** du taux de change nominal des principales devises et **tableau N°9** du taux de change officiel du Dinar algérien) nous permet d'approfondir l'analyse pour mettre en relief . par nos calculs, le fait que le rapport du dinar algérien au dollar US ne cesse de se détériorer au fil des années (**Tableau N°10**), par exemple, de 0,1486 dollar en 1988 à 0,0196 en 1995. (Réf. 8 et 9).

Ceci nous permet évidemment de construire la **figure N°01** pour illustrer le fait. En l'espace de quelques années à peine, le dollar US valait en 1995 pratiquement sept à huit fois sa valeur en DA en 1988.

Le glissement du dinar par rapport au dollar s'amorce, en fait, dès les années 81-82, suite à la baisse des prix du pétrole à cette époque. Mais, c'est depuis 1986 que la monnaie algérienne commence sa dépréciation à la fois vis-à-vis du dollar US et du franc français. D'abord lente, cette dépréciation s'accélère à partir des années 88-89 (comme nous le montre la **figure N°01**). L'amélioration des réserves de change en fin 90-début 91 (accroissement du prix du pétrole à cause de la crise du Golfe) semble même . d'après le professeur Bedrani, [10] inciter le gouvernement algérien à accélérer sa politique de dérive volontaire du dinar pour rapprocher le taux de change officiel de celui qui s'établirait dans un marché de taux de change libre.

BOUMENDJEL Saïd ..... Monnaie et Répartition

Ainsi, en reprenant les statistiques précédentes, nous aboutissons à déterminer un rapport du dinar aux principales devises plus ou moins régulier du milieu de la décennie 80 à celui de la décennie 90, mais avec une tendance claire à la hausse (**Tableau N°11 et Figure N°02**).

Les différentes statistiques sur le taux de change des monnaies internationales permettent donc de constater que, au fil de ces dernières années, il faut mettre plus d'unités en dollars pour acquérir des unités d'autres devises, telles que le mark allemand, le franc français ou la livre sterling anglaise et le yen japonais. Cela signifie que la position dominante du dollar US a été remise en question. L'économie américaine, même si elle dispose encore du leadership, ne peut plus ne pas tenir compte de ses partenaires les plus puissants, notamment le bloc européen et le bloc asiatique. Parallèlement, il faut mettre l'accent sur le risque encouru par l'économie algérienne qui, non seulement voit se détériorer son taux de change officiel par rapport au dollar US, donc par rapport à une devise en dégringolade, mais qui encore continue de vendre son pétrole au cours du dollar US. La contradiction est nettement apparente lorsque nous comparons les courbes d'évolution du dinar (courbe descendante) et des autres monnaies (courbe ascendante). Et, c'est pourquoi nous avons des raisons de nous inquiéter. La détérioration du Dinar algérien est plus sérieuse depuis les dévaluations du début de la décennie 90, ainsi que pourraient le montrer les données publiées par la presse nationale [11], de 1995 à l'an 2000, à l'achat et à la vente: (**Tableau N°12**).

Reprenons - les en ne considérant, à chaque fois, qu'une seule devise étrangère à la fois en rapport avec le dinar algérien et construisons les courbes respectives (**Figures 03 à 06**) qui correspondent à chaque évolution particulière.

Les variations dans la valeur du dinar risquent toutefois de faire croire aux citoyens, dans un élan de cœur nationaliste, que c'est la population entière qui subit en quelque sorte un choc externe. Il est vrai que, suite à l'héritage de l'idéologie socialiste et anti-impérialiste, on l'a habituée à tout rejeter sur le RDM, l'ennemi de l'extérieur. En fait, ces variations en masquent d'autres, notamment celles qui ont lieu dans la répartition du revenu. En effet, les groupes sociaux ne sont pas tous logés à la même enseigne. Les hommes politiques, les ambassadeurs et leurs agents, les cadres décrétables, les pilotes d'Air Algérie et bien d'autres privilégiés du système bénéficient d'une dotation de revenus en devises, qui leur permet d'échapper à la baisse de leur pouvoir de consommer. Quant à tous les autres, ils espèrent paradoxalement en d'autres accroissements de la masse de monnaie redistribuée.

Nous retombons pratiquement toujours à la même situation qui prévalait auparavant. Dans les années précédentes, il y avait sur-évaluation du dinar algérien. Et, comme l'avait expliqué le professeur Henni, le taux de change était utilisé à bon escient pour favoriser certains "secteurs" dans la compétition pour l'acquisition des devises. Ainsi, écrit Henni [12], les branches caractérisées par peu d'investissements et beaucoup de surplus sont pratiquement fermées: il est difficile d'y pénétrer, l'investissement se faisant donc sur autorisation. Plus la branche est fermée, plus son coefficient de transformation devises- dinars est élevé. Ceci veut dire que la valeur ajoutée n'est, en grande partie, qu'une redistribution du surplus pétrolier. Une fois la structure des échanges et des paiements extérieurs définie, le reste devient affaire intérieure de



BOUMENDJEL Saïd ..... Monnaie et Répartition redistribution secondaire et la question des salaires et des profits devient une pure question d'arbitrage s'appuyant sur des prétextes techniques (nombre de machines, nombre d'emplois, etc.).

Pour arriver à de telles conclusions, le professeur Henni est parti évidemment de la valeur de la monnaie nationale en devises, c'est-à-dire du taux de change, réel et informel, pour calculer ce qu'il a appelé "surplus du consommateur" et "surplus du producteur". De là; il a comparé les budgets devises des secteurs avec leurs contributions à la valeur ajoutée. La comparaison des montants absolus de budgets devises avec la valeur ajoutée des secteurs laisse, selon lui [13], apparaître deux choses :

1-les budgets devises ne sont pas calculés ni accordés en fonction de la valeur ajoutée du secteur correspondant ;

2-le rapport de transformation devises- valeur ajoutée en DA varie considérablement selon les secteurs ; les titulaires de devises s'approprient plus en contre- valeur dinars du simple fait d'accéder aux devises qu'ils n'ajoutent de valeur au pays. Ceux qui accèdent aux devises enregistrent donc un surplus sans avoir besoin de produire.( **Tableau N°13**)

La contre- valeur marchande des devises obtenues est plus forte, dans certaines branches, que la valeur qu'elles ajoutent exprimée en DA. Ces branches n'ajoutent pas de la valeur: elles ne sont , en fait, que des « prétextes d'activité » en vue de capter la rente pétrolière au travers des quotas de devises alloués pour leur fonctionnement ( les autorisations d'importation), ce qui prouve que le taux de change n'a pas été , en Algérie, un prix, mais une variable primordiale de la répartition.

Conséquence de tout cela: la masse monétaire n'a cessé d'augmenter depuis les années 70. A la fin de la décennie 1980, son montant était de 326.900 millions de dinars en 1989 contre à peine 13.076 millions au début de la décennie précédente, en 1970. (**tableau N°14**).[14]

Et, selon le directeur du trésor algérien [15] en 1993, la masse monétaire se situe entre 650 et 660 milliards DA tandis que la dette publique atteindrait 805 à 810 milliards DA. Compte tenu des obligations du Trésor de racheter, à l'époque, le découvert de 22 entreprises dites déstructurées se chiffrant à plus de 110 milliards DA, la dette publique en cours avoisinerait donc les 920 à 930 milliards DA, ce qui représentait 85 à 90% de la PIB du pays. Selon les statistiques publiées par la suite, sur les disponibilités monétaires et quasi - monétaires (en Milliards DA), nous relevons que la masse monétaire dépasse les 900 milliards DA en 1996, conformément au **tableau N°15** [16]:

Il est alors possible de disséquer l'ensemble du tableau, de spécialiser les données et de prendre en considération la structure des avoirs extérieurs nets :pour une meilleure analyse, pour obtenir successivement les **tableaux 16 et 17**

Les résultats obtenus au travers des tableaux précédents nous facilitent ensuite le retour aux contreparties monétaires et, en déduisant les autres postes nets, nous aboutissons aux crédits intérieurs destinés à l'économie qui auraient évolué de 774,4 en 1994 à 967,1 en 1995 pour atteindre finalement 1.054,3 en 1996. (**Tableau N°18**).

À partir de là, il nous est encore possible d'apprécier les contreparties monétaires, à travers un autre tableau (**tableau N°19**).

BOUMENDJEL Saïd ..... Monnaie et Répartition

Ces contreparties monétaires sont composées évidemment (**Tableaux N°20 et N°21**) de monnaie et de quasi-monnaie. Malgré tout, le pourcentage des dépôts à vue dans la masse monétaire reste faible; s'il n'a pas une légère tendance à la baisse, il reste tout de même stable: 34,95% en 1994 avec 252,9 milliards DA, 33,68% en 1995 et 33,12% en 1996. Selon les informations données par le délégué à la planification [17] sur les principaux indicateurs monétaires (en pourcentages), la masse monétaire continue d'évoluer au rythme annuel de 15%, la part de la circulation fiduciaire se stabilisant autour des 30 à 31%. (**Tableau N°22**).

En tous cas, l'évolution est fulgurante: de 1970 seulement à 1996, la masse monétaire est multipliée par 70 fois, ce qui est exagéré. Car, même si le PIB aurait été multiplié par une centaine de fois (de 22,672 millions DA à 2501,9), il ne s'agit que de valeur nominale, donc faussée par l'inflation. L'on comprend pourquoi, dans son modèle d'il y a deux siècles, Ricardo ne voulait pas s'en tenir aux apparences monétaires.

Dans tous les ouvrages économiques, nous lisons  $BM = L+B = G+F$  et nous retrouvons généralement les tableaux suivants :

Contreparties	Masse monétaire
Or et devises- G	Billets- B
Trésor- T	Dépôts à vue- D
Crédits - C	
Total = M	Total - M
Facteurs de liquidité bancaire	Liquidité bancaire
Billets: -B	Liquidité bancaire: L
Or et devises: +G	
Refinancement: +F	
Total: L	Total: L

Les tableaux en question permettent de calculer le multiplicateur du crédit ( $m$ ) qui est égal à  $m = \text{Masse monétaire} / \text{Base monétaire} = M / BM$  ainsi que la proportion de billets dans la masse monétaire ( $b$ ) qui est égale à  $b = B / M$ . Ce rapport exprime, selon Poulon, [18] la propension des agents non financiers, et plus particulièrement celle des ménages, à détenir la monnaie sous forme de billets. Le rapport de la liquidité bancaire au montant des dépôts à vue ( $r$ ) est  $r = L / D$ . Pour Poulon, [19] ce coefficient dépend, quant à lui, de la politique monétaire: dans la mesure où la liquidité bancaire ( $L$ ) est égale aux avoirs des banques à la Banque centrale, eux mêmes constitués principalement de réserves obligatoires, le coefficient ( $r$ ) est approximativement le "taux des réserves obligatoires sur les dépôts à vue" des banques.

Compte tenu de l'expression  $BM = L+B = G+F$ , celle du multiplicateur du crédit ( $m = M / BM$ ) devient:  $m = M / (L+B) = [(M/D).(D/L+B)]$

Sachant que  $[M = B + D]$ ,  $b = [B / M]$  et  $r = [L / D]$ , il résulte, nous dit Poulon, [19] que:  $(m) = (1/r + b) - rb$

BOUMENDJEL Saïd ..... Monnaie et Répartition

Comme l'écrit Poulon [20], les tableaux suivants (**Tableaux N°23 et N°24**) peuvent s'interpréter en disant que toute monnaie est émise en contrepartie de créances sur l'extérieur (or et devises) , de créances sur l'état (Trésor) et de créances sur des agents économiques résidents (crédits à l'économie), dans les proportions résultant de la colonne gauche du tableau.

Dans une optique comptable, nous pouvons écrire, avec Granier et Giran [21] , que la masse monétaire est une dette des émetteurs de monnaie à l'égard des entreprises et des particuliers. Or, si traditionnellement les émetteurs sont, en principe, au nombre de trois: la Banque Centrale du pays, le Trésor Public (personnification financière de l'État) et les banques de second rang (banques autres que la banque centrale), nous ne risquons nullement de commettre une faute trop grosse en ne citant , pour l'Algérie, que l'État. Étant donné que tout (du moins officiellement et en apparence, car nous ne devons pas perdre de vue le secteur informel) est encore concentré entre ses mains, même si des changements notables se font sentir ces derniers temps, l'État seul est émetteur d'offre de monnaie et, dans ce cas, il est seul redevable de cette "dette" éventuellement. Ce qui aggrave son cas, c'est que la contrepartie "or et devises" est fortement négative alors qu'en général, dans d'autres pays, elle tourne autour des 5 à 10% positifs.

La variation des réserves internationales (or monétaire, devises) est un indicateur rare de la santé financière d'un pays. Sur une longue période (de 1980 à 1997), les dernières statistiques de la Banque Mondiale [22] révèlent l'état suivant des réserves internationales en Afrique (en millions de \$, fin 1997): Egypte:19405; Algérie: 9668; Afrique du sud: 5957; Nigeria:4334; Maroc: 4194; Tunisie: 2043; Ghana: 930; Maurice: 721; Côte d'ivoire: 636; Ouganda: 633; Tanzanie: 622; Kenya: 603; Lesotho: 572; Mozambique: 517; Ethiopie: 502.

Pour ce qui est des crédits à l'économie, leur part dépasse la normale, avec plus de 100 %. Tout passe par les banques: il s'agit d'une véritable économie d'endettement.

Pourtant, malgré cette optique comptable, dans laquelle le stock de monnaie est une créance- dette, ce stock, dit-on [23] peut être considéré comme une richesse nette au plan global. La valeur de cette richesse est obtenue à partir de l'évaluation des services que rend la monnaie à l'économie.

Mais, comme dans la théorie économique orthodoxe, l'offre de monnaie en Algérie demeure hypothétiquement une variable exogène (une variable qui refuse en quelque sorte d'être endogénéisée à l'activité économique) dans la mesure où l'État démiurge en a toujours fixé le niveau à sa guise, sans que sa décision fût forcément reliée à un calcul économique rationnel.

L'offre de monnaie, en Algérie, paraît donc beaucoup plus institutionnelle que fonctionnelle. La liquidité bancaire, qui est la liquidité de l'ensemble consolidé des banques, apparaît donc comme la somme des encaisses des banques. Sur la base des données précédentes, nous avons alors procédé, toujours pour les années 94/95/96, au calcul suivant: « Billets (-B)+ Or et Devises (+G)+ Refinancement (+F) = Liquidité bancaire (L) » qui nous donne, entre autres, successivement une liquidité bancaire égale à 665,1 puis 612,3 et enfin 521,1. (**Tableau N°25**)

Ainsi, suite à ces calculs, nous constatons facilement que le refinancement représente "la part du lion" des facteurs de liquidité bancaire: 116,43% en 1994, 158%

BOUMENDJEL Saïd ..... Monnaie et Répartition en 1995 et 202,32% en 1996. (Tableau N°26). Ce besoin de refinancement provient sans doute de la nécessité pour les institutions financières et monétaires algériennes de convertir la monnaie (écritures comptables) mise à la disposition des "bénéficiaires du crédit" (entreprises publiques) en une autre monnaie (des dinars algériens ou des devises) dont elle ne dispose pas. C'est là que réside le fameux "gouffre des Danaïdes" dont parlait si souvent le professeur Perroux.

En poursuivant nos calculs des différents paramètres de la masse monétaire, nous obtenons notamment des montants en hausse continue de la monnaie M1 (475,9 puis 519,1 et enfin 595,2), des crédits à l'économie (305,8 puis 565,6 et 772,1) et des crédits intérieurs (774,4 puis 967,1 et 1054,3). (Tableau N°27).

Or, comme a tenu à le préciser le ministre actuel des finances, [24] qui n'est rien d'autre que le professeur d'économie Benachenhou, en l'an 2001, les banquiers des organismes internationaux sont très attentifs à la certification des comptes des banques d'un pays et à leur publication. Quand celles-ci ne les font pas ou pas assez vite, la crédibilité de tout le pays chute(...). Ce qui nous inquiète d'ailleurs, c'est que les banques algériennes ont bénéficié de 1.300 milliards de dinars d'assainissement sans pour autant avoir réussi à attirer d'éventuels partenaires.

Malgré les apparences, comme l'écrit Poulon [25], la liquidité bancaire est un agrégat fondamental, véritable point d'application de la "politique monétaire" qui est toujours une tentative des autorités monétaires d'agir sur la liquidité bancaire. Celle-ci, étendue à la "base monétaire" (BM), est précisément la "base" de la distribution des crédits, ainsi que le met en évidence le "multiplicateur de crédit" que nous tenterons ici de calculer. Nous pouvons évaluer la base monétaire de deux façons, soit par l'addition de la liquidité et des billets (L+B), soit par celle de l'or et devises avec le refinancement (G+F). Pour les trois années étudiées, nous obtenons successivement 888,1 puis 862,1 et enfin 811,7. (Tableau N°28).

D'où, aussi, par addition des billets (B) et des dépôts à vue (D), nous calculons la monnaie (M = B+D), soit successivement 475,9 puis 519,1 et enfin 595,2. (Tableau N°29).

Ce qui nous permet de procéder au calcul des coefficients et rapports suivants:

1-la proportion des billets dans la masse monétaire ( $b = B / M$ ) soit successivement pour les années 1994, 1995 et 1996: 46,86 % puis 48,12% et enfin 48,82%;

2-le rapport de la liquidité bancaire au montant des dépôts à vue ( $r = L / D$ ), soit également 262,99%, puis 227,37% et enfin 171,08%.

Ce sont là évidemment des proportions qui sont loin de ressembler à ce qui se passe dans des pays développés industrialisés (PDI) tels que la France par exemple (où nous avons environ:  $b = 10\%$  et  $r = 5\%$ ). Ainsi, nous pouvons obtenir la valeur du "multiplicateur de crédit" en Algérie de deux façons au moins à partir des équations suivantes:  $m = M / BM = M / (L+B) = [(M/D) \cdot (D/L+B)] = 1/r + b - rb$ . (Tableau N°30). Ce multiplicateur, qui est égal à 0,536 en 1994, puis 0,60 en 1995 et 0,73 en 1996, indique, à l'instant où il est calculé, le nombre d'unités de monétaires en circulation pour chaque unité de monnaie centrale créée, qu'elle soit ou non en circulation. Il semble bien qu'en Algérie, le "multiplicateur de crédit" s'est mû en "diviseur de crédit": les banques algériennes ne semblent pas se faire de soucis de

BOUMENDJEL Saïd ..... Monnaie et Répartition  
trésorerie, parce qu'elles sont pratiquement sûres d'obtenir, auprès de la Banque  
d'Algérie, le refinancement demandé, parce que c'est le "système de régulation étatique"  
qui l'impose, d'où un coefficient d'expansion monétaire important.

Si l'état algérien semble avoir eu la prouesse de concilier les questions monétaires  
avec le bien-être individuel et collectif du citoyen, puisqu'il s'agissait de refinancer des  
EPE sans contrepartie productive pourvu qu'elles aient de quoi payer leurs personnels,  
comment faire pour concilier les mêmes questions avec un véritable développement ?

L'Etat algérien a toujours été le seul en quelque sorte à estimer la valeur, celle des  
biens et des services (par la détermination des prix), celle de la monnaie (taux d'intérêt,  
taux de change) et celle du travail (détermination du SNMG). Le marché a tenté de s'y  
opposer par l'inflation des prix, de la masse monétaire et des revenus. Entre les deux,  
faut-il choisir ? Ou bien, y a-t-il une autre voie qui fasse une petite place à l'homme ?

La contrainte financière n'a jamais eu droit de cité dans l'économie algérienne.

Comme l'écrit Mme Guillaumont, [26] enfin, il est possible que la dépréciation de la  
monnaie sur le marché des changes accentue les revendications salariales plus que  
l'appréciation de la monnaie n'est susceptible de les atténuer.

Quelle que soit sa cause, écrit Alchian, [27] une hausse des prix réduit en théorie et  
en fait la valeur de la monnaie, qui ne porte pas intérêt, dans laquelle sont exprimés les  
prix. Ceux dont les dettes sont exprimées en monnaie, découlant d'opérations de crédit,  
gagnent en fortune réelle par suite de la réduction de leurs obligations réelles. S'il  
n'existe pas de monnaie parfaite représentant du pouvoir d'achat ou portant intérêt,  
l'inflation, prévue ou non prévue, se traduit toujours par une perte de fortune pour les  
détenteurs de monnaie. Elle entraîne également une perte générale d'efficacité et,  
partant, de fortune, pour l'ensemble de la collectivité car celle-ci doit avoir recours à des  
moyens d'échange et à une spécialisation de la production moins efficaces. [28]

Dans le chapitre huit de "Money and the Nation State", Alan Reynolds, [29] en se  
fondant sur des situations qui se sont produites dans différents pays (les « tigres »  
d'Asie, Argentine, Bolivie, Chili, Colombie, Israël, Jamaïque, Maurice, Mexique et  
Philippines), cherche à démontrer que le FMI impose à ses pays membres en quête  
d'assistance financière des remèdes pires que le mal lorsqu'il les incite ou les force par  
la pression à accroître la fiscalité et à dévaluer leur monnaie.

Les pays peuvent, en effet, avoir avantage à alléger les impôts s'ils ont déjà un  
niveau de fiscalité élevé: leur capacité à mobiliser des recettes s'accroît du fait que la  
réticence à payer des impôts diminue et que, dans le même temps, l'incitation à  
travailler et à produire augmente, ce qui a une répercussion positive sur la croissance du  
PIB. Il semblerait, ces derniers temps, que le ministre algérien des finances y ait fait  
allusion; en effet, bien que son adhésion éventuelle à l'OMC ferait perdre à l'Algérie  
chaque année 1,4 milliards de dinars algériens à la suite du démantèlement tarifaire  
prévu par l'accord avec l'union européenne, le ministre ose aujourd'hui, en 2001, parler  
enfin d'allègements fiscaux éventuels "à condition que tout le monde paye" (dixit) [30].  
En tous cas, cette question fut l'objet d'un âpre débat entre le représentant du ministère  
de l'économie, à l'époque, et nous même à la suite de notre communication *sur « les  
fondements réels du succès de la privatisation des E.P.E algériennes. »*[31].

BOUMENDJEL Saïd ..... Monnaie et Répartition  
S'agissant de la dévaluation, Reynolds fait ensuite valoir qu'elle tend souvent à aggraver les pressions inflationnistes, par exemple en alourdissant les déficits budgétaires.

En fait, on peut réfuter ces arguments en montrant qu'ils ne font pas suffisamment entrer en ligne de compte d'autres variables qui affectent l'inflation, les recettes fiscales réelles, le ratio recettes fiscales / PIB et l'expansion économique.

#### **Conclusion :**

En fin de compte, seule la "privatisation du secteur bancaire" pourrait sans doute redonner de la vigueur et de la rigueur à l'activité de financement de l'économie.

Faudrait-il alors faire comme Leland Yeager [32] et préconiser une formule radicale pour privatiser le système monétaire. L'état désignerait une "nouvelle unité de compte" qui serait définie à la manière Sraffienne, par rapport donc à un ensemble de biens et services suffisamment vaste pour que le niveau global des prix couverts demeure relativement stable, les banques privées étant chargées de l'émission des billets et des dépôts mobilisables par chèque ?

Certes, chaque banque, du fait de son caractère privé, serait responsable de ses propres réserves de trésorerie et son comportement serait conditionné par les règles du marché de concurrence et donc de celles de la faillite. La banque centrale serait libérée des tracasseries de l'ajustement et des inconvénients de l'interventionnisme sur les taux d'intérêts ou sur la propension à importer. Même l'offre monétaire serait libérée des pressions politiques, à moins d'une formation d'un puissant lobby, mais, dans ce cas, il appartiendrait à la "*société civile*" de prévoir les mécanismes indispensables qui en permettent le contrôle à temps. La *démocratie économique* passe donc par une *démocratie politique* aussi.

Mais, serions-nous assurés du caractère opérationnel d'un tel système ?

#### **Bibliographie :**

01-POLAK Jacques J., économiste hollandais, chef du Département des études du FMI de 1958 à 1979, considéré comme le "père du modèle monétaire du FMI" plus connu sous le nom de "modèle de Polak"- Le modèle monétaire du FMI, un outil toujours précieux- Finances et Développement, revue du FMI, Décembre 1997- p17.

02-Site Internet Site WEB: <<http://www.ons.dz>> Source: Banque d'Algérie-

03-OFFERDAL, Erick C. économiste norvégien du FMI- Réponse de l'investissement et de la croissance aux politiques d'ajustement »-Revue Finances et Développement-Juin 1996-p19.

04-OFFERDAL, Erick C. « Réponse...»- opus cité - Juin 1996- p20.

05-COHEN Daniel, Richesse du monde, pauvreté des nations- éd. Flammarion, Paris. 1997- traduit par J.Lindenfeld: The Wealth of the World and the Poverty of Nations- MIT Press, Cambridge, Massachusetts, 1998. Finances et Développement/Juin 1999-texte de S.Kane, p52.

06-Bouacha Md Tayeb- ISE Annaba - journées d'étude sur la formation et la gestion des moyens de paiement en Algérie- Mars 1986- Document des communications, p14-

07-SFI/ FMI-Août 1993-pF80-

- BOUMENDJEL Saïd ..... Monnaie et Répartition  
 08-FMI- études économiques et financières: Perspectives de l'économie mondiale-  
 Taux de change nominal du \$ mai 1995-p156  
 09-**International Financial Statistics**- December 1995- Algeria, p80 et 81  
 10-**BEDRANI Slimane**, L'Algérie, un cas d'ajustement volontaire ?p99 à 120- in  
 Ajustement et Développement au Maghreb, en Afrique subsaharienne et en Europe de  
 l'est)- sous la direction de Driss Guerraoui- Les éditions Toubkal et L'Harmattan, 1993-  
 p115-  
 11-**Sources diverses**: El-Watan (juin 95; juillet 95; avril 97; mai 98; février 99); La  
 République (juin 98); Jeune indépendant (février 2000); Le Soir ( juillet- août 91;  
 janvier 95).  
 12-**Henni Ahmed**, Le taux de Change comme Variable de Répartition Primaire- par  
 Ahmed Henni, Directeur de l'unité de recherche « Régulation macro-économique » du  
 CREAD- in Répartition des revenus en Algérie- Les Cahiers du CREAD- N°34- 2<sup>ème</sup>  
 Trimestre 1993-p56-  
 13-**Henni Ahmed**, Directeur de l'unité de recherche « Régulation macro-  
 économique » du CREAD: Le taux de Change comme Variable de Répartition Primaire-  
 in Répartition des revenus en Algérie- Les Cahiers du CREAD- N°34- 2<sup>ème</sup> Trimestre  
 1993-p54.  
 14-**Sources diverses**- FMI Financial statistics (années 70-85) + Actualité économie  
 N°44 de février 1990, p9 (années 86-89)+ El-moudjahid 27-12-1989,p2.  
 15-**El-Watan** N°901 du jeudi 16-9-1993, p3: article de R.Bekkat au sujet du  
 Rapport de la commission Algérie 2005/ Atelier sur l'évaluation et les perspectives de  
 l'économie, tenu au Club des Pins les 14 et 15 septembre 1993, p3.  
 16-**Site Internet** Site WEB: <<http://www.ons.dz>> Source: Banque d'Algérie-  
 17-**Site Internet** Site WEB: <<http://www.ons.dz>> Sources: O.N.S / Services du  
 Délégué à la Planification  
 18-**Poulon Frédéric**, économie générale- Dunod, Paris, 1984-p231  
 19-**Poulon Frédéric** (même référence précédente).  
 20-**Poulon Frédéric** , économie générale- Dunod, Paris, 1984-p226  
 21-**Granier Roland** et **Giran Jean-Pierre**, Analyse économique-  
 Economica,Paris,1984-p253  
 22-**Gharbi Samir** -Jeune Afrique N°1980-1981- du 22-12-98 au 4-1-99-Le saviez-  
 vous ? p82- Les mêmes statistiques révèlent que la plus forte augmentation en Afrique a  
 été réalisée par l'Ouganda (de 3millions à 633 millions \$), suivie par la Tanzanie (31  
 fois plus), la Côte d'Ivoire (14 fois), le Lesotho (11), l'Egypte (8), Maurice (7), le  
 Maroc (5), la Tunisie (3), le Ghana (3). Elles révèlent aussi que les réserves ont fondu,  
 notamment, au Nigeria (-60%) et en Afrique du Sud (-24%) En Algérie, la situation  
 s'est améliorée malgré la guerre civile (de 7,1 à 9,7 milliards \$).  
 23-**Granier Roland** et **Giran Jean-Pierre**, Analyse économique-  
 Economica,Paris,1984-p253  
 24-**Le quotidien d'Oran**- samedi 31 mars 2001- p7-Entretien avec Benachenhou,  
 Ministre des Finances- article de Saber et Daoud.  
 25-**Poulon Frédéric** , économie générale- Dunod, Paris, 1984-p229-

BOUMENDJEL Saïd :..... Monnaie et Répartition

26-**Guillaumont Jeanneney Sylviane**, professeur en Sciences économiques à Clermont I- La stabilisation des prix relatifs , objectif de la politique monétaire- in Economie appliquée, tome XXXVIII- N°1-1985-p315)-

27-**A.ALCHIAN**- université de Californie- « L'inflation et la répartition du revenu et de la fortune » In «Le Partage du Revenu National »-Association internationale des Sciences économiques- Colloque organisé à Palerme en septembre 1964- CUJAS- Paris-1971-P584-

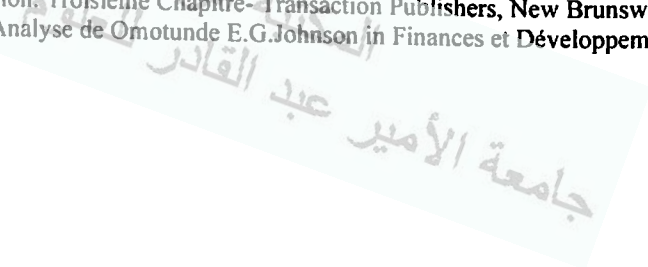
28-**A.ALCHIAN**- «L'inflation...»-cité ci-dessus- P591-

29-**Reynolds Alan** in Kevin Dowd et Richard Timberlake, Directeurs de publication- « Money and the Nation State: the financial Revolution Government and the World Monetary System »- by Transaction Publishers, New Brunswick, New Jersey, 1998. Lecture par Omotunde E.G.Johnson- Finances et Développement-FMI-juin 1999- p53.

30-**Le quotidien d'Oran**- samedi 31 mars 2001- p7-Entretien avec Benachenhou, Ministre des Finances- article de Saber et Daoud.

31-**Boumendjel Saïd**, « les fondements réels du succès de la privatisation des E.P.E algériennes. »- Communication faite au Séminaire national sur la gestion des ressources humaines et la conduite réglementaire dans l'administration publique et les entreprises économiques, qui s'est tenu au sein de la Raffinerie de Skikda du 15 au 16 janvier 1996

32-**Yeager Leland** in "Money and the Nation State - The Financial Revolution , Government, and the World Monetary system"- Kevin Dowd et Richard Timberlake, Directeurs de publication, Troisième Chapitre- Transaction Publishers, New Brunswick, New Jersey, 1998- Analyse de Omotunde E.G.Johnson in Finances et Développement, Juin 1999, p53.





## ANNEXES : Tableaux et Graphiques

Tableau N°01

(millions DA)	1994	1995	1996
Revenu	1 201 277,6	1 620 166,5	2 052 226,7
Variations $\Delta Y$	-	418.888,9	432.060,2
Offre monétaire	723.600	799.600	919.600
Variations $\Delta Mo$		76.000	120.000
Importations	340.142,4	513.192,5	498.325,5
Variations $\Delta M$		173.050,1	-14.867
Propension margin. à importer		0,4131	-0,0344
Exportations des hydro - carbures (Xh)		8.606 millions \$ = 369137 millions DA	9.730 millions \$ = 496327 millions DA
% dans les X		73,75%	66,73%
Exportations hors Hyd	320.120,5	500.563,0	743.838,9
Variations $\Delta Xh$		180.442,5	243.275,9
Réserves extérieures	60400	26300	133900
Variations $\Delta R$		-34100	107.600
Crédit intérieur (D)	774400	967100	1.054300
Variations $\Delta D$		192.700	87.200
Capitaux non bancaires	- 111,3	- 193,8	- 268,6

BOUMENDJEL Saïd ..... Monnaie et Répartition  
**Tableau N°02 :**

Années	1994	1995	1996
TOTAL des exportations 10 <sup>6</sup> DA	320.12 0,5	500.563,0	743.838,9
Variations ΔX calculées	-	180.442,5	243.275,9
TOTAL des importations 10 <sup>6</sup> DA	340.14 2,4	513.192,5	498.325,5
Propension marginale à importer calculée		0,4131	-0,0344
Variations ΔM calculées		173.050,1	-14.867
Indices ΔX		100	135
Indices ΔM		100	-91 soit 9 de différentiel
M = m.Y		0,4131(1620166,5)= 669.291	-0,0344 (2052226,7) = -70597
Variations ΔY calculées	-	418.888,9	432.060,2
Produit : m.ΔY		0,4131.(418888,9)=1 73.043	-0,0344 (.432060,2)= -14.862,9
M' = M + m.ΔY = importations potentielles		340142,4 + 173043 = 513.185,4	513185,4 - 14862,9 = 498.322,5
Différentiels d'M = M2 - M1		669291-513185,4 =156105,6	-70597-498322,5 =-568919,5
Indices différentiels	Base 100	156105,6 : 340142,4+ 100 =145,9	-568919 : 340142,4+100 =267,2

**Tableau N°03**

1995	1996
ΔMo =76.000	ΔMo =120.000
Moins ΔD =192.700	Moins ΔD =87.200
ΔR= -116.700	ΔR= 32.800

**Tableau N°04**

Désignation	1994	1995	1996	1997	1998
Capacité ou Besoin de Financement de la Nation	-40 744,1	-69 096,9	147 728,7	222 510,9	-30 862,3
= Ressources Courantes	451 858,3	663 424,7	920 457,3	965 324,2	772 398,5
Capacité ou Besoin de Financement de la Nation (en%)	-8,29%	-9,43%	+19,13%	+29,66%	-3,84%

Tableau N°05

Exportations hors Hyd	320.120,5	500.563,0	743.838,9
-Importations	-340.142,4	513.192,5	498.325,5
Restent (X - M):	-20.021,9	-12.629,5	245.513,4
$\Delta R$		$\Delta R = -116.700$	$\Delta R = 32.800$
$K = \Delta R - (X - M)$		$-116.700 + 12.629,5 = (-104.071)$	$32.800 - 245.513,4 = (-212.713)$

Tableau N°06

	1994	1995	1996	1997	1998*
Solde des Opérations Courantes	-39 556,0	-68 847,1	148 478,2	215 071,2	-31 116,6
Achats Nets des Ventes d'Actifs Incorporels	-60,9	-59,7	-343,1	-43,9	-152,9
Solde des Opérations en Capital	-1 127,2	-190,1	-406,4	7 483,6	407,2
Capacité ou Besoin de Financement de la Nation (millions DA)	-40 744,1	-69 096,9	147 728,7	222 510,9	-30 862,3

Tableau N°07 : Evolution du Dinar par rapport au Dollar US comparativement au franc français, de 1986 à 1993 :

Année	aux ae		aux rf	
	A c/\$	F c/\$	A c/\$	F c/\$
1986	,824	,455	,702	,9261
1987	,936	,34	,850	,0107
1988	,731	,059	,915	,9569
1989	,032	,788	,609	,3801
1990	2,191	,129	,958	,4453
1991	1,392	,180	8,473	,6421
1992	2,781	,5065	1,836	,2938
1993	3,397	,695	2,833	,4583

NB : Par taux de marché, on entend les taux de change déterminés essentiellement par les forces du marché; le taux officiel est un taux de change établi par les autorités. La série dite "ae" comprend des taux de fin de période et la série dite "rf" les moyennes, sur la période, des taux de change du marché et des taux de change officiels.

Tableau N°8 : taux de change nominal des principales devises

l unité	1987	88	89	90	91	92	93	94	95
FF	6,01	5,96	6,38	5,45	5,64	5,29	5,66	5,55	5,00

BOUMENDJEL Saïd ..... Monnaie et Répartition

Yen	144,6	128,2	138	144,8	134,7	126,7	111,2	102,2	91,3
Mark	1,80	1,76	1,88	1,62	1,66	1,56	1,65	1,62	1,41
£.sterl.	1,63	1,78	1,64	1,78	1,76	1,76	1,50	1,53	1,60

Tableau N°9 : taux de change officiel du Dinar algérien

	1988	89	90	91	92	93	94	95
Taux officiel	6,731	8,032	12,191	21,392	22,784	24,123	42,893	51,010
	\$US							

Tableau N°10: Unités de dollars contre un dinar

D.A / \$	1988	89	90	91	92	93	94	95
Nombre de \$	0,1486	0,1245	0,0820	0,0467	0,0439	0,0415	0,0233	0,0196

Tableau N°11 : Rapport du Dinar algérien aux principales devises (1987 à

1994) :

1 unité	1987	88	89	90	91	92	93	94
FF	0,1678	0,1567	0,1835	0,1773	0,1890	0,1767	0,1802	0,2
Yen	0,0078	0,0072	0,0069	0,0074	0,0079	0,0090	0,0098	0,0195
D.Mark	0,5682	0,5319	0,6173	0,6024	0,6410	0,6061	0,6173	0,7092
£	0,5618	0,6098	0,5618	0,5682	0,5682	0,6666	0,6536	0,6250

Tableau N°12 : Taux de change en dollar, yen, mark et franc

	\$ US		100yen	
18-6-95-Watan	47,16	50,05	55,80	59,26
26-7-95	49,14	52,15	56,09	59,56
7-4-97	55,66	59,07	45,52	48,34
3-5-98	57,69	61,22	43,59	46,29
24-5-98	57,96	60,88	42,54	44,70
31-5-98	57,15	60,64	41,49	44,06
24-6-98-République	57,75	61,34	40,25	42,82
5-2-00-Jeune Indép.	68,72	72,92	64,81	68,80
6-2-00-Watan	70,06	74,34	64,43	68,43
Tableau N°12 suite en :	100 Deutchmark		1 Franc français	
18-6-95-Watan	3344,98	3551,11	9,52	10,11 DA
26-7-95	3549,85	3768,58	10,20	10,83
7-4-97	3334,23	3539,33	9,90	10,51
3-5-98	3211,46	3408,90	9,58	10,17
24-5-98	3258,41	3423,99	9,72	10,21
31-5-98	3233,78	3433,60	9,64	10,24
24-6-98-République	3211,29	3411,11	9,58	10,18
5-2-00-Jeune Indép.	3520,05	3736,77	10,49	11,14

BOUMENDJEL Saïd ..... Monnaie et Répartition

6-2-00-Watan	3480,41	3696,61	10,38	11,02
--------------	---------	---------	-------	-------

Tableau N°13: comparaison des montants absolus de budgets devises avec la valeur ajoutée (1989) :

Branche	Devises obtenues au cours du marché	Valeur ajoutée 10 <sup>6</sup> DA	Surplus réalisés 10 <sup>6</sup> DA
Plastique – chimie	2691	471	+2220
ISSME	2781	1529	+1252
Textile	2565	2137	+428
Cuir et chaussures	354	472	-72
Agro-alimentaire	387	4846	-4459

Tableau N°14 : évolution de la masse monétaire de 1970 à 1989- millions de dinars

Année	1970	1971	1972	1973	1974	1975
	13.076	13.925	18.139	22.920	24.955	32.320
Année	1977	1978	1979	1980	1981	1982
	51.406	65.866	78.902	92.295	107.937	137.890
Année	1984	1985	1986	1987	1988	1989
	194.717	223.860	226.900	257.900	292.900	326.900

Tableau N°15 : Disponibilités monétaires et quasi - monétaires (en Milliards DA)

Désignation	1994	1995	1996
Monnaie et Quasi - Monnaie (M2)	723,6	799,6	919,6
<b>Monnaie</b>	475,9	519,1	595,2
- Circulation fiduciaire	223,0	249,8	290,6
- Dépôts à vue	252,9	269,3	304,6
- Banques	196,5	210,8	238,9
- C.C.P. et Trésor	56,4	58,5	65,7
Quasi - Monnaie	247,7	280,5	324,4
Contreparties de la Masse Monétaire	723,6	799,6	919,6
Avoirs Extérieurs Nets	60,4	26,3	133,9
- Banque d'Algérie	50,7	15,6	122,4
- Banques	9,7	10,7	11,5
Crédits Intérieurs	774,4	967,1	1.054,3
- Crédits à l'Etat	468,5	401,5	282,2
- Banque d'Algérie	246,3	231,9	172,5
- Banques	165,8	111,1	44,0
- Autres	56,4	58,5	65,7

BOUMENDJEL Saïd ..... Monnaie et Répartition

- Crédits à l'économie	305,8	565,6	772,1
Autres Postes Nets	- 111,3	- 193,8	- 268,6

Tableau N° 16 : structure de la masse monétaire entre 1994 et 1996 (milliards DA) :

Rubriques	1994	1995	1996
1-Quasi-Monnaie	247,7	280,5	324,4
2-Circulation fiduciaire	223,0	249,8	290,6
3-Dépôts à vue	252,9	269,3	304,6
A=Contreparties de la Masse Monétaire	723,6	799,6	919,6
Avoirs Extérieurs Nets	60,4	26,3	133,9
B=Contreparties moins Avoirs extérieurs	663,2	773,3	785,7
Autres Postes Nets	- 111,3	- 193,8	- 268,6
C= B - Autres postes nets	774,5	967,1	1054,3

Tableau N°17 : Structure des avoirs extérieurs nets :

Autres Postes Nets	- 111,3	- 193,8	- 268,6
Avoirs Extérieurs Nets	60,4	26,3	133,9
Autres Postes Moins avoirs extérieurs	111,3-60,4= 50,9	193,8-26,3= 167,5	268,6-133,9= 134,7
Crédits intérieurs - Contreparties =	50,9	167,5	134,7

Tableau N°18 : évaluation et évolution des crédits intérieurs de 1994 à 1996

Rubriques	1994	1995	1996
Crédits à l'Etat	468,5	401,5	282,2
- Banque d'Algérie	246,3	231,9	172,5
- Banques	165,8	111,1	44,0
- Autres	56,4	58,5	65,7
Crédits à l'économie	305,8	565,6	772,1
= Crédits Intérieurs	774,4	967,1	1.054,3

Tableau N°19 : Contreparties monétaires

Rubriques	1994	1995	1996
1-Crédits Intérieurs	774,4	967,1	1.054,3
2- Banque d'Algérie = 3-4	50,7	15,6	122,4
3-Avoirs Extérieurs Nets	60,4	26,3	133,9
4- Banques	9,7	10,7	11,5
Contreparties de la Masse Monétaire = 1-2	723,6	799,6	919,6

Tableau N°20 : Structure des contreparties monétaires de 1994 à 1996

	1994	1995	1996
--	------	------	------

BOUMENDJEL Saïd ..... Monnaie et Répartition

Quasi-Monnaie (M2 - M1 et autres placements)	247,7	280,5	324,4
<b>Monnaie (M1)</b>	475,9	519,1	595,2
Monnaie et Quasi - Monnaie (M2)	723,6	799,6	919,6

**Tableau N°21 : Structure de la monnaie (M1) elle même :**

	1994	1995	1996
Circulation fiduciaire	223,0	249,8	290,6
Dépôts à vue	252,9	269,3	304,6
<b>Monnaie (M1)</b>	475,9	519,1	595,2

**Tableau N°22 : Evolution des principaux indicateurs monétaires (en pourcentages)**

Désignation	1994	1995	1996
Croissance de la masse monétaire M2	15,3	10,5	15,0
Croissance des crédits à l'économie	38,9	84,9	36,5
Liquidité de l'économie	45,5	38,7	34,4
Part de la circulation fiduciaire dans M2	30,8	31,2	31,6

**Tableau N°23 : Masse monétaire et Contreparties (1994 à 1996)**

	1994	1995	1996		1994	1995	1996
Contreparties				Masse monétaire			
Or et devises- G	113,7	-105	-242,6	Billets- B	223,0	249,8	290,6
Trésor- T	56,4	58,5	65,7	Dépôts - D	252,9	269,3	304,6
Crédits - C	305,8	565,6	772,1				
Total - M	475,9	519,1	595,2	Total - M	475,9	519,1	595,2

**Tableau N°24 : Structure des Contreparties monétaires (1994 à 1996)**

	1994	1995	1996
Contreparties :			
Or et devises- G	23,89	-20,23	-40,76
Trésor- T	11,85	11,27	11,04
Crédits - C	64,26	108,96	129,72
Total - M	100%	100%	100%

**Tableau N°25= Facteurs de Liquidité bancaire en Algérie (1994 à 1996)**

	1994	1995	1996		1994	1995
Facteurs de liquidité bancaire :				Liquidité bancaire :		
Billets: -B	-223,0	-249,8	-290,6	Liquidité bancaire : L	665,1	612,3
Or et devises : +G	113,7	-105	-242,6			
Refinancement : +F	774,4	967,1	1.054,3			

## BOUMENDJEL Saïd ..... Monnaie et Répartition

Total : L	665,1	612,3	521,1	Total : L	665,1	612,3
-----------	-------	-------	-------	-----------	-------	-------

Tableau N°26: Proportions des différents facteurs de liquidité bancaire (1994 à 1996)

	1994	1995	1996
Facteurs de liquidité bancaire			
Billets: -B	-33,53	-40,80	-55,77
Or et devises : +G	17,10	-17,15	-46,56
Refinancement : +F	116,43	158	202,32
Total : L	100%	100%	100%

Tableau N°27 : Paramètres monétaires et Crédits à l'économie (1994 à 1996)

- Circulation fiduciaire	223,0	249,8	290,6
- Dépôts à vue	252,9	269,3	304,6
= Monnaie (M1)	475,9	519,1	595,2
Crédits à l'économie	305,8	565,6	772,1
- C.C.P. et Trésor	56,4	58,5	65,7
= Crédits Intérieurs	774,4	967,1	1.054,3

Tableau N°28 : Evaluation de la "Base monétaire" (1994 à 1996)

BM = L+B = G+F	1994	1995	1996
B	223,0	249,8	290,6
L	665,1	612,3	521,1
BM= L+B	888,1	862,1	811,7
G	113,7	-105	-242,6
F	774,4	967,1	1.054,3
BM= G+F	888,1	862,1	811,7

Tableau N°29 : Masse monétaire, Billets et dépôts à vue (1994 à 1996)

M = B+D	1994	1995	1996
B	223,0	249,8	290,6
D	252,9	269,3	304,6
M = B+D	475,9	519,1	595,2

Tableau N°30 : Multiplicateur du crédit en Algérie

Années	1994	1995	1996
$m = M / BM = M / (L+B)$	$475,9 : 888,1 = 0,5359$	$519,1 : 862,1 = 0,6021$	$595,2 : 811,7 = 0,7333$
$m = 1 / r + b - rb$	$1: 2,6299 + 0,4686 - (1,2323) = 1: 1,8662 = 0,5358$	$1: 2,2737 + 0,4812 - (1,0941) = 1: 1,6608 = 0,6021$	$1: 1,7108 + 0,4882 - (0,8352) = 1: 1,3638 = 0,7332$



### Capacité de Financement de l'Algérie (millions DA)

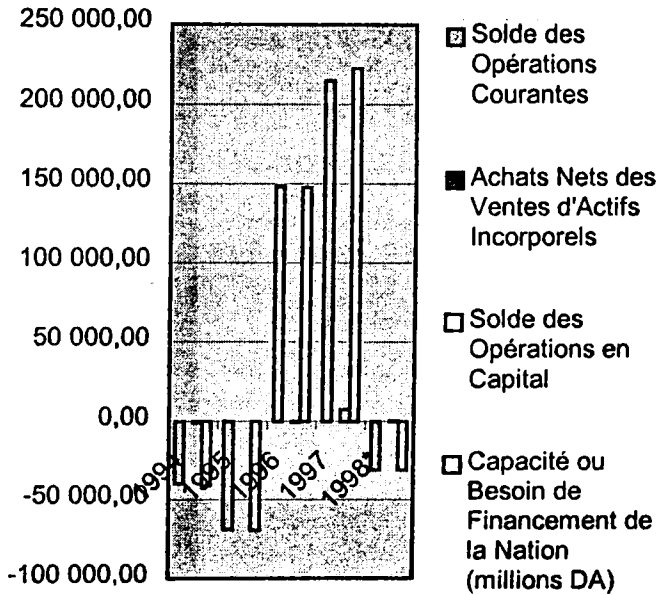
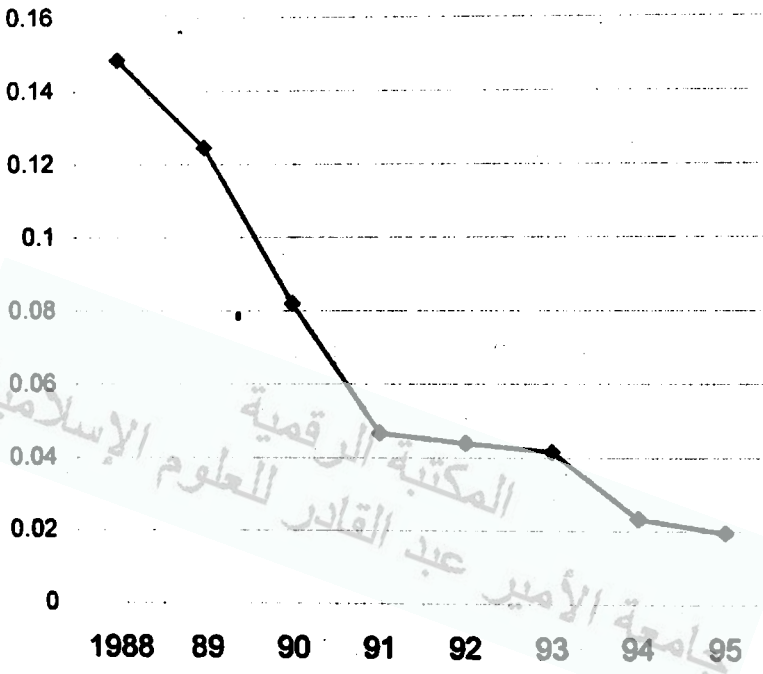


Fig.01-Evolution du change du Dinar en Dollar US - 1988 à 1995



المكتبة الرقمية  
 عبد القادر العلوم الإسلامية  
 جامعة الأمير

Fig.02- Evolution des principales devises par rapport au dollar US (1988 à 1995)

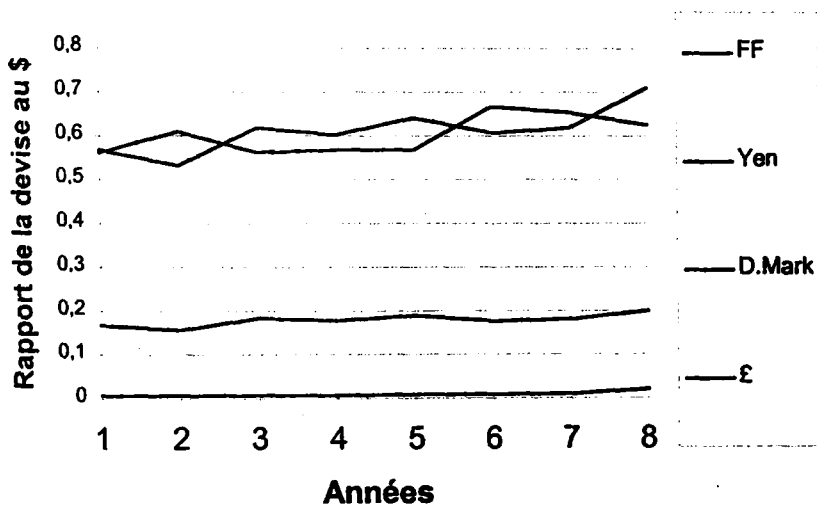


Figure 04 - évolution du Yen japonais en dinar algérien (1995-2000)

Fig.03- évolution du Dollar par rapport au D.A.  
BOUMENDJEL Saïd ..... Monnaie et Répartition

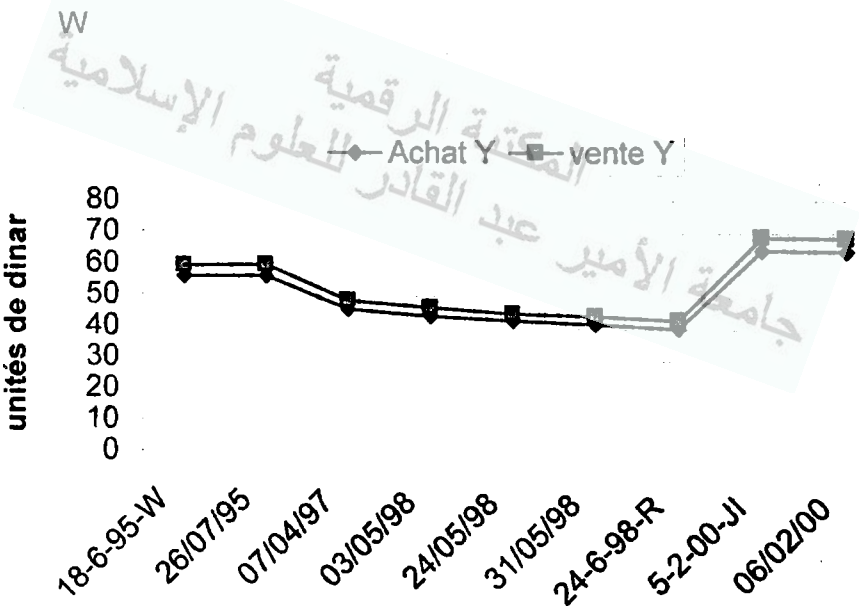
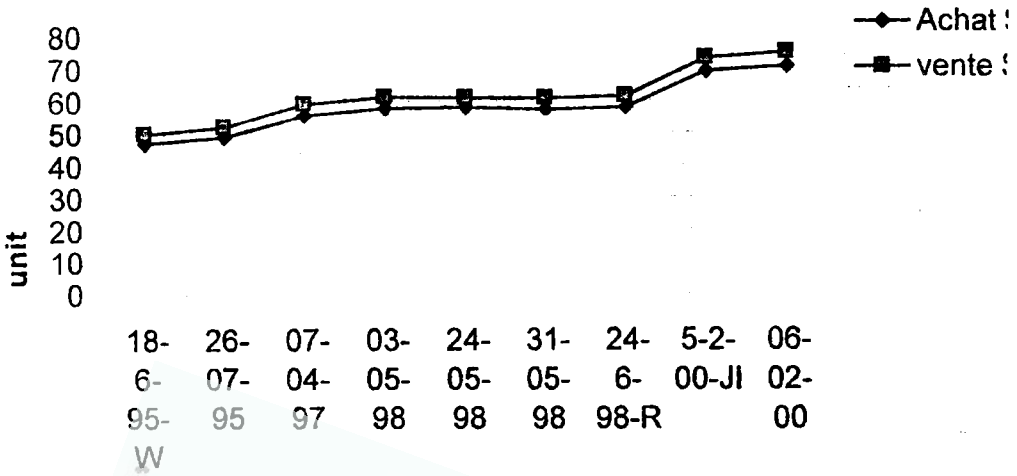


Fig.05-évolution du Mark en DA

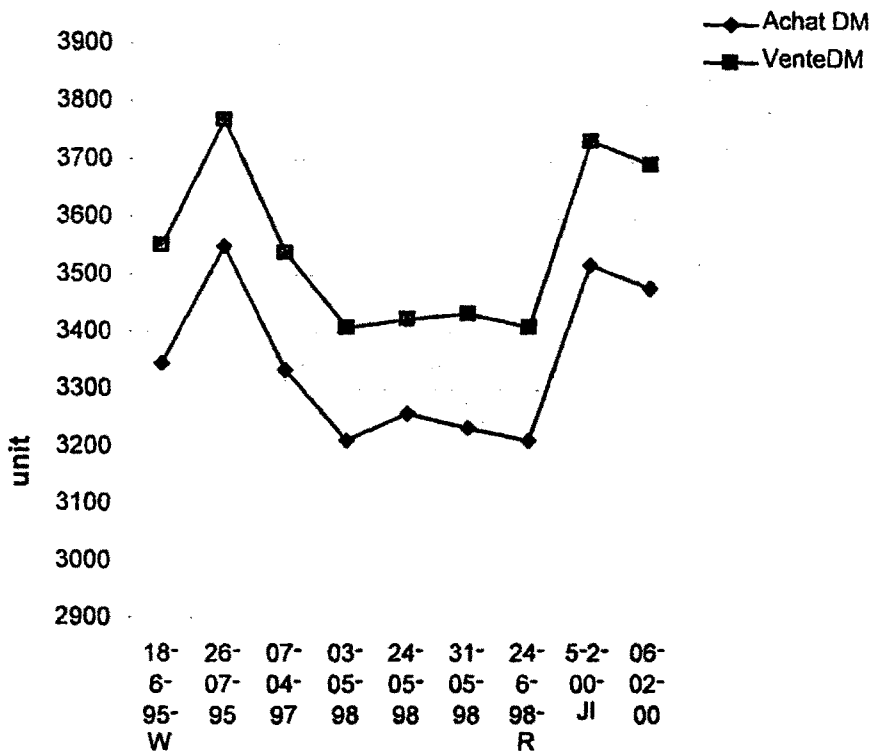


Fig.06- évolution du FF en DA

